الجامعة الأمريكية المفتوحة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أصول الفرق

الجامعة الأمريكية المفتوحة

مؤسسة تعليمية
مستقلة غير ربحية

Web Location:
www.aou.edu.com

٤٢١٢ King Street
Alexandria, VA
٢٢٣٠٢ U.S.A

مكتب الجامعة بالقاهرة
Eamil: Info@aou-edu.com

هاتف: ٤١١٥٢٧٦
فاكس: ٤١١٥٢٦٠

مبنى المجلس الإسلامي
العالمي للدعوة والإغاثة
مدينة نصر الحي العاشر
قطعة ١ عمارة ٣٨

حقوق الطبع محفوظة

الجامعة الأمريكية المفتوحة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

حقوق الطبع © ١٤٢٥هـ. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بشكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام رقمي أو إلكتروني يُمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن من الجامعة الأمريكية المفتوحة.

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالجامعة

مكتب القاهرة

أعد مادة هذا الكتاب:

أ.د /عمر بن عبد العزيز قريشي.

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر

إشراف ومتابعة

د/ محمد يسري إبراهيم

رئيس مركز البحوث وإعداد المناهج بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

أما بعد

فهذه مادة "أصول الفرق الإسلامية"

والتي تهدف من وراء دراستها إلى هدف عام، ألا وهو دراسة الأصول الاعتقادية لأشهر الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة في العقيدة، وبيان بطلان تلك الأصول من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم.

وأما الأهداف الخاصة فهي الإحاطة المجملة بملابسات نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي، والإحاطة المفصلة بأكبر الفرق وأخطرها في التاريخ الإسلامي في القديم والحديث، وذلك مثل الشيعة – المعتزلة – الخوارج – الجبرية – القدرية – المرجئة – الأشاعرة – الماتريدية – الصفاتية.

وأخيرًا: أهل السنة والجماعة.

ولذلك فإن كلامنا يرتكز في هذا المقرر عن الآتي:

أولاً: نبذة تاريخية مختصرة عن نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي، وأهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية.

ثانيًا: الخوارج: تعريفهم، وأشهر فرقهم، وأصولهم الاعتقادية مع الرد عليها، وبيان منشأ الضلال عندهم، وأبرز كتبهم، ورجالهم قديمًا وحديثًا، وأشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم.

ثالثًا: الشيعة: تعريفهم، وأشهر فرقهم، وذكر أصولهم الاعتقادية مع الرد عليها، وبيان منشأ الضلال عندهم، وذكر أبرز كتبهم ورجالهم قديمًا وحديثًا، وأشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم.

رابعًا: المعتزلة: تعريفهم، أصولهم الاعتقادية مع الرد عليهم، وبيان الضلال عندهم، وأبرز كتبهم ورجالهم، وأشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم.

خامسًا: الجبرية: تعريفهم، وأصولهم العقدية – مبادئ الجبرية – الرد عليهم، – أصنافهم – فرقهم – أهم أعلام المذهب الجبري.

سادسًا: القدرية: تعريف القدر واختلاف الناس حوله، وسبب تسميتهم، ونشأتهم، أدلتهم، الرد عليهم، الصلة بين القدرية والمعتزلة.

سابعًا: المرجئة: التعريف والتسمية – الجذور التاريخية – مبادئ المرجئة – فرق المرجئة.

ثامنًا: الأشاعرة – مبادئ الأشاعرة – الأشاعرة (بين الجرح والتعديل).

تاسعًا: الماتريدية: التعريف – الانتشار ومواقع النفوذ.

عاشرًا: الصفاتية: أهم فرقهم – مبادؤهم.

حادي عشر: أهل السنة والجماعة: التعريف – التأسيس – الإيمان – القرآن الكريم – القدر – أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.

كتبه

عمر بن عبد العزيز

الوحدة الأولى

نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي

الوحدة الأولى نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي

الأهداف التعليمية

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تحدد تعريف الفرقة لغة واصطلاحًا.

٢- توضح الفرق بين الفرقة والاختلاف.

٣- تذكر متى نشأت الفرقة بين المسلمين.

٤- تبين متى نشأت الفرق الإسلامية

٥- تناقش أهم أسباب الفرقة.

الوحدة الأولى
نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي

- تعريف الفرقة
- بين الفرقة والاختلاف
- نشأة الفرقة بين المسلمين
- نشأة الفرق وأساسها
- أهم أسباب الفرقة
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الأولى

نبذة تاريخية عن نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي، وبيان أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية

مقدمات لابد منها:

أولا: تعريف الفرقة:

معنى "الفرقة" لغة لها عدة معاني، تكون من الفصل، كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤] وتكون من الفلق، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ [البقرة: ٥٠] وتكون من الفرق كقوله تعالى: ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً ﴾ [المرسلات: ٤] وتكون من الفرقة والافتراق التي هي ضد الوحدة والتجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥] فالفرقة ضد الوحدة، وتفرق ضده تجمع وتوحد، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وهذا الأخير هو مجال بحثنا هذا، وهو ما جاءت جل آيات القرآن الكريم محذرة منه، وناهية عنه، ومنبهة على خطورته، ومحذرة من مغبته وعاقبته، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ٤].

ومثلها كلمة "المنازعة" التي فيها النزاع الذي يؤدي إلى الفرقة، ويورث الفشل، المنهي عنه قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويراد منها "الاختلاف"، ولكن بينهما عموم وخصوص.

فالعموم يكون بمعناها، ومرادف لها، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة

"الاختلاف" بهذا المعنى، لأنه لما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة في مثل قوله تعالى: ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ [مريم: ٣٧] وكذلك ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ [الذاريات: ٨] وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [السجدة: ٢٥].

وأما الخصوص الذي بينهما أن الفرقة لا تكون بمعنى الخلاف، ولا الخلاف يكون بمعنى الفرقة، بل تكون الفرقة مذمومة على كل حال، ويكون الاختلاف منه ما هو محمود ومذموم.

والفرقة اصطلاحًا: هي تباعد الأمة وتناحرها، ولا يتعلق بوجهات النظر، بل يكون من الغرور واتباع الهوى، وذلك يؤدي إلى شتات الأمة وضعفها وسقوطها أمام أعدائها.

ثانيًا: بين الفرقة والاختلاف:

إن "الفرقة" داء قتال وطاعون خبيث، لا ثمرة لها إلا تحطيم الحضارات وإتلاف الجهود، وتبديدها وتهيئتها للزوال والاندثار، وساءلوا التاريخ عن ضياع الأندلس قديمًا، وفلسطين حديثًا، وما يقع في أفغانستان، وما تحل بالأمة في كل جيل وقبيل، وعصر ومصر، سيجيبكم أن السبب الرئيسي في ذلك كله هو الفرقة: فبسببها تضيع الأمم، وتحل الهزائم، وتذل الأمة أمام عدوها.

ولذلك كره الإسلام الفرقة باعتباره دينًا يدعو إلى الوحدة والائتلاف والتصافي والترابط، وهذه الفرقة إنما هي فتنة عمل المغرضون على إثارتها، وهي ما دبت في أمة إلا غدت تفقدها كل شيء بعد أن جمعت ما يؤهلها إلى قيادة البشرية.

والقائمون على تغذيتها قوم خبثت نفوسهم لدرجة الحكم عليهم بالعذاب في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦].

وأما "الخلاف" وكذا الاختلاف: أيضًا، فمعناه أن ينهج كل شخص طريقًا مغايرًا للآخر في حاله أو في قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولذلك فالخلاف منه المحمود والمذموم.

والاختلاف علمي ونظري، وكلاهما لا يؤدي إلى تفرق الجماعة، ولا تمزق وحدة المسلمين، ولأن الاختلاف يتعلق بالفروع ولا يكون في الأصول الأساسية، ويكون في مسائل الاجتهاد التي لا نص فيها مثل وجهات النظر بين الناس.

وهذا النوع من الاختلاف جائز، لأنه اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد.

ولكنه إذا أدى إلى تفرق المسلمين، فإنه يدخل ضمن الاختلاف المذموم.

وهذا النوع من الاختلاف جائز، لأنه اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، ولكنه إذا أدى إلى تفرق المسلمين فإنه يدخل ضمن الاختلاف المذموم.

ويجب أن نعلم أن الخلاف في الفروع أمر واقع، ماله من دافع، وقد وقع هذا الخلاف بين الصحابة دون أن يفرق كلمتهم، أو يمزق وحدتهم، ومنه ما وقع في حياة النبي ﷺ وما وقع بعد وفاته أيضًا.

ومثال ما كان في حياته ﷺ، اختلافهم في فهم حديث "**لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة**"(1) وما وقع بعد وفاته ﷺ: مثل خلافهم في تغسيل النبي ﷺ

(1) رواه البخاري.

بثيابه أم تنزع عنه، وكذا مكان دفنه، واختلافهم فيمن يتولى الخلافة من بعده، وقد توالت الاختلافات دون أن تنال من وحدة الأمة.

ثالثًا: نشأة الفرقة بين المسلمين:

اعلم أن الفرقة بين المسلمين ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب، بل لها بذورها وجذورها وأصولها البعيدة التي تمتد بها إلى القرن الأول الهجري، وحتى حاضرنا هذا المؤلم.

فقد بدت الفرقة تطل برأسها منذ هجرة النبي ﷺ، وصحبه الكرام إلى المدينة المنورة، وقد أسست دولة الإسلام الفتية، وقد حرص النبي ﷺ على أن يقيمها على أسس قوية، ودعائم متينة، وصلات صحيحة: ولكن ذلك أحزن اليهود وأفزعهم، وخافوا على دنياهم وسيادتهم، سيما من كان سيتوج ملكًا عليهم، المدعو "عبد الله بن أبي بن سلول" فكشروا عن أنيابهم، وأعلنوا عن عدائهم، وأظهروا كراهيتهم للإسلام ولنبيه ولدعوته، ثم عادوا فجبنوا، فتظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر، فظهر النفاق والمنافقون، وحرص المنافقون أشد الحرص على تفريق كلمة المسلمين يعاونهم اليهود في ذلك، وقد استخدموا في ذلك أساليب شتى، منها ما حكاه القرآن الكريم ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢] ثم بنوا مسجدًا لأنفسهم، له مهام معينة حددها القرآن، أهمها تفريق كلمة المسلمين ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

ثم كان حرصهم الأكبر على نقض دعامة الأخوة التي أرساها النبي ﷺ بين

المسلمين، سواء أكان فيما بين الأوس والخزرج، وقد قام بهذا الدور "شاس بن قيس"، أو فيما بين المهاجرين والأنصار، وقام بهذا الدور "عبد الله بن أبي بن سلول" عند عودة المسلمين من غزوة "بني المصطلق".

ثم راح -لعنه الله- يبذر الخلافات، ويثير الشائعات، ويختلق حديث الإفك......

وهكذا ظل دور المنافقين ينشط في تفريق كلمة المسلمين، وزرع بذور الضغائن والعناد وغرس وسائل الفتنة والفساد، ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد.

لقد كشف مؤامراتهم، وفضح أسرارهم، وأظهر مكنوناتهم، فلم تفلح لهم خطة، ولم تنجح لهم مؤامرة، وباءت كل جهودهم بالفشل - بفضل الله تعالى - مع نزول الوحي من السماء، حتى أيقنوا بالفشل والهزيمة، وراحوا ينتظرون انقطاع الوحي من السماء بموت النبي ﷺ أو قتله، ولذلك حاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام - كثيرًا، ولكن الله تعالى عصمه من الناس، فهدأوا بعض الوقت، واختبأوا يدبرون ويخططون، فلما انقطع الوحي من السماء بموت النبي ﷺ خرجت الأفاعي من جحورها، لتزاول دورها في فرقة المسلمين والقضاء على هذا الدين، وهم بمأمن من فضيحة وحي السماء لهم، أو كشف مؤامراتهم، ولذلك كان لهم دور لا بأس به في أيام خلافة أبي بكر الصديق ﷺ فيما عرف بحروب الردة، ولكن كانوا بعيدين عن الأعين، وفي خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، تم إجلاؤهم عن جزيرة العرب، فدبروا لمقتل فاروق الأمة "عمر بن الخطاب" وقام بتنفيذ المؤامرة "أبو لؤلؤة المجوسي" وانكسر باب الفتنة بمقتل عمر ﷺ وأرضاه.

رابعًا: نشأة الفرق وأساسها:

إنه بمقتل "عمر بن الخطاب" ﷺ، أطلت الفتنة برأسها من جديد لتعمل بكل

قواها، وتؤدي دورها في كل اتجاه علمي أو عملي، ديني أو سياسي.

ولئن كانت الفتنة التي عمل على إيجادها اليهود، وعلى إثارتها المنافقون لم تنجح من قبل في تفريق الكلمة، أو تمزيق الصف، فإن الفتنة من بعد مقتل عمر، وفي أيام خلافة عثمان بن عفان ﷺ قد نجحت، وبدأت تؤتي ثمارها الخبيثة في اختلاف ذات البين، وتمزيق الصف، وضعف الأمة، والذي تولى كبرها — في هذه المرة — هو "عبد الله بن سبأ" المعروف بابن السوداء — سود الله وجهه — الذي تظاهر بالإسلام، وبحبه لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام.

فراح يقول بوصاية "علي بن أبي طالب" ﷺ أي أنه وصى رسول الله ﷺ، وأولى الناس بعده بالخلافة، ثم أخذ يذم أبا بكر وعمر — رضي الله عنهما — يتهمهما بأنهما قد انتزعا الخلافة من "علي ﷺ"، والأدهى من ذلك ما افتراه على سيدنا "عثمان ﷺ" من افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان، واتهامات ليس لها من الحقيقة نصيب، ولا من الواقع رصيد، ولكنه أشاع ذلك في الناس، وانتقل في الأقطار والأمصار، وكتب به الكتب، وأرسل به رسائل ورسل، يؤلب الناس على عثمان ﷺ، فلقي آذانًا استمعت له، ورعاعًا صاروا جندًا له، وجاء الثوار من الأمصار، خاصة مصر والكوفة، وخرج الخوارج على عثمان ﷺ، وثاروا عليه، واجتمعوا حول بيته، وما انفضوا حتى قتلوه ﷺ، وهؤلاء الخوارج أصحاب الفتنة، هم أصحاب عبد الله بن سبأ وتلاميذه ومؤيدوه.

ولم يكن فيهم أحد من خيرة الصحابة ﷺ، وأنه بينهم وبين خيرة الصحابة أبعد مما بين الحضيض والقمة، بل أبعد مما بين الشر والخير.

ورحم الله ابن تيمية إذ قال في منهاج السنة: إن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان، لا قتل ولا أمر بقتله، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض

من أوباش القبائل وأهل الفتن، وكان علي ﷺ يقول: "اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل".

وهؤلاء الذين شاركوا في الجناية على الإسلام بمقتل أمير المؤمنين "عثمان" ﷺ، طوائف على مراتب: منهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات، وارتكبوا في إنكارها الموبقات.

ومنهم الذين يترعون إلى عصبية جاهلية، يبغضون شيوخ الصحابة من قريش ولم تكن لهم في الإسلام سابقة، فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم، فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد.

وفيهم الموتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم، فأضغنوا في قلوبهم الإحنة والغل لأجلها.

وفيهم الحمقى الذين استغل السبأيون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة.

وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته في أحضانه.

وفيهم من أصابهم من "عثمان" من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام، فأغضبهم التعزير الشرعي من عثمان.

وفيهم المتعجلون بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارا بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه.

وفيهم أهل الفتنة، وعلى رأسهم السبأيون، والمنافقون، وفيهم، وفيهم..

وعلى الإجمال فإن الرحمة التي جبل عليها عثمان، وامتلأ بها قلبه، أطمعت الكثيرين فيه، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم.

ولو صدق التاريخ لأوقفنا على نفسيات هؤلاء الخوارج على "عثمان" وعلى أغراضهم ونوعياتهم، ليكون من ذلك درس وعبرة لطلاب التاريخ الإسلامي[1].

ثم ماذا؟ لما قضي الله تعالى أمره، وأمضي قدره، وذلك بمقتل ذي النورين عثمان ﷺ، علم أن الحق ألا يترك الناس سدى، و أن المسلمين بعده مفتقرون إلى خليفة، مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الخلفاء الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا، وتقى ودينًا، فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة "لعلي" لتدافع إليها الأوباش، فيقع ما لا يرقع خرقه.

ولكن عليا ﷺ أبى البيعة وتبرأ من الأمر، وابتعد عنه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، وقالوا له: ننشدك الله، ألا ترى الفتنة، ألا تخاف الله؟ فلما رأى أن الأمر فرض عليه، انقاد إليه، حتى أتى الناس عليًا وهو في سوق المدينة، وقالوا له ابسط يدك نبايعك، فقال: لا تعجلوا، حتى يجتمع الناس ويتشاورون، وتمت له البيعة.

وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة علي ﷺ كبيعة إخوانه من قبل، جاءت على قدرها وفي إبانها، وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها، لا من وضية سابقة مزعومة، أو رموز خالية موهومة.

ولما استقر أمر بيعة علي ﷺ، دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ليأتيه منها بالجنود، ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في مقتل عثمان ﷺ،

(1) العواصم من القواصم، هامش (تحقيق وتعليق) ص(٧٣).

فقال لهما: مهلاً علي، حتى أنظر في هذا الأمر.

ولكن تعجل طلحة والزبير وعائشة ﷺ الأمر، وخرجوا على رأس جيش يطالب عليا بالقصاص من قتلة عثمان، وإن كانوا أرادوا أن يتفقوا مع علي ﷺ على الطريقة التي يتوصلون بها إلى ذلك، ولكن دسائس السبئيين وحرصهم على عدم الصلح أدى إلى وقوع موقعة الجمل.

هذا... وفي نفس الوقت لم يكن قد بايع أهل الشام، وعلى رأسهم معاوية ﷺ، وقد تأثر الناس بمقتل عثمان تأثرًا عظيمًا، وعلقوا قميص عثمان، وأخذوا يبكون حوله، ويطالبون بدم عثمان، وأرسل علي إلى معاوية يطلب منه البيعة، فرفض معاوية حتى يأخذ علي بالقصاص من قتلة عثمان، وأما موقف "علي" من قتلة "عثمان" فإنهم كانوا – عند البيعة له – مستولين على زمام الأمر في المدينة، ولم يكن في استطاعة "علي" ولا غيره أن يقف منهم موقفًا يستطيع فيه القصاص، في الوقت الذي حرص فيه السبئيون على إثارة الفتن والقلاقل، وإثارة الأحقاد والضغائن، وأخذوا ينفخون في الرماد، ويحاولون إسعار الحرب بين المسلمين مرة أخرى، ويحرضون شيعة "علي" ضد كل من يطلب بثأر عثمان وقصاصه، وخاصة معاوية – الذي عزله "علي" عن الشام، وامتنع من الخضوع لخلافة "علي ﷺ" والتسليم بإمارته إلا بالشرط الذي اشترطه، وهو القصاص، وتم تبادل الرسائل بين الطرفين، ولكنها لم تؤد دورها، لوجود عناصر تفسد وسائل الصلح، لتحقيق أغراضهم ومآربهم، ومن هنا قامت معركة صفين بأحداثها المعروفة تاريخيًا، وبما جرت على المسلمين من شر مستطير، حيث كانت الشرارة التي نجمت عنها الفرق، في الوقت الذي اشتد فيه القتال، دعا قوم إلى التحكيم، والناس ما بين مؤيد ومعارض، أو معارض أولا ثم موافق بعد ذلك، والعكس أيضًا، ولكن هذا التحكيم ترتب عليه ما الله به عليم، وإن

كانت فتنة التحكيم ليست كما صورتها كتب التاريخ في الروايات المشهورة، وإن كانت باطلة، ولكن كان هناك تحكيم أدى إلى خلع "علي" ومعاوية رضي الله عنهما، وعلى المسلمين أن يختاروا واحدًا من بقية الستة الذين مات رسول الله ﷺ، وهم عنهم راض.

ولكن هذه النتيجة لم تحقن دماء المسلمين ولم توقف النزيف: ولم تؤد إلى صلح، ومن هنا خرج الخوارج الذين كفروا عليا ومعاوية والحكمين، وكل من وافق على التحكيم، وجعلوا شعارهم "لا حكم إلا لله" وقالوا: أتحكمون الرجال في دين الله؟!

وكان ما كان من أمرهم – كما ستعرفه في موضعه، إن شاء الله تعالى.

وهذا في الوقت الذي اندس فيه السبئيون في صفوف جيش "علي" رضي الله عنه، ثم راحوا يزعمون مزاعم كقولهم بالوصية لعلي، وقولهم بالرجعة، وتكفيرهم لأبي بكر وعمر ولعنهما، مع غلو في محبة "علي" رضي الله عنه جعلتهم على طوائف، فمنهم من زعم له الألوهية، وآخرون قالوا بالنبوة لعلي، وقد أخطأ "جبريل" صاحب الريش – لما نزل على محمد ﷺ، ومن هؤلاء تكونت نواة الشيعة: فكانت على النقيض من الخوارج، خاصة فيما يرتبط بأمر علي رضي الله عنه.

أقول: ومن هنا كانت بداية الفرق، حيث عرفت بأسمائها، وصار لها وجود في أرض الواقع، فهذه الشيعة تحب عليا وتناصره، وتلك الخوارج تبغض عليا وتكفره، وهنا من توقف في الحكم على الأشياء، وأرجأ فيها إلى الله تعالى، فكانت المرجئة، وحيث احتج أناس بالقضاء والقدر في مثل هذه الأمور وغيرها، وبدأ الناس يفهمون القضاء والقدر فهمًا خاطئًا، فوجد في المسلمين من هم على طرفي نقيض، حيث "القدرية" ينكرون القدر، ويقولون: لا قدر والأمر أنف، أي مستأنف، و"الجبرية"

على عكس ذلك، إذ يرون أن الإنسان مجبر على كل شيء قدرًا، وأنه كالريشة في مهب الريح، وهنا من خالفهم في هذا، يتردد في نسبة الشر إلى الله تعالى أو نفيه عنه، فكانت "الإبليسية"، وحيث تكلم الناس في حكم مرتكب الكبيرة، إذ قالت الخوارج هو كافر مخلد في النار، وزعمت المرجئة أنه مؤمن كامل الإيمان، إذ لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ورأى "واصل بن عطاء" أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، فليس مؤمنًا ولا كافرًا، ويحكم عليه بالخلود في النار، فكانت بداية فكر المعتزلة.

وفي فترة عمها الأمن، وتوقفت الفتوحات، بدأ الحديث عن كثير من قضايا الدين بالبحث عن غوامض المسائل ودقائق الأشياء، مع وجود عناصر مغرضة على طول الطريق، وربما مع قلة الأدوات، فترتب على هذا الكثير من الخلاف المذموم الذي أدى إلى ظهور فرق أخرى.

ومثاله: خلاف الناس حول مفهوم الأسماء والصفات، والذي ترتب عليه وجود فرق عرفت باسم "المشبهة المجسمة" و"النفاة المعطلة" و"المؤولة" وغيرهم، ومع كثرة الخلافات والفتن، وجد في الناس من اعتزل، وتزهد في أمر الدنيا، فكانت بداية مدرسة الزهد، البذرة الأولى التي انبثق منها التصوف بعد ذلك بفرقه المتعددة، وطرقه المتنوعة، وحيث انضم إليهم من ليس منهم، واختبأ في خلواتهم زنادقة ونحوهم، فخرج من عباءتهم الفلاسفة الذين آمنوا بوحدة الوجود، أو الاتحاد والحلول، وعرفوا "بالحلولية".

وتفرقت الجماعة الكبيرة إلى فرق، والفرق تنازعت وصارت فرقًا وشيعًا وأحزابا، وظلت الفرق تتوالى وتترى، وحيث وجدت البابية والبهائية والقاديانية، وفي عصرنا هذا وجد أهل الحداثة والتغريب، والعلمانية، والماسونية، والشيوعية — تحت عباءة الإسلام — وكذا حزب البعث وغير ذلك.

وسنتناول بالدراسة – بعون الله وتوفيقه – أهم هذه الفرق والمذاهب، سيما الذي ظلت أفكارها وآراؤها حية ومنتشرة في أوساط المسلمين.

خامسًا: أهم أسباب الفرقة والتي أدت إلى ظهور الفرق الإسلامية:

وذكرنا لأسباب الفرقة من باب تشخيص الداء لمعرفة الدواء وأسبابها كثيرة ومتعددة ومتنوعة، كما أنها متشابكة ومتداخلة، وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، منها المباشر وغير المباشر، كما أن منها ما هو ديني وما هو سياسي، وما هو نفسي وما هو قلبي، ومنها القريب، ومنها البعيد، ومنها الماثل للعين، والطافي على السطح، ومنها ما هو غائص في الأعماق، ومنها ما سببه داخلي، وآخر خارجي، نعم، إنها أسباب كثيرة ومتنوعة كما عرفت، وإليك أهمها:

١- **الشيطان:** وهو سبب يستحق الصدارة، إذ حرص الشيطان من البداية بحكم عدائه للإنسان أن يفرق كلمتهم، ويقعد لهم دون الصراط المستقيم، كما في القرآن ﴿ **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وكما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ** ﴾ [المائدة: ٩١].

وقال النبي ﷺ: "**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون بجزيرة العرب، ولكن بالتحريش بينهم**"[1] فهو رأي الشيطان يسعى دائمًا بين الناس بالخصومات والشحناء والبغضاء، والفتن، وحبائل الشيطان لو تأملتها أدركت أنه يريد من ورائها أن يفرق بين الأخ وأخيه، وبين المرء وزوجته، والابن وأبيه، وهو بذلك يريد أن يفرق جماعة المسلمين، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، ولذلك أمرنا الله تعالى بمخالفة

(1) متفق عليه.

الشيطان، والعمل على إفساد وسائله وحبائله وتجنب شبهاته وإغرائه.

٢- **أولياء الشيطان الذين هم أعداء الإسلام:** خاصة أشد الناس عداوة للذين آمنوا "اليهود والذين أشركوا" وقد بنوا سياستهم مع غيرهم على مبدأ "فرق تسد".

وصدق الله إذ يقول: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقال أيضًا: ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾ [البقرة: ١٢٠].

لقد جرب اليهود مبدأ "فرق تسد" فوجدوه ناجحًا أيما نجاح، ومن ثم حرصوا على استخدامه كلما لاحت لهم فرصة، أو سنحت لهم بادرة اهتبلوها من أجل تفريق الكلمة، وتمزيق الصف المسلم، وكيف لا، وهم الذين فرقوا كلمة المسلمين الأوائل "الأوس والخزرج" بعد أن آخى رسول الله ﷺ بينهم، وقد ألف الله تعالى بين قلوبهم، ومع ذلك فقد استطاعوا أن يوقدوا نار الحرب بينهم، ولكن الله أطفأها بفضله ومنه.

وقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالى منهم، ونهانا عن موالاتهم، و أمرنا بالإعداد لهم، ومعرفة مخططاتهم، لأنه لابد من الصراع بين الحق والباطل، وفي الأخير ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

٣- **التنازع على السياسة والملك:** إننا إذا استقرئنا التاريخ وجدنا كثيرًا من ألوان الفرقة وقعت بسبب التنازع على السياسة، وحب الرياسة، وهذا السبب ذاته انبنى على حب الدنيا الذي تمكن من قلوب بعض المسلمين، أو هي أغراض النفوس، وأمراض القلوب، التي كانت من أهم الأسباب في تفريق كلمة المسلمين، وذهاب قوتهم، وضياع عزهم... وما ضاعت الأندلس وأخواتها إلا لهذا السبب الرئيسي، وكذا في كل عصر ومصر إذا نظر الإنسان إلى نفسه، وعمل لحسابه، ولم يبال بدينه وأمته، فإن ذلك يجر على الأمة ويلات وهزائم، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٤- **التعصب للأشخاص، والإعجاب بالرأي:** فكم رأينا أناسًا يستميتون في التعصب لمشايخهم، ولآراء العلماء الذين يتلمذون على أيديهم، وللمذاهب التي يتمذهبون بها، وكم أضر هذا التعصب بالأمة المسلمة أيما ضرر، كما ابتليت الأمة بأناس إذا اقتنعوا برأيهم لا يحيدون عنه وإن كان خاطئًا، وهذا من العصبيات التي تعج بها المجتمعات.

وقد حذر القرآن من ذلك بقوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [الفتح: ٢٦].

وقال النبي ﷺ: "**ليس منا من دعا إلى عصبية**"(١).

٥- **المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين:** سواء كان ذلك بالتفسيرات الخاطئة لبعض الآيات، والإسرائيليات في بعض التفاسير، أو كان ذلك بفهم خاطئ لبعض الأحاديث الصحيحة، وانتشار أحاديث ضعيفة أخرى موضوعة، وكذلك بانتشار شبهات المستشرقين، ومفتريات المنصرين، فكل ذلك بعد اختلاط الحق فيه بالباطل شوش على المسلمين فاختلفت كلمتهم، وتفرقت وحدتهم، ولو عرفت الأمة الفهم الصحيح في ذلك ما كان هذا حالها من ضعف وهزيمة، وذل ومهانة.

٦- **الجهل بطبيعة هذا الدين:** فهذا الدين له عقيدة وأصول واحدة، لا يختلف عليها، والحق فيها واحد لا يتعدد ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** ﴾ [يونس: ٣٢].

كما أن له فروعًا وتشريعات يتعدد فيها الحق ولا يتوحد: ويختلف باختلاف اجتهادات المجتهدين مع الاتفاق على وحدة المصدر والمنشأ.

والذين جهلوا هذا المعنى لم يفرقوا بين الكليات والجزئيات، ولا بين القطعيات

(1) حديث صحيح.

والظنيات، ولا بين المحكمات والمتشابهات، فكان ذلك سببًا في تفريق كلمة الأمة[1].

(1) راجع بتوسع: طاعون العصر: الفرقة بين المسلمين وعلاجها في كتاب رب العالمين.

خلاصة الوحدة الأولى

- الفرقة لغة ضد الوحدة فهي بمعنى الافتراق والتنازع واصطلاحًا هي تباغض الأمة وتناحرها بالغرور واتباع الهوى.

- هنا فرق بين الفرقة والاختلاف، فالفرقة مذمومة على كل حال، وأما الاختلاف فمنه المشروع ومنه الممنوع، أو المحمود والمذموم، كما ينقسم إلى اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

- الفرقة بين المسلمين لها جذور ممتدة إلى القرن الهجري الأول، بعد إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد حرص اليهود والمنافقون على غرس بذور تلك الفرقة بين المسلمين.

- بدأت الفرق الإسلامية – بعد مقتل عثمان ﷺ والذي تولى كبرها وكان رأسًا خبيثًا في هذا هو "عبد الله بن سبأ" لعنه الله، كان من وراء موقعة الجمل ومعركة صفين.

- عرفت فرقة الخوارج باسمها، وكذلك الشيعة، وتوالت الفرق تترى حتى كانت بهذا الكم الخطير، والعدد الوفير.

- إن أهم أسباب الفرقة: الشيطان – أعداء الإسلام – التنازع على السياسة والملك – التعصب للأشخاص والإعجاب بالرأي – المفاهيم الخاطئة في حياة المسلمين – الجهل بطبيعة هذا الدين.

اختبار الوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة أو علامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

- تأتي الفرقة بمعنى الخلاف وكلا المعنيين مذموم على كل حال. ( )
- الفرقة هي تباعد الأمة وتناحرها، ولا يتعلق بوجهات النظر، بل يكون من الغرور وإتباع الهوى. ( )
- الخلاف أن ينهج كل إنسان طريقًا مغايرًا للآخر في حاله أو قوله. ( )
- الفرقة منبوذة على كل وجه والاختلاف منبوذ من وجه دون وجه. ( )
- كان اختلاف الصحابة على أمور، كتغسيل النبي ﷺ بثيابه أو تترع، وكذا مكان دفنه من أكبر أدلة الفرقة بينهم. ( )

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد

اختر الإجابة الصحيحة

١- متى نشأت الفرقة بين المسلمين

- بعد الهجرة.
- في عهد أبي بكر الصديق ﷺ.
- في عهد علي بن أبي طالب ﷺ.

٢- كان من أوائل الذين عملوا على دب الفرقة والاختلاف بين المسلمين في بداية الدعوة

- عبد الله بن أبي سلول.

- أبو جهل بن هشام.
- عقبة بن أبي معيط.

٣- بدأت تظهر البداية الحقيقية للفرق بعد
- مقتل عثمان ﷺ.
- مقتل عمر ﷺ.
- موقعة صفين.

ثالثًا الأسئلة التحليلية

السؤال الأول: عرف الفرقة، وما الفرق بين الفرقة والاختلاف، ومن وراء الفرقة، وما هي أهم أسباب الفرقة؟

السؤال الثاني: اكتب مذكرات مختصرة في كل مما يلي:
- نشأة الفرق بين المسلمين.
- نشأة الفرق وأساس اختلافها.

السؤال الثالث: اكتب بحثًا حول أهم أسباب الفرقة وعلاجها في القرآن والسنة.

الوحدة الثانية

الخوارج

الوحدة الثانية الخوارج

الأهداف التعليمية

يتوقع منك – عزيزي الدارس – بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تحدد تعريفًا لفرقة الخوارج.

٢- تظهر ظروف نشأة الخوارج وملابسات ذلك الخروج.

٣- توضح أهم معتقدات الخوارج في البداية.

٤- تبين ما آل إليه أمرهم، وخبر حربهم.

٥- تذكر أشهر فرق الخوارج وأبرز رجالهم قديمًا وحديثًا.

٦- تعدد أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم.

الوحدة الثانية

الخوارج

- تعريفهم
- نشأتهم
- أشهر فرقهم
- أبرز رجال الخوارج
- أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الثانية الخوارج

أولاً: تعريفهم:

الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه – يسمى خارجيًا – سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة الحق في كل زمان.

ثانيًا: نشأتهم:

إنه بعد موقعة الجمل، وقبل حرب صفين، لم يكتف السبئيون بما قاموا به في موقعة الجمل، بل بدأوا يتقوون ويجمعون حولهم الموالي والأعراب إلى أن فحل أمرهم وازداد طغيانهم، كما ازداد نفوذهم وقوتهم، وجمعوا حولهم أوباشًا من الناس والفسقة الفجرة، وهم يحاولون إسعار الحرب بين المسلمين مرة أخرى، ويفسدون وسائل الصلح كلما أوشكت أن تؤتي ثمارها، ولا شك أن كثيرًا من أتباع "عبد الله بن سبأ"– وهم من المجوس واليهود والمنافقين – دخلوا في معسكر علي ﷺ، تحت ستار شيعة علي، كما دخل بعض منهم في معسكر معاوية ﷺ، ولكنهم لم يكونوا من شيعة علي، ولا من شيعة معاوية، بل كانوا كتلة مستقلة، وفئة باغية، لها أفكارها، ولها أغراضها وأهدافها، وهم الذين كانوا يسعون بالفساد، ويضرمون نار الحرب كلما أراد الطرفان الصلح والاتحاد بينهما.

ومنهم نشأت فتنة الخوارج الذين كفروا عليًا وعثمان ومعاوية والحكمين، حتى عمموا التكفير بعد ذلك، لأنه لم يكن همهم إسقاط خلافة عثمان ولا تحريض الناس عليه، بل كل ما يقصدون إليه هو القضاء على دولة الإسلام، وسد باب الفتوحات، والغزوات.

ولذلك عندما نجحوا في إيقاع الفتنة بين المسلمين وتأليبهم على خليفة رسول الله ﷺ "عثمان ﷺ" وألبو على "علي ﷺ" كما تألبوا على عثمان ﷺ من قبل.

وهذا مما لا ينكره إلا مكابر أو مجادل بلا حق ولا علم ولا بصيرة.

ولذلك لما وقعت حرب صفين، واستمر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل، وكان جيش علي قد تغلب عليهم، فطالبوا بتحكيم كتاب الله، ولكن عليًا طالب الناس بالمضي في القتال، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، فأبى عليه الخوارج، وقالوا: نجيب إلى كتاب الله، وننيب إليه، فطالبهم بالقتال، فقالوا له: ما يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله، فقال لهم: إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به وتركوا عهده، ونبذوا كتابه، فقال له مسعر بن فدك التميمي، وزيد بن حصين الطائي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: يا علي، أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، إنا دعينا أن نعمل بكتاب الله فقبلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك، قال: فاحفظوا عني نهيي إياكم، واحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلي الأشتر فليأتك ويكف عن القتال، فبعث إليه ليكف عن القتال....

هذا... ولما كتب كتاب الصلح بين علي ومعاوية، وفيه تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، ثم قرأ الكتاب على القوم، فقام رجل يدعى "عروة بن أذينة – وهي أمة – وهو عروة بن جرير من بني ربيعة، وقيل: عبد الله بن وهب الراسبي، والصحيح الأول، فقال: أتحكمون في دين الله الرجال؟! فأخذ هذه الكلمة من الرجل طوائف من أصحاب علي من القراء، وقالوا: لا حكم إلا الله، فسموا المحكمية، وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع علي

إلى الكوفة، فلما دخل انعزل عنه طائفة من جيشه، قيل كانوا ستة عشر ألفا، وقيل: اثني عشر ألفا: وقيل أقل من ذلك، فبايعوه وخرجوا عليه، وأنكروا أشياء عليه، فبعث إليهم "عبد الله بن عباس رضي الله عنهما" فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلاله.

وبهذا ندرك أن أمر الخوارج قد ظهر مع بداية التحكيم، وأنهم ضلوا كذلك بسببه، حيث راحوا بعد ذلك ينكرون على الأميرين ويكفروهما، ثم خرجوا بعد ذلك على جماعة المسلمين، معتقدين كفرهم، لأنهم وافقوا على التحكيم كذلك...

هذا.. ولئن كان أمر الخوارج قد ظهر مع بداية التحكيم، وعرفوا بذلك فإنه قد كان لهم بذرة من قبل هذا، فيما رواه الإمام أحمد – وأصله في الصحيحين – عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: كنت مع رسول الله ﷺ عام الجعرانة– موضع قريب من مكة– وهو يقسم فضة في ثوب "بلال" للناس فقال رجل: يا رسول الله: اعدل، فقال: **"ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت إن لم أكن أعدل"** فقال عمر: يا رسول الله، دعني أقتل هذا المنافق، فقال: **"معاذ الله" أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم – أو تراقيهم – يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية".**

وفي رواية: أنه قال ﷺ عن الرجل لما ولى: **"إن من ضئضيء هذا– أي على شاكلته، ومن أصله– قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"** أي قتلا عاما لا يبقي لهم من باقية.

وقد رواه البخاري من حديث عبد الرزاق، ورواه أحمد عن أبي سعيد، وهو

في الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع.

أ- مناظرة الخوارج: التي تبين أمرهم:

قال الإمام أحمد... عن عبد الله بن عياض بن عمرو القارئ قال: جاء عبد الله بن شداد "فدخل على عائشة" ونحن عندها - مرجعه من العراق ليالي قتل علي - فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: ومالي لا أصدقك؟ قال: فحدثني عن قصتهم، قال: فإن عليا لما كتب معاوية وحكم الحكمين، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فترلوا بأرض يقال لها: حروراء - من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه، فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سماك به الله، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا الله، فلما أبلغوا عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا مصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف، خدث الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين: ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينكم كتاب الله.

يقول الله تعالى في كتابه - في امرأة ورجل - ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥].

فأمة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل.

ونقموا علي أن كاتبت معاوية - كتب "علي بي أبي طالب" وقد جاءنا "سهيل بن عمرو" ونحن مع رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال كيف نكتب؟ قال: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ:

اكتب، فكتبت، فقال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، قريشًا.

يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

.... وفي رواية زاد فيها: أنهم عتبوا عليه أيضًا أنه غزا في موقعة الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي، فأجابهم بقوله، قد كان في السبي أم المؤمنين، فإن قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم، وإن استحللتم سبي أمهاتكم فقد كفرتم "فرجع منهم ألفان، وناظرهم ابن عباس فرجع منهم أربعة آلاف.

وذكر ابن جرير أيضًا: أن "عليًا" بينما هو يخطب يومًا إذ قام إليه رجل من الخوارج، فقال: يا علي، أشركت في دين الله الرجال، ولا حكم إلا لله، فتنادوا من كل جانب: لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله، فجعل علي يقول: هذه كلمة حق يراد بها باطل، ثم قال: إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئًا ما دامت أيديكم معنا، وأن لا نمنعكم مساجد الله، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا.

ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة، وتحيزوا إلى النهروان[1].

ب- ما آل إليهم أمرهم: لقد اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على علي ﷺ وصرحوا بكفره، فجاء إليه رجلان منهم، وطلبا منه التوبة من خطيئة التحكيم، والذهاب لقتال القوم، فأنكر علي ذلك عليهم، لأنه صار بينه وبين القوم عهود يجب الوفاء بها، وأن التحكيم ليس ذنبًا فيتوب منه، وقد طلب منهم القتال من قبل فأبوا إلا التحكيم، والآن يرجعون إلى طلب القتال!!

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص (٣٠٥ – ٣٠٨) بتصرف.

فاجتمع الخوارج في مترل عبد الله بن وهب الراسبي، وأجمعوا أمرهم على الخروج إلى النهروان، وأن يجاهدوا، منكرين لهذه الأحكام الجائرة، وتناصحوا فيما بينهم، وأمروا عليهم "عبد الله بن وهب الراسبي، وقد تعاهدوا على الجهاد، وحرض بعضهم بعضًا على الخروج على الناس.

ثم ماذا؟ في الوقت الذي كان يتجهز فيه علي إلى الشام مرة أخرى، بعدما كان أمر الحكمين، بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فسادًا، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبل واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه "عبد الله بن خباب"" صاحب رسول الله ﷺ مع امرأته التي ذبحوها، وبقروا بطنها – وكانت حبلى- عن ولدها.

فلما بلغ الناس هذا من صنعهم، خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله، أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع فخافوا عائلتهم.

وأشاروا على "علي" بأن يبدأ بهؤلاء، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى الشام بعد ذلك، والناس آمنون من شر هؤلاء، فاجتمع الرأي على هذا، وفيه خيرة عظيمة لهم، ولأهل الشام أيضًا.

فأرسل علي إلى الخوارج رسولاً من جهته، فلما قدم عليهم قتلوه، ولم ينظروه، فلما بلغ ذلك عليًا عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام والبدء بهم، وبعد أن أنذرهم ودعاهم، كما وعظهم وتوعدهم كذلك، فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم، أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، ونادوا بالجهاد، واصطفوا للقتال، وكذلك نظم علي أصحابه للقتال، وأمرهم أن يرفعوا راية أمان للخوارج، وألا يبدءوهم بقتال، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على جيش "علي" الذي تركهم حتى توسطوهم ثم حملوا عليهم، فأناموهم تحت سنابك الخيول، وقتلوهم مع أمرائهم، قبحهم الله، ولم ينج منهم إلا

من انصرف قبل القتال أو فر أثناء القتال.

ولم يقتل من أصحاب "علي" إلا سبعة نفر، وجعل "علي" يمشي بين القتلى منهم ويقول: بؤسًا لكم، قد ضركم من غركم، فقالوا يا أمير المؤمنين: ومن غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس بالسوء أمارة، وغرتهم الأماني، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون، ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

كما بحث عن علامتهم – التي ذكره النبي ﷺ – إذ قال: **"وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض"**[١] فوجدوه كما وصفه النبي ﷺ، فكبر ثم قال: صدق الله ورسوله[٢].

ثالثًا: أشهر فرقهم:

إن الخوارج لما اختلفت صارت عشرين فرقة، وهذه أسماؤها:

المحكمة الأولى، والأزارقة، ثم النجدات، ثم البيهسية، ثم الصفرية، ثم العجاردة، وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقًا كثيرة منها: الخازمية، والشعبية، والمعلومية، والمجهولية، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والحمزية، والإبراهيمية، والواقفة، والصلتية، والأخنسية، والشيبية والشيبانية، والشمراخية، وافترقت الإباضية منها فرقًا حفصية وحارثية ويزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها.

واليزيدية منهم أتباع ابن يزيد بن أنيس، ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم.

---

(1) رواه مسلم.

(2) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص (٣١١- ٣١٧) بتصرف.

وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية، ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات، وبنات البنين، كما أباحته المجوس.

هذا.. وكبار الفرقة منهم: المحكمة والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة والثعالبة، والإباضية، والصفرية.. والباقون فروعهم.

ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر – ولكن هذا على خلاف بينهم – ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة، حقا واجبًا، قاله الشهرستاني، وقال شيخنا أبو الحسن الذي يجمعهما إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر.

ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب.

وأجمعوا على أن الخلافة ليست ركنا من أركان الدين، ويمكن للمسلمين أن يعيشوا بدون خليفة، وحسبهم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ ليفصل بينهم، وإذا دعت الضرورة لإقامة خليفة، فليس ضروريًا أن يكون من بيت علي، أو من قريش، بل يمكن أن يكون أي فرد من المسلمين، ولو كان عبدًا، إذا كانت متوفرة فيه الصلاحية لتولي الخلافة، وليس من حق من يختار للخلافة أن يتنازل عنها أو يقبل التحكيم بعد ذلك، وإذا جار الحاكم فعزله واجب ومحاربته فرض على كل مسلم.

وأما ما اختلفوا فيه فهو كثير جدًا، وأصدق ما يقال فيه: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢] ويتضح شيء من هذا مع ذكر آرائهم وأفكارهم بشيء من التفصيل، عند ذكر أشهر فرقهم، كل على

جده، بإذن الله تعالى[1].

١- **المحكمة الأولى:** هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جري أمر الحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة.

ورأسهم "عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعروة بن جرير، ويزيد بن أبي عاصم المحابير، وعرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، وكانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل، أهل صلاة وصيام، أعني يوم النهروان وهم المارقة المشار إليهم في حديث النبي ﷺ: **"سيخرج من ضئضيء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"**.

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الثدية.

وإنما خروجهم في الزمن الأول على أمرين، أحدهما: بدعتهم في الإمامة، إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إمامًا، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غيَّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله، وهم أشد الناس قولا بالقياس، وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدًا، أو حرًا أو نبطيًا، أو قريشًا.

البدعة الثانية: أنهم قالوا: أخطأ علي في التحكيم، إذ حكم الرجال، ولا حكم إلا الله، وقد كذبوا العلماء من وجهين:

أحدهما: في التحكيم، أنه حكم الرجال، وليس ذلك صدقًا، لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم.

(1) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١١٥ والفرق بين الفرق للبغدادي ص١٧، ١٨ بتصرف وص٥٥، ٥٦ بتصرف.

والثاني: أن تحكيم الرجال جائز، فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال، ولهذا قال علي ﷺ: "كلمة حق أريد بها باطل".

وتخطوا من هذه التخطئة إلى التكفير، ونعنوا عليا ﷺ لأنه قاتل في موقعة الجمل، فاغتنم الأموال وما سبي الذراري والنساء، وقاتل في صفين فما اغتنم ولا سبى، ثم رضي بالتحكيم كما طعنوا في عثمان ﷺ للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وصفين، وقالوا بكفر كل ذي ذنب ومعصية(١).

٢- الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق، الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا عليها، وعلى كورها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عماله بهذه النواحي.

وبدع الأزارقة ثمانية: إحداها: أنهم كفروا عليا ﷺ، وقال فيه ابن الأزرق هذا: إن الله أنزل في شأنه ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ** ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وصوب فعل "عبد الرحمن بن ملجم" — لعنه الله — وقال وإن الله تعالى أنزل فيه ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة، وزادوا عليها تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وابن عباس ﷺ، وسائر المسلمين معه، والحكم بتخليدهم في النار جميعًا.

الثانية: أنه كفر القعدة عن القتال معه، وكذا من لم يهاجر إليه، وأظهر البراءة منهم، وإن كانوا موافقين له على دينه.

الثالثة: إباحة قتل أطفال المخالفين، وكذا النساء معهن.

الرابعة: إسقاط الرجم عن الزاني: إذ ليس في القرآن ذكره، ولا قذف لمن قذف المحصنين من الرجال، وإنما يجب الحد على قاذف المحصنات من النساء فقط.

---

(1) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص (١١٥- ١١٧) بتصرف.

الخامسة: حكمه بأن أطفال المشركين مع آبائهم في النار.

السادسة: أن التقية غير جائزة في قول ولا عمل.

السابعة: تجويزه أن يبعث الله تعالى نبيًا يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافرًا قبل بعثته، والكبائر والصغائر إذا وقعت كانت بمثابة الكفر، وفي الأزارقة من يجوز الكبائر والصغائر على الأنبياء، فهي كفر.

الثامنة: اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة، ويكون مخلدًا في النار مع سائر الكفار، واستدلوا بكفر إبليس، وقالوا: ما ارتكب إلا كبيرة، حيث أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع، وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى.

٣- **النجدات العاذرية:** أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، وقيل عاصم.

وقالوا: الدين أمران: أحدهما: معرفة الله تعالى، ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام، وتحريم دماء المسلمين، يعنون موافقيهم، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع، والجهل به لا يعذر فيه.

والثاني: ما سوى ذلك، فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام.

قالوا: ومن جوز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر.

واستحل "نجدة بن عامر" دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية، وحكم بالبراءة ممن حرمها.

قال: وأصحاب الحدود من موافقيه، لعل الله تعالى يعفو عنهم، وإن عذبهم

ففي غير النار، ثم يدخلهم الجنة، فلا تجوز البراءة منهم.

قال: ومن نظر، أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك، وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظًا شديدًا، حتى أسقطه"(١).

٤- **البيهسية**: أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، وقد زعموا أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى، ومعرفة رسله، ومعرفة ما جاء به النبي ﷺ.

والولاية لأولياء الله تعالى، والبراءة من أعداء الله، فمن جملة ما ورد به الشرع وحكم به ما حرم الله وجاء به الوعيد، فلا يسعه إلا معرفته بعينه، وتفسيره والاحتراز عنه، ومنه ما ينبغي أن يعرف باسمه، ولا يضره ألا يعرفه بتفسيره حتى يبتلي به، وعليه أن يقف عندما لا يعلم، ولا يأتي بشيء إلا بعلم.

والإيمان هو أن يعلم كل حق وباطل، وإن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل، وعامة البيهسية على أن العلم والإقرار والعمل كله إيمان.

وذهب قوم منهم إلى أنه لا يحرم سوى ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وما سوى ذلك فكله حلال!!.

كما زعموا أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية، الغائب منهم والشاهد، ومنهم، ومنهم!!(٢).

---

(1) الفرق بين الفرق ص(٦٦- ٧٠) بتصرف.

(2) راجع بتوسع: الملل والنحل ص (١٢٥- ١٢٨).

٥- **العجاردة:** أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وافق النجدات في بدعهم، وقيل إنه كان من أصحاب أبي بيهس، ثم خالفه وتفرد بقوله: تجب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ويجب دعوته إذا بلغ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم، ولا يرى المال فيئًا حتى يقتل صاحبه، وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة، ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة، ويكفرون بالكبائر وينكرون سورة يوسف من القرآن، وهم قد افترقوا أصنافًا، ولكل صنف مذهب، فمنهم الصلتية، والميمونية، والحمزية والخلفية والأطرافية، والشعبية، والحازمية، ولكل هؤلاء آراء تختلف عن الأخرى كما أنهم يتفقون في أمور اتفقت عليها جل فرق الخوارج[١].

٦- **الثعالبة:** أصحاب ثعلبة بن عامر، كان مع عبد الكريم بن عجرد يدًا واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال، فقال ثعلبة: إنا على ولايتهم صغارًا وكبارًا حتى نرى منهم إنكارًا للحق ورضا بالجود، فتبرأت العجاردة من ثعلبة، ونقل عنه أيضًا أنه قال: ليس له حكم في حال الطفولة من ولاية وعداوة، حتى يدركوا ويدعوا، فإن قبلوا فذاك، وإن أنكروا كفروا.

وكان يرى أخذ الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا، وإعطاءهم منها إذا افتقروا.

وهم أصناف قد افترقوا فيما بينهم كالآتي: الأخنسية، والمعبدية، والرشيدية، والشيبانية، والمكرمية، والمعلومية، والمجهولية، والبدعية[٢].

٧- **الإباضية:** أصحاب "عبد الله بن إباض" الذي خرج في أيام مروان بن محمد، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله إبتبالة، وقيل: إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقًا له في جميع أحواله وأقواله.

(1) الملل والنحل ص (١٢٨- ١٣١)، والفرق بين الفرق ص (٧٢- ٨٠).

(2) الملل والنحل ص (١٣١- ١٣٤)، والفرق بين الفرق ص (٨٠- ٨٢).

قال: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، ومداراتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة.

وقالوا: إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغي، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة، لا كفر الملة، وتوقفوا في أطفال المشركين، وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا.

وحكى الكعبي عنهم: أن الاستطاعة عرض من الأعراض، وهي الفعل، بها يحصل الفعل، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى: إحداثًا وإبداعًا، ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين، ولا أنفسهم مهاجرين، وقالوا: العالم كله يفني إذا فني أهل التكليف، ومنهم من قال بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال أبو الهزيل، ثم اختلفوا في النفاق: أيسمى شركًا أم لا؟

وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة، فمنهم الحفصية والحارثية واليزيدية، هذا وفرقة الإباضية من أكثر الخوارج انتشارًا وأكثرها بقاء ولها وجود في عمان واليمن وليبيا وتونس والجزائر[1].

٨- الصفرية الزيادية: أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم

(1) الملل والنحل للشهرستاني ص (١٢٨- ١٣٤) بتصرف، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص (١٥- ١٩) بتصرف.

وتخليدهم في النار، وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه الحد كالزنا والسرقة والقذف، فيسمى زانيًا، سارقًا، قاذفًا، ولا يكون كافرًا مشركًا.

وما كان من الكبائر ما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف، فإنه يكفر بذلك، ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية.

ورأي زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهمًا واحدًا في حال التقية، ويحكي عنه أنه قال: نحن مؤمنون عند أنفسنا، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله، وقال: الشرك شركان: شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران: كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية.

والبراءة براءتان: براءة من أهل الحدود سنة، وبراءة من أهل الجحود فريضة[1].

رابعًا: أبرز رجال الخوارج:

(أ) "قديمًا" :

عرقوص بن زهير السعدي- عروة بن أذينة- عبد الله بن وهب الراسبي- مسعر بن فدكي التميمي- زيد بن حصين الطائي- عبد الله الكواء- ذو الثدية- زرعة بن البرج الطائي- سنان بن حمزة الأسدي- شريح بن أبي أوفى العبسي- عبدالله بن شجرة السلمي- عتاب بن الأعور- عروة بن جرير- يزيد بن أبي عاصم المحاربي- نافع بن الأزرق- نجدة بن عامر الحنفي- أبو فديك- عطية بن الأسود بن خالد- حمزة بن أدرك- خلف الخارجي- شعيب بن محمد- محمد بن رزق- حازم بن علي- ثعلبة بن عامر- أخنس بن قيس- معبد بن عبد الرحمن- رشيد الطوسي-

(1) الملل والنحل للشهرستاني ص (١٣٧- ١٣٨) بتصرف.

زيادة بن عبد الله بن إباض- حفص بن أبي المقدام- الحارث الإباضي- زيد بن أنيسة- عكرمة- أبو هارون العبدي- أبو الشعثاء- إسماعيل بن سميع"[1].

(ب) ومن المتأخرين:

اليمان بن رباب- ثعلبي، ثم بيهسي، وعبد الله بن يزيد، ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل، إباضية، ومن شعرائهم: عمران بن حطان، وحبيب بن مرة صاحب الضحاك بن قيس، ومنهم أيضًا: جهم بن صفوان وأبو مروان غيلان بن مسلم، ومحمد بن عيسى برغوث، وأبو الحسين كلثوم بن حبيب المهلبي، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري، وعلي بن حرملة، وصالح بن قتيبة بن صبيح بن عمرو، وموسى بن عمران البصري، وأبو عبد الله بن مسلمة، وأبو عبد الرحمن بن مسلمة، والفضل بن عيسى الرقاشي، وأبو زكريا يحيى بن أصفح، وأبو الحسين محمد بن مسلم الصالحي، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي، ومحمد بن صدقة، وأبو الحسين علي بن زيد الإباضي، وأبو عبد الله بن محمد بن كرام وكلثوم بن حبيب المرادي البصري[2].

خامسًا: أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم:

الاعتصام للشاطبي- البداية والنهاية لابن كثير- تاريخ الرسل والملوك للطبري- الحكم وقضية تكفير المسلم للمستشار البهنساوي- الحد الفاصل بين الإيمان والكفر للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، دعاة لا قضاة الشيخ حسن الهضيبي- شبهات التكفير للمؤلف - ظاهرة الغلو في التكفير أ.د/ يوسف القرضاوي- العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية للبغدادي- الفتاوى الكبرى لابن تيمية- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم- منهاج السنة لابن تيمية- المقدمة لابن خلدون- الملل والنحل

(1) البداية والنهاية، والملل والنحل.

(2) الملل والنحل ص (١٣٧- ١٣٨).

للشهرستاني- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري- مجموع فتاوى ابن تيمية- الخوارج كلاب جهنم للمؤلف.

خلاصة الوحدة الثانية

- الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة.

- نشأ الخوارج عقب التحكيم، بسبب فهمهم الخاطئ لمبدأ التحكيم، فقالوا: لا حكم إلا لله.

- نقم الخوارج على سيدنا علي ﷺ أمر التحكيم، ومحو اسمه من إمرة المؤمنين، وأنه قاتل و لم يسب.

- إن الخوارج قد عاثوا في الأرض فسادًا، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبل واستحلوا المحارم.

- قام سيدنا علي ﷺ بقتال الخوارج بالنهروان.

- اختلفت الخوارج إلى ما يزيد على عشرين فرقة.

- أشهر فرق الخوارج: المحكمة- الأزارقة- النجدات- البيهسية- العجاردة- الثعالبة- الإباضية- الصفرية- والباقون فروعهم.

- اختلاف الخوارج فيما بينهم يدل على أن منهجهم ليس من عند الله تعالى، كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ .

اختبار الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- الخوارج هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه بدءًا من خلافة علي ﷺ. ( )

٢- ظهر أمر الخوارج مع بداية التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فكفروهما، وكان بعدها أن خرجوا على جماعة المسلمين. ( )

٣- ترى الخوارج الخروج على الإمام حقًا واجبًا إذا خالف السنة. ( )

٤- أجمعت الخوارج على أن الخلافة ركن من أركان الدين، ولا يمكن للمسلمين أن يعيشوا بغيرها. ( )

٥- لا يشترط في الإمام على رأي الخوارج أن يكون قرشيًا أو من بيت علي، بل يكون أي فرد من المسلمين ولو كان عبدًا. ( )

٦- أباحت المحكمة الأولى قتل أطفال المخالفين، وكذا النساء معهن. ( )

٧- أسقط الأزارقة الرجم عن الزاني وقصروا حد القذف على قذف النساء دون الرجال. ( )

٨- علقت فرقة النجدات العاذرية الكفر في حق مرتكب الكبيرة أو الصغيرة على الإصرار. ( )

٩- زعمت العجاردة أنه تجب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، وتجب دعوته إذا بلغ وأن أطفال المشركين مع آبائهم في النار. ( )

١٠- ذهبت الثعالبة من الخوارج إلى أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين. ( )

ثانيًا أسئلة الاختيار من متعدد

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- متى نشأة الخوارج؟

- أيام النبي محمد ﷺ.
- في خلافة عثمان.
- بعد موقعة صفين.

٢- تعتبر الإباضية مرتكب الكبيرة :

- كافر كفر ملة.
- كافر كفر نعمة.
- مؤمن عاص.

٣- خالفت الصفرية الزيادية الأزارقة والنجدات والإباضية في أنهم:

- لم يكفروا القعدة من القتال.
- لم يسقطوا الرجم.
- كلا الأمرين

ثالثًا: الأسئلة التحليلية:

١- من هم الخوارج، ومتى كانت نشأتهم، وما الذي آل إليه أمرهم؟

٢- ما أهم معتقدات الخوارج؟ اذكر ما اتفقوا عليه،وما اختلفوا فيه؟

٣- اكتب بحثًا عن الخوارج ترد فيه على ما ذهبوا إليه من خلال القرآن والسنة؟

الوحدة الثالثة

الشيـعة

٩٠- الوحدة الثالثة: الشيعة

الأهداف التعليمية

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تذكر تعريفًا محددًا لفرقة الشيعة.

٢- توضح نشأة الشيعة وملابسات تلك النشأة.

٣- تبين أهم معتقدات الشيعة.

٤- تظهر أشهر فرق الشيعة.

٥- تعدد أبرز كتبهم ورجالهم قديمًا وحديثًا.

٦- تحدد أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم.

٧- تناقش حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة.

الوحدة الثالثة
الشيعة

- التعريف بفرقة الشيعة
- نشأة الشيعة
- أهم معتقدات الشيعة
- أشهر فرق الشيعة
- أبرز كتبهم ورجالهم
- أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم
- ما حكم التقريب بين السنة والشيعة
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الثالثة: الشيعة

أولاً: التعريف بفرقة الشيعة:

الشيعة في اللغة: تطلق كلمة "شيعة" لغة على الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد.

وهي كذلك تعني القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة، وهم كذلك أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع، ويقال شايعه كما والاه من الوالي(1).

وقد وردت كلمة "شيعة" في كتاب الله سبحانه، فيقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات: ٨٣] أي من أهل دين نوح عليه السلام (٢).

ويقول سبحانه: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥] أي فاستغاثه الذي من شيعته من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات(٣).

وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًا رضي الله عنه وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار لهم اسما خالصًا(٤).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج٢٧ ص٢٣٧٧ دار المعارف.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ج٤ ص١٢ مكتبة التراث الإسلامي.

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص (١٩٦).

(٤) لسان العرب ج٢٧ ص(٢٣٧٧).

الشيعة في الاصطلاح: للشيعة في اصطلاح العلماء عدة تعريفات منها:

١- هم الذين يشايعون عليًا رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ[١].

٢- هم الذين يشايعون عليًا ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده[٢].

وتعريف الأشعري الأول عام يشمل الشيعة جميعًا، وهو الذي أرجحه[٣].

٣- والشيعة في عرف الفقهاء والمتكلمين والباحثين تطلق على كل من يزعم أنه يدين بالحب لآل بيت النبي ﷺ وعترته بصفة عامة، ويدين بالولاء للإمام علي ﷺ وذريته من بعده، بصفة خاصة، وقد غلب هذا الاسم على هذه الفرقة من فرق المسلمين التي تزعم لنفسها التفرد بحب آل البيت، أو علي وذريته من بعده حتى صار ذلك اللفظ علمًا خاصًا على هذه الفرقة، فإذا قيل: زيد من الشيعة، عرف أنه من هذه الطائفة، وإذا قيل هذا الحكم عند الشيعة أو في مذهب الشيعة عرف أنه عند هذه الطائفة أيضًا[٤].

ثانيًا: نشأة الشيعة:

لقد تعددت الآراء والمذاهب حول نشأة الشيعة، والظروف التي أدت إلى ظهورها،

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري – تحقيق محمد محي الدين ط النهضة المصرية ط٢، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ مص (٦٥).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص (١٤٦)ط موسسة الحلبي.

(٣) أضواء على الشيعة د/ سيف الدين حسين يوسف ص (١٥، ١٦) ط مركز صالح كامل، طبعة أولى.

(٤) المقدمة لابن خلدون ص (١٣٨)، والنهاية لابن الأثير ج٢ ص (٧١)، تاريخ الفرق الإسلامية د/ محمود مزروعة ص (٢٠٢) بتصرف ط دار المنار.

ورجالها الأول الذين وضعوا نواتها وقعدوا لمبائدها وعملوا على انتشارها بحيث لو ترك المجال للقلم أن يكتب ذلك لطال الحديث عنه حتى يفرد له مؤلف خاص به، ولكن ليس ذلك مقصودنا من تلك الدراسة التي يراد بها التعريف بصورة مبسطة لهذه الفرقة.

واختصارًا للقول في تلك الجزئية نقول: يرى مؤرخو الشيعة أن مذهب التشيع قديم قدم الإسلام، ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فهذا وحي خاص بآل بيت رسول الله ﷺ وذوي قرباه، وتأكد هذا بنزول قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال ابن عباس والبراء بن عازب: "إن هذه الآية نزلت في فضل علي بن أبي طالب ﷺ وعندما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: **"من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه"** [(١)] فلقيه عمر بن الخطاب ﷺ فقال "هنيئًا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة"[(٢)].

قالوا: ومن هنا يستبين أن الذي بلغه رسول الله ﷺ لأمته بأمر من الله تعالى هو موالاة علي وأولويته بالإمامة، وهذا أظهر معاني التشيع الذي يدل على أن الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن من صاحب الرسالة كانت تمشي جنبًا إلى جنب مع الدعوة إلى التوحيد، والرسالة لمحمد ﷺ[(٣)].

كما قال الشيعة أيضًا: إن نواة التشيع كانت من أصحاب رسول الله ﷺ فهم

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل والبيهقي والنسائي، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ج٢ ص١٨١، ورواه الترمذي ونصه من كنت مولاه فعلي مولاه "بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر- كتاب المناقب "باب مناقب علي بن أبي طالب" ج٥ ص٥٩١، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير الفخر الرازي المسمى بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ج١١ ص٥٣ ط٣ سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م بيروت- لبنان.

(٣) الشيعة في التاريخ- محمد حسين الزيني ص(٣١) ج٢- ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م دار الآثار- بيروت، بتصرف.

كانوا أوائل الشيعة، لكنهم يركزون على عدد من الصحابة ﷺ على أنهم جاهدوا في نشر التشيع، والانتصار للإمام علي ﷺ، ومن هؤلاء الصحابة الذين ينوه الشيعة بذكرهم وفضلهم في نشر التشيع، من يسمونهم بالأركان الأربعة، أي: أركان المذهب الشيعي وهم: المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر- ﷺ أجمعين.

وبعض المؤرخين لا يتعصبون هذا التعصب المرفوض في نشأة التشيع، ويرون أن التشيع بدأ عند فريق من الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ ووقوع البيعة لخليفة المسلمين أبي بكر ﷺ بعد يوم السقيفة، حيث رأى بعض الصحابة أن عليًا أحق بخلافة رسول الله ﷺ، وذلك لقرابته من رسول الله ﷺ، وكأنهم ينظرون إلى الخلافة على أنها ميراث أدبي من حق قرابة رسول الله ﷺ، وكانوا يرون أن رسول الله ﷺ لو ترك ميراثًا ماديًا يورث لكان من نصيب قرابته وآل بيته، وبما أنه لم يترك إلا الخلافة، فإن قرابته هم الأحق بها، وكانوا يتأولون في ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وأنه قد بدأت نواة التشيع بعدد ضئيل من الصحابة الذين سبق ذكرهم- وكانوا أربعة- ثم ازداد ذلك العدد بعد أن ولي عثمان ﷺ الخلافة، ونقموا عليه أمورًا كان أولى ألا يقدم عليها- كذا زعموا- وأنه بذلك تكونت الشيعة بعد فتنة مقتل عثمان ﷺ، وخروج البغاة عليه، أو تكونت يوم موقعة الجمل حيث خرج المطالبون بدم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فكانت الشيعة ممثلة لجيش علي ﷺ.

ثم أضحت الشيعة ظاهرة يوم موقعة صفين، وخاصة بعد فتنة التحكيم، التي أجبر عليها "علي بن أبي طالب" من قبل فريق من جيشه، وهو يعلم أنها خدعة، فلما تجلى ذلك لهم، وقبل "علي" التحكيم وتوقف القتال، أدركوا أنهم السبب في هزيمته

وضياع الأمر من يده، ولم يجدوا طريقة يكفرون بها عن خطأهم في حق "علي" إلا بالدفاع عن حقه في الخلافة، ومحاولة إرجاعها إليه، وبعد مقتل "علي" ازداد شعور هؤلاء بالذنب، فانتقلوا بولائهم من علي إلى أبنائه محاولين إرجاع الخلافة إليهم، وكانوا يعتقدون أنهم إن لم يستطيعوا أن يعذروا إلى "علي" فيما ارتكبوه في حقه، فإنهم مستطيعون أن يعذروا إلى أبنائه من بعده، وكلما مضى الزمن ازدادت العقيدة الشيعية انتشارًا، وانثال عليها الناس متأثرين بشعورين:

١- شعور بالذنب.

٢- شعور بالرثاء والعطف.

ذلك أن أكثر أئمة الشيعة كانت حياتهم تنتهي بالقتل، وأحيانًا بالصلب والمثلة، وهذا الفعل كان يعمق الشعور بالذنب عند أنصارهم، ويخلق الشعور بالرثاء والعطف عند عامة المسلمين.

وزاد من حدة ذلك: مقتل الحسين ﷺ، وما تعرض له آل البيت من شدائد أو قسوة أو اضطهاد، ونظرًا لهذا أشفق الناس عليهم، وبذلك تكونت فرقة الشيعة، وكثر أتباعها، ووضعت لها المبادئ وقعدت القواعد، وحددت لها السمات[1].

وبعد هذا العرض المجمل لما قيل حول نشأة الشيعة من علماء الشيعة أنفسهم والمؤرخين لها نقول: والحق يقال: أن القول بأن الشيعة نشأت في عهد رسول الله ﷺ إنما هو مجرد زعم، وقول عار من الدليل، وما استدل به هناك من قرآن أو سنة إنما هو على غير وجهه، وليس في بابه، وليس فيه ما يدل على بوادر ظهور تلك الفرقة، وإنما يدل على منزلة علي ﷺ وذكر منقبة من مناقبه، كما أن لغيره من الصحابة مناقب ويدل على مكانة أهل بيت رسول الله ﷺ ووجود محبتهم بصفة خاصة فوق

(١) راجع بتوسع: عقائد الإمامية الاثني عشر تأليف السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ص ٢٧١ وأصل الشيعة وأصولها تأليف السيد محمد الحسين كاشف الغطاء ص ١٧٣، نقلاً عن: تاريخ الفرق الإسلامية د/ محمود محمد مزروعة صـ ٢٠٣: ٢٠٧.

حب سائر الصحابة، وهذا أمر معلوم لكافة المسلمين.

والقول بأن الشيعة نشأت بعد يوم السقيفة، لتقدم بعض الصحابة لعلي ﷺ على غيره في أمر الخلافة، فهذا لا يعدو إلا أن يكون رأيًا لبعض الصحابة، لم يرتفع لهم صوت، كما وقع بديل عنه في الأنصار ممن طالبوا بمبايعة "سعد بن عبادة ﷺ" أو من قال: منا أمير ومنكم أمير، فهذه وجهات نظر تبادلها الناس وقت المشورة، وقد اختفى بمبايعة الصديق ﷺ وأرضاه.

ومن زعم بأنها نشأت يوم فتنة الدار أي مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، عندما خرج عليه البغاة، فالحق أنها لم تنشأ في هذه الفترة أيضًا، لأن خروج البغاة الذين حاصروا عثمان في داره من الأمصار لم يكن تشيعًا لعلي أو انتصارًا له، بل إن عليًا وبنيه كانوا في مناصرة عثمان ضد البغاة حتى عزم الخليفة عليهم بأن يتركوه هم ومن معهم من المهاجرين والأنصار، وكانوا قريبًا من سبعمائة، فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسن والحسين، ومروان، وأبو هريرة وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه ولكنه قال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله، كما قال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر، فبرد القتال من داخل الدار، وحمي من خارجه، واشتد الأمر حتى كانت الساعة التي تم فيها للشيطان ما سعى إليه وتمناه[1].

أقول: وكذلك لم تظهر الشيعة بمعناها الاصطلاحي يوم موقعة الجمل، ولا صفين، وإن كانت هناك بوادر لظهورها متمثلة في الفتنة التي حرض عليها وأشعل نارها "عبد الله بن سبأ" الذي بالغ في العداء لأمير المؤمنين "عثمان" ﷺ وكال له الاتهامات بغير بينة ولا برهان، ونشر ذلك في الأقطار والأمصار، وزعم حب آل البيت، وادعى لعلي ﷺ الوصاية، وأنه أولى بالخلافة من كل من سبقوه، كما زعم

(١) البداية والنهاية لابن كثير م٤ ج٧ ص (١٨٩، ١٩٠) ط دار الفكر العربي.

القول بالرجعة للنبي ﷺ، لينتصر لوصية "علي"، وأخذ يغالي في حب "علي" ﷺ حتى قال بألوهيته، فكانت هذه هي بوادر نشأة تلك الفرقة، وإن كان لا يمنع من وجود أناس مخلصين كانوا يحبون عليًا ﷺ ولكنهم لا يفضلونه على أبي بكر وعمر، وهناك مفضلون وهم الذين يفضلونه على غيره من الصحابة، دون انتقاص أحد منهم، وهناك أيضًا الغالون الذين غالوا فيه فرفعوه إلى مرتبة النبوة، ومنهم من رفعه إلى مرتبة الألوهية، وأنه حل فيه جزء إلهي، إلى غير ذلك من أقوالهم فيه.

والحق يقال: أنه دخل في الشيعة أشتات من الناس، منهم المخلص لمبادئها، وأكثرهم المغرض الذي رأى في انضمامه إليها سبيلاً يصله بغرضه، ويقربه من هدفه، فقد تشيع كثيرون حبًا في علي وولده، وتشيع آخرون نفاقًا ووصولية، من هؤلاء- على الخصوص- جمهرة من أسلم من الفرس، حيث انضموا إلى الشيعة لأسباب كثيرة أهمها. مقتهم لبني أمية وتبرمهم من تركز السلطة في أيديهم وتعصبهم للعرب وإهمالهم شأن الفرس، وكذلك رغبة الفرس في إشاعة الفتن، وإذاعة القلاقل والمحن، كذلك كان الفرس يعيشون تحت سلطة ملك عتيد، عمَّر مئات السنين، وكانت تحكمهم أسرة (ساسان)، لذا فقد نشأوا على إيمان بأن الملك وراثي وأن دم الملوك لا يشبهه دم آخر، ومن هنا كانوا يرون أن ولاية الأمة الإسلامية التي كان على رأسها ﷺ هي من نصيب أسرهم أو أقربائهم.

واندس في صفوف الشيعة كذلك الحاقدون على الإسلام من الفرس والروم والنصارى والمجوس والوثنيين وأصحاب الديانات السابقة على اختلافها، كل هؤلاء اندسوا في الشيعة ثم أخذوا ينفثون سمومهم من تعاليم أديانهم ونحلهم حتى بدت الشيعة في صورة من المسخ العقلي والتلوث الفكري والشتات بين طوائفها الذي لا يكاد يجتمع على شيء، أو على مبدأ واحد.

إن الشيعة ليست مذهبًا واحدًا، بل مذاهب، وإن شئت قلت: بل هي مسخ من الأديان، أو الملل والنحل لخليط من أناس في صورة البشر- تظاهروا بالإسلام وهم يريدون أن ينشروا تعاليم أديانهم ومبادئ فلسفاتهم التي يدينون بها، وفي ذات الوقت- هم بنشر هذه التعاليم والمبادئ يعملون على إضعاف الدين الجديد بإشاعة البلبلة، وتفريق الكلمة، وهزيمة الأمة، وتقتيل بعضهم بعضًا، وفتح أبواب الجدل والمناقشة، وخلق جو من التشكيك في تعاليم الإسلام وبعض مبادئه، ولعل هذا يفسر لنا السر في أن كثيرًا من الطوائف التي انتسبت إلى الشيعة تحولت عن تعاليم الدين إلى فلسفات هَوَتْ بها في وهدة الكفر والإشراك[١].

فمن من الباحثين يستطيع أن ينكر تأثر الشيعة بالفرس في تقديسهم للملك والموارثة في الملك، وتشابه نظام الشيعة مع نظام الفرس واضح، وأن أكثر أهل فارس الآن من الشيعة، والشيعة كانوا من فارس[٢].

ومن من الباحثين يستطيع أن ينكر أن أصل الشيعة يرجع إلى ذلك اليهودي الخبيث "عبد الله بن سبأ" الذي ظهر في أواخر خلافة أمير المؤمنين "عثمان بن عفان" ﷺ وجاء من صنعاء إلى المدينة المنورة، مظهرًا إسلامه ومستترًا بتشيعه لعلي بن أبي طالب، زاعمًا حبه وحب آل البيت، وكان من ألد الأعداء لأمير المؤمنين "عثمان بن عفان" وولاته، وفي المدينة نشر أفكاره حول "علي بن أبي طالب"، وأنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيًا، وعلي هو وصي محمد ﷺ، وأنه سيرجع إلى الحياة الدنيا كما سيرجع عيسى عليه السلام، وقال: عجبت لمن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد، ثم قال بنبوة علي، ثم زاد في مزاعمه حتى حكم بألوهيته، وقال له: أنت أنت: أي أنت الله،

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ مزروعة ص (٢٠٦، ٢٠٧) بتصرف.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (٣٨) بتصرف، ط دار الفكر العربي.

وهمَّ علي بقتله، ولكن ابن عباس نهاه عن ذلك وقال له: إن قتلته اختلف عليك أصحابك وأنت عازم على الخروج لقتال أهل الشام، فنفاه إلى المدائن[1].

وبعد مقتل "علي بن أبي طالب" ﷺ استغل حب الناس له، وأخذ يروج أفكاره، وزعم أن عليًا لم يمت وإنما رفع إلى السماء كما رفع "عيسى ابن مريم" عليه السلام، وسيرجع بعد ذلك، وأن الذي رآه الناس مقتولاً إنما هو الشيطان تمثل في صورته، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، حيث رأوا قتيلاً يشبه عليًا، فظنوه "عليًا"، و"علي" قد صعد إلى السماء، وأنه سيترل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه، وزعم بعض السبئية أن عليًا في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه أو تبسمه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين، وقد روي عن عامر بن شرحبيل الشعبي أن "ابن سبأ" قيل له: إن عليًا قد قتل، فقال: "إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى يترل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها".

وقد رد البغدادي على ذلك فقال: إن كان مقتول "عبد الرحمن بن ملجم" شيطانًا تصور للناس في صورة علي فلم لعنتم "ابن ملجم" وهلا مدحتموه؟ فإن قاتل الشيطان محمود على فعله غير مذموم به.

وقلنا لهم كيف يصح دعواكم أن الرعد صوت علي والبرق سوطه، وقد كان الرعد مسموعًا والبرق محسوسًا في زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام، ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم واختلفوا في علتها[2].

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٣٩)، والخطط للمقريزي ج٢ ص (٣٣٢) بتصرف.

(٢) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم – تأليف الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي- تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ص (١٤٣، ١٤٥) الناشر دار الحلبي.

وذكر المستشرق "ولهوسن" أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهود أكثر مما نبعت من الفارسية، مستدلاً بأن مؤسسها "عبد الله بن سبأ" اليهودي[1].

وقد تأثرت الشيعة ببعض الأفكار اليهودية وذلك لانضمام أناس من اليهود إليها فصبغوها بصبغتهم، وكذلك فعل أصحاب كل دين ممن انضم إلى الشيعة.

وقال الشيخ محمد أبو زهرة، والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون مثل "عبد الله بن سبأ" منهم، لأنه ليس مسلمًا في نظرهم فضلاً عن أن يكون شيعيًا[2]!!

ونحن لا ننكر أن التشيع يمكن أن يكون بدأ حبًا ومودة لعلي بن أبي طالب ﷺ لمناقبه وأسبقيته في الإسلام ولشخصيته المتميزة بالخلال الكريمة، ولكنه لم يوجد بهذا الاسم في وقت مبكر ولا عندما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وإنما أثناء خلافة عثمان بن عفان ﷺ حدثت أحداث انتهت بقتله ﷺ، وقد استمر الحب والمودة لعلي ﷺ، وبعد ذلك بويع بالخلافة، ولم تكن فرقة الشيعة قد تكونت بعد، ولكنها تكونت بالمعنى الاصطلاحي المعروف بعدما وجد أن البيت العلوي لم يترل مترلته اللائقة به، وإنما تعرض للظلم والاضطهاد والتعذيب والقتل، وكان رجال البيت العلوي والمتعاطفون معهم يغذون هذه الفكرة بما استطاعوا من مال وتشجيع، ولكن ذلك وحده لا يساعد على بقاء الأفكار، ومن هنا أخذوا يبحثون عن سند من الدين، فلجأوا إلى القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة يستمدون منها في يسر أو تعسف ما يؤيد أفكارهم[3]، فإن لم يجدوا فيهما فإننا وجدنا من لم يتورع منهم أن يؤلف قرآنًا، بكتابة سور أو إضافة آيات، أو يكذب أحاديث على رسول الله ﷺ

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٢٧.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣٨.

(٣) أضواء على الشيعة د/ سيف الدين حسين ص (٣١) بتصرف.

ليكون ذلك لهم سندًا في دعواهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم.

وآل أمر الشيعة إلى شيع وأشياع، وأفرط الكثير منهم في "علي" وغالى، منه ما كان حبًا، والحب يعمي ويصم، ومنه ما كان تظاهرًا بحب علي، ولكن المعنى في بطن الشاعر، وكل يغني على ليلاه، ومن هنا فإن لم تكن الشيعة لها أصل يهودي أو فارسي فهي قد تأثرت بأفكار من انضم إليها من أصحاب الأهواء والديانات بما فيهم اليهود والفرس، ولا ينكر دور ابن سبأ وما له من سبق، ولا يتجاهل كذلك حق غيره، من حسني النوايا، الذين ليست لهم أغراض، وإنما تأثروا بما وقع لآل البيت، أو كانت لهم عاطفة جياشة نحوهم لم تنضبط بضوابط الدين، ومن قلدوهم بعد ذلك على مر السنين، والله أعلم بالسرائر والأعلان.

ثالثًا: أهم معتقدات الشيعة:

الأولى: قضية الإمامة هي أهم قضايا الشيعة، كما قال الشهرستاني، في الملل والنحل: وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وبتنصيب الإمام بنصبهم له، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً، وفعلاً، وعقدًا، إلا في حال التقية.

ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف: مقالة، ومذهب وضبط[1].

هذا واعتقاد الشيعة في الإمام فوق اعتقادهم في الأنبياء والرسل فهم يثبتون للأئمة

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٤٦، ١٤٧.

كل ما أثبتوه للأنبياء- سوى الرسالة-، فالإمام مصطفى ومختار من الله تعالى، وهو معصوم عن الكبائر والصغائر، والسهو والنسيان منذ ولادته حتى موته، كما أنه متره عن كفر الأبوين، ومن هنا ترى السر في ذهاب الشيعة إلى القول بإيمان أبي طالب، فإنهم كما نزهوا الأنبياء عن كفر الوالدين، كذلك نزهوا الأئمة عن كفر الوالدين، ولما كان أبو طالب هو والد الإمام الأول قالوا بإيمانه، وكفروا من قال فيه غير ذلك.

هذا وقد بدأنا بالكلام في الإمامة مع بداية الكلام عن أهم معتقدات الشيعة، لأنها تمثل- عندهم- ركن الإسلام، وأصل الدين، وهي رئاسة في الدين والدنيا، ومنصب إلهي لا يتم باختيار الناس، ولكنه يتم باختيار الله- تعالى- واصطفاء منه.

والإمامة هي وراثة النبوة، والإمام هو وريث النبي، فكما أن النبي يصطفيه الله ليقيم به أمور الدنيا والدين، ويرعى به مصالح العباد، ويبلغ به دينه، وينشر ذلك الدين، ويحافظ على تعاليمه من التغيير والتبديل، فكذلك الإمام هو مثيل للنبي في كل ذلك.

فالإمام مصطفى من الله تعالى، ولا اختيار للناس فيه، والإمام يتولى أمور الدنيا، ويرعى تعاليم الدين وشرائع الله من التغيير والتبديل، ويرعى مصالح المسلمين الشيعة.

والإمام له على الناس حق الطاعة والإذعان، دون مراجعة أو اعتراض.

والإمام يظل إمامًا طوال حياته، لا يترك منصبه لسبب من الأسباب، ولا يحل للمسلمين الخروج على أوامره أو محاولة خلعه من منصبه مهما كانت الدواعي.

والإمام الأول: علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- منصوص عليه من رسول الله ﷺ، ثم نص هو على من يليه، ثم نص من بعده على الذي يليه، وهكذا، لا يموت إمام حتى ينص على خليفته في الإمامة.

وقد نص الرسول ﷺ على إمامة "علي ﷺ" ثم ظل كل إمام ينص على الذي يليه حتى الإمام الحادي عشر، فقد نص على الإمام الثاني عشر، الذي هو الإمام

الغائب، المختفي، الحي، الذي سيخرج من كهفه المغيب فيه، فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورًا، وينتقم للشيعة من كل الذين ظلموهم[1].

مكانة الأئمة وصفاقم: للأئمة عند الشيعة صفات خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس، وربما ارتفعوا بأئمتهم في هذه الصفات فوق مترلة الأنبياء والمرسلين، وأهم هذه الصفات ثلاث:

أ- صلة الأئمة بالله: فالأئمة لهم- في نظر الشيعة- صلة بالله، ليست من جنس صلة الأولياء الصالحين، ولكنها من جنس الصلة الخاصة بالأنبياء والمرسلين.

ولهذا كان الأئمة يوحي إليهم كما يوحي إلى الأنبياء والرسل، والأئمة يتلقون الوحي كما يتلقاه الأنبياء فهم يتلقون الوحي في الرؤيا المنامية كإبراهيم الخليل عليه السلام ويتلقونه عن طريق الملك وساطة بينهم وبين الله.

وإذا كان الإمام يوحي إليه كالأنبياء، فما الفرق بينه وبين النبي؟

يجيب عن هذا صاحب أصول الكافي فيما رواه عن علي الرضا في الفرق بين النبي والرسول والإمام: "إن الرسول هو الذي يترل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص، والإمام هو الذي سمع الكلام ولا يرى الشخص.

ب- العصمة: من الفترة السابقة عرفنا أن الأئمة يوحي إليهم، ومن هذا المعنى تنتقل الشيعة إلى الخاصية الثانية من خصائص الأئمة، وهي "العصمة" فالأئمة ما داموا يتلقون الوحي عن الله سبحانه وتعالى فهم معصمون، والشيعة في هذا المجال يضفون من العصمة على أئمتهم ما لم يضفه أهل السنة على الأنبياء والرسل، فالأئمة

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ مزروعة ص (٢٢٧، ٢٢٩) بتصرف.

عندهم معصومون عن ارتكاب الصغائر والكبائر مترهون عن الخطأ والنسيان.

وكتب الشيعة مليئة بالحجج والأدلة التي أقاموها لإثبات عصمة الأئمة.

ج- **علم الأئمة:** وثالث صفات الأئمة التي اختصوا بها هي العلم، وعلم الأئمة علم من نوع خاص، فهم- في نظر غلاة الشيعة- قد أحاطوا بكل شيء علمًا، وقد أطلعهم الله على جميع أسرار الكون منذ خلق الدنيا حتى تقوم الساعة، وهم أحاطوا برسالات الأنبياء السابقين جميعًا، واطلعوا على كتبهم المترلة على اختلاف ألسنتها وعلومها، هذا بالنسبة للرسالات السابقة.

أما بالنسبة لرسالة محمد ﷺ: فقد أنزل الله على رسوله ﷺ مصحفًا للأمة كلها، واختص عليًا وحده بمصحف آخر، وجعله وقفًا على الأئمة ليس لغيرهم فيه قليل ولا كثير، وهذا المصحف فيه علم ما كان وما يكون منذ أنشأ الله الدنيا حتى تقوم الساعة.

وقصة ذلك المصحف أن السيدة فاطمة بنت محمد ﷺ بعد وفاة أبيها، وقبل أن تلحق به لقيت من المصائب والأحزان ما لا يعلمه إلا الله، وفي هذه الفترة ما بين موت أبيها وموتها، وكان جبريل عليه السلام يترل عليها ليواسيها ويسري عنها، وفي أثناء ذلك كان جبريل يحدثها عن كيفية خلق الله تعالى العالم، وماذا حدث فيه، وينقل إليها أخبار الماضين تفصيليًا، ويحدثها عن ذريتها وما سوف يحدث لهم وينبئها عن أخبار المستقبل.

كل ذلك، وزوجها "علي" يسمع ويكتب ويسجل كل ما يسمع، حتى إذا ماتت فاطمة- رضي الله عنها- كان قد تكون عند "علي" من ذلك مصحف قدر المصحف المحمدي ثلاث مرات، وفي هذا المصحف كل ما كان وما سيكون حتى قيام الساعة.

وهذا المصحف خاص بالأئمة، كل إمام يورثه للإمام الذي يأتي من بعده، وكل إمام يعلم الناس في زمنه من أسرار هذه المعلومة القدر الذي يستطيعون فهمه.

والإمام يعلم متى يموت، حتى الأئمة الذين راحوا ضحية الغدر والقتل غيلة،

وكانوا يعلمون ساعة قتلهم، ويعرفون قاتلهم، وراضين بهذا القتل،وهم يروون عن أئمتهم في العلم المخاريق العجيبة، ومما يروونه عن جعفر الصادق قوله: "إني لأعلم ما في الجنة وما في النار، وأعلم ما كان وكل ما سيكون، ولو كنت عند موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس لهما".

وقد عبر شاعرهم عن هذه العقيدة في علم الأئمة حين قال مخاطبًا أحد الأئمة:

لو كان علمك بالإله مقسمًا   في الناس ما بعث الإله رسولاً

والشيعة يعتقدون أن العلم قسمان: ظاهر وباطن، وأن الأئمة هم الذين يتفردون بهذين النوعين من العلم، وأنهم لا يفعلون شيئًا إلا بوحي من الله تعالى، وأنهم معصومون عن الخطأ.

وإذا نحن ضممنا هذه الثلاثة إلى بعضها خرجنا بالسبب الحقيقي وراء هذه الانحرافات الشنعاء التي وقع فيها بعض طوائف الشيعة، فصلة الإمام بالله صلة مباشرة، والوحي مستمر عنده، فإذا أضفنا إلى ذلك عصمته عن الوقوع في الخطأ، ثم أضفنا إلى هذين العلم الباطن، أدركنا أن الإمام لا يسأل عما يفعل، وكل ما يأتيه صواب، حتى لو أتى المنكرات، ذلك أنه معصوم عن الخطأ من جانب، وعنده علم الباطن من جانب آخر، ومن هذا الباب دخل إلى الشيعة طوائف الباطنية والحشاشين... الخ.

ولقد غلا الشيعة في اعتقادهم بضرورة وجود الإمام، حتى زعموا أن الأرض لن تخلو أبدًا من إمام عادل من أئمتهم، إن زاد الناس شيئًا رده، وإن نقصوا أتم، وإن ضلوا هداهم، ولو وجد في الأرض رجلان فقط لكان أحدهما هو الإمام المعصوم، والإمام ضروري لأنه نور الله في الأرض الذي يضيء للناس طريقهم، فهو المراد بقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فالنور هو الإمام،

وهو الهادي الذي جعله الله في كل قوم ليهديهم إلى الطريق المستقيم، فهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] فالأئمة هم نور الناس وهدايتهم وخزنة علم الله والوسطاء والشفعاء، ولن يقرب الجنة إلا محبوهم، ولن يدخل النار إلى مبغضوهم، والإيمان بهم جزء من الإيمان، وهو الإيمان بالله ورسوله.

فمن مات لا يؤمن بإمام مات كافرًا مهما كان علمه، وذلك أن حب الأئمة كاف في محو السيئات، وتكفير الذنوب، ولعل أصدق ما يعبر عن هذا قول شاعرهم:

حب علي في الورى جنة فامح به يا رب أوزاري

لـو أن ذميا نـوى حبه حصن في النار من النار

ولقد درج كثير من طوائف الشيعة على تقديس أئمتهم، وساروا في هذا الشوط إلى مداه، حتى خلعوا عليهم صفات لا يوصف بها إلا الله سبحانه وتعالى[1].

وقفة تصحيح:

إن قول الشيعة بأن الإمامة ركن الدين ولا يتم إلا بها، فهو حق أريد به باطل، ذلك أن المسلمين جميعًا يتفقون على وجوب تنصيب الإمام الذي يقيم شعائر الدين ويطبق أحكام الإسلام وحدوده، ويحافظ على حدود بلاد المسلمين ويرفع لواء الجهاد في وجه من يعتدون على بلاد المسلمين وينتهكون حرماتهم.

يقول ابن حزم الظاهري: اتفقت جميع الفرق الإسلامية على وجوب الإمامة، وأن الأمة فرض واجب عليها أن تقاد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ[2].

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ مزروعة ص (٢٣٠: ٢٣٥) بتصرف.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٤ ص (٨٧).

وقال الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع"[1].

أما الباطل الذي أراده الشيعة فهو الاستدلال بالنصوص العامة على وجوب تعيين الإمام في إمامة شخص معين هو الإمام علي أو الاثنا عشر إمامًا، فيستشهدون مثلاً بحديث رسول الله ﷺ "**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**"[2] بأنها البيعة لإمام أهل الزمان.

أو قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾ [الإسراء: ٧١] أو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [السجدة: ٢٤] بأن المقصود هو الإمام "علي بن أبي طالب" ومن بعده الأئمة المنصوص عليهم، مع أن الشيعة مختلفون في سلسلة الأئمة المنصوص عليهم اختلافًا بينًا.

والمقصود من هذه النصوص العامة التنبيه على ضرورة وجود إمام وتحديد صفات الإمام الذي تجب طاعته بصرف النظر عن اسمه أو شخصه، كما صح النص على صفة الشهود في الأحكام، وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة، وصفة الإمام في الصلاة، وصفة من يجوز نكاحهم من النساء دون حاجة إلى ذكر أسماء، فكل قرشي بالغ عاقل قادر على ولاية أمور الناس، قام بعد موت الإمام الذي لم يعهد إلى أحد، فبايعه الناس، فهو الإمام الذي تجب طاعته، ما حكم بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك، ويخلع إذا أمن أذاه، ولم يؤد خلعه إلى فتنة أكبر.

أما دعوى النص على "علي" أو غيره فهي لا تتفق مع الكتاب والسنة

(١) الأحكام السلطانية ص (٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

الصحيحة من جهة، ولا تتفق مع العقل من جهة أخرى.

- فلو كان هناك نص من كتاب أو سنة لما اجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين، بل كانوا يبايعون المعهود إليه مباشرة خاصة وهم أحرص الناس على اتباع رسول الله ﷺ.

- ولو كان هناك نص لما قال "عمر بن الخطاب" حينما طلب منه أن يختار خليفة للمسلمين من بعده: "إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني- يعني أبا بكر- وإن أترك فقد ترك من هو خير مني- يعني رسول الله ﷺ" وهذا نص صريح يفيد أن النبي ﷺ لم يستخلف أحدًا بعده.

- ومما ينفي النصية على شخص معين ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: "مات رسول الله ﷺ ولم يوص".

- وهل يعقل أن يكون هناك نص في "علي" ثم يتركه أبو بكر الصديق الذي قال للناس بعد أن تولى أمر المسلمين "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

- هل يعقل أن يترك صحابة رسول الله ﷺ نص حديث رسول الله أو معنى معلومًا لآية من الكتاب الكريم لحساب أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب؟!! [(١)].

ولو سلمنا جدلاً بحدوث هذا الأمر من أبي بكر، هل يعقل أن يترك علي بن أبي طالب هذه النصوص التي تثبت حقه ولا يواجه بها المجتمعين يوم السقيفة؟

وإن قالوا سكت "تقية" نسبوه إلى النفاق والمداهنة، وهو ما لا يرضاه مسلم لعلي بن أبي طالب القوي في الحق.

(١) الفرق والجماعات المعاصرة وجذورها التاريخية – أ.د/ سعد الدين السيد صالح ص (٤٩: ٥١) بتصرف- ط دار أحد للنشر والتوزيع.

يقول ابن حزم: ولا يجوز أن يظن بعلي ﷺ أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت، وهو الأسد شجاعة، قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات، ثم يوم الجمل وصفين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين، وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق "علي" ومنعه ما هو أحق به منذ مات رسول الله ﷺ إلى أن قتل عثمان ﷺ، ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه، إذ دعا إلى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه صاحب الأمر، والأولى بالحق ممن نازعه، فما الذي منعه ومنعهم من الكلام وإظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر وبقي الناس بلا رأي ثلاثة أيام، أو يوم السقيفة".

أما كان في جميع أهل الإسلام من المهاجرين والأنصار وغيرهم واد فقط تحلى بالصدق يقول يا معشر المسلمين، إن عليًا له الحق في الإمامة، وهذا هو نص رسول الله ﷺ!!

بل إن الثابت بالنصوص هو أنه لما أراد الناس بيعة علي ﷺ بعد استشهاد عثمان، وقالوا له: مد يدك نبايعك على خلافتك... قال: دعوني والتمسوا غيري، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا.

وقد ورد هذا النص في نهج البلاغة، وهو من مراجع الشيعة التي يعتمدون عليها.

فلو كانت إمامته من رسول الله ﷺ نصًا لما اعتذر هذا الاعتذار، ذلك أن الإمامة المنصوص عليها من الله واجبة الطاعة على الإمام وعلى رعيته، بل إننا نلاحظ أن عليًا بن أبي طالب قد بايع أبا بكر ولم ينازعه الأمر، ثم بايع عمر وعثمان، وحينما جاء دوره في الإمامة أراد أن يعتذر، ثم نلاحظ أن الحسن بن علي قد فوض الأمر إلى معاوية وبايعه، كما أن الحسين قد بايع معاوية أيضًا.

وكل ذلك يدل دلالة قاطعة على نفي النص على شخص معين.. فلو كان

الحسن والحسين إمامين منصوصًا عليهما من الله ورسوله كما زعمت الشيعة لما بايعا معاوية ﷺ.

إذ كيف يستحل الحسن والحسين رضي الله عنهما، إبطال عهد رسول الله ﷺ طائعين غير مكرهين؟ !!

فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه حين رأى أن بيعة يزيد باطلة، فلولا أنه رأى بيعة معاوية حقا لما سلمها له ولفعل كما فعل مع يزيد.

فما أعجب بعد ذلك إلا من تكفير كثير من الشيعة لأبي بكر وعمر وعثمان بحجة أنهم اغتصبوا الإمامة من علي وبنيه!!

فهل يجوز أن ننسب صحابة رسول الله ﷺ إلى مثل صفات الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكتمان الحق والاغتصاب وغير ذلك مما لا يليق بهم، خاصة وأن رسول الله ﷺ قد مدح أصحابه وجعلهم مصدر الهداية من بعده، يقول الرسول ﷺ **"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ......"** [(١)] ويقول ﷺ: **"اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر"**[(٢)].

وفي هذا رد على الإمامية الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر، بل إن عليًا نفسه قد قال على منبر الكوفة: "لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري – أي ثمانين سوطًا".

وفي هذا دليل أيضًا على بطلان قول الرافضة من الشيعة الزيدية بأن عليًا لم يبايع إلا تقية.

فكل هذه أدلة تنفي القول بالتقية، وتهدم مبدأهم الأساسي الذي انطلقوا منه

(١) رواه الترمذي برقم ٢٦٠٠، وأبو داود برقم ٣٩٩١، وابن ماجة برقم ٤٢.

(٢) مسند أحمد برقم ٢٢٢٩٦، وسنن الترمذي برقم ٣٣٩٥، وابن ماجة في المقدمة ٩٤.

إلى سائر معتقداتهم الفاسدة.

إذًا ما هو مصدر تلك المقولة الخطيرة التي فرقت الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا.

سبق أن قلنا: إن أول من ابتدع القول بالتقية هو "عبد الله بن سبأ" اليهودي اللعين، ليشتت بها شمل المسلمين، وتلقفها من بعده الشيعة وجعلوها من أصول الإيمان عندهم.

ولكي يستدلوا على ما ذهبوا إليه، وليستميلوا جهلة المسلمين وعوامهم ذهبوا إلى كتاب الله العزيز، واختاروا منه الآيات العامة التي تمدح المؤمنين وأوليائه من المتقين وخصصوها بعلي وبنيه، وأسعفهم في ذلك واضعوا الحديث والمؤرخون والمضللون الذين فسروا بعض الأحاديث على هواهم، ومنها الأحاديث التي وردت في مدح "علي" على أنه ورد أضعافها في مدح أبي بكر وعمر وعثمان.

وخذ على سبيل المثال لا الحصر قول رسول الله ﷺ في أبي بكر ﷺ: **"لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي"**[1] وقوله في عمر بن الخطاب ﷺ **"لو كان بعدي نبي لكان عمر"**[2] وقوله في عثمان ﷺ: **"ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة – يعني عثمان"**[3].

فهل إذا ورد حديث يقول: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، أو قال: "أقضاكم علي"[4] أو قال: **"أنت مني بمنزلة هارون من موسى"**[5] يكون هذا نصًا على إمامته

---

(١) رواه البخاري ومسلم في فضائل الصحابة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) أثر موقوف على صحابي، قاله عمر: أقضانا علي، وهو في البخاري، كتاب التفسير برقم ٤١٢، ومسند أحمد، في مسند الأنصار برقم ٢١٧٢.

(٥) رواه البخاري ٣٤٣٠ كتاب المناقب، ومسلم برقم ٤٤١٨، ٤٤٢١، والترمذي برقم ٣٦٥٨، وابن ماجة ١١٢، وأحمد ١٣٨٤.

خاصة مع أن هذا الحديث الأخير قاله الرسول ﷺ في ظروف خاصة، فقد خرج الرسول ﷺ في غزوة تبوك واستخلف عليًا على المدينة، فغضب علي، وكره أن يبقى وحده مع النساء والصبيان والعجزة، وينهض جميع الصحابة للجهاد- وهو المحارب الشجاع- فأراد الرسول ﷺ أن يطيب خاطره فقال: **"ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"**.

وهذا الحديث لا يثبت الإمامة لعلي، غاية ما فيه: إثبات فضيلة من فضائل الإمام علي، ولم يتعرض الحديث لكونه أفضل من غيره، فقد أراد النبي ﷺ فقط من وراء مقاله أن يطيب خاطره، ومما يؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد النبي موسى عليهما السلام، بل كان نبيًا معه، ولا يلزم من التشبيه المساواة في كل الأحوال، وقد استخلف موسى هارون في حياته حينما ذهب لميقات ربه[1].

يقول ابن تيمية: ولم يقل أحد من العقلاء أن من استخلف شخصًا على بعض الأمور، وانقضى ذلك الاستخلاف أن يكون خليفة بعد موته على شيء[2].

ولو كان الاستخلاف يدل على أنه أفضل أو أنه الخليفة -كما زعموا- لاقتضى الأمر أن يكون "ابن أم مكتوم" خليفة بعد النبي ﷺ، لأنه استخلفه على المدينة، واستخلف غيره أيضًا، فلم خصصتم عليًا بذلك دون غيره مع الاشتراك في الاستخلاف؟ ولو كان هذا من باب الفضائل لما وجد علي في نفسه وقال: أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفاء!!

هذا فضلاً عن أن الاستغراق ممنوع، إذ من جملة منازل هارون كونه نبيًا مع

(١) الإمامة العظمى د/ عبد الله بن عمر الدميجي ص (٣٢٥) نقلاً عن: الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة.

(٢) منهاج السنة النبوية ص (٩١).

موسى، وعلي ليس بنبي اتفاقًا منا ومنكم، ولا مع النبي ﷺ ولا بعده، فلو كانت المنازل الثابتة لهارون- ما عدا النبوة بعد النبي- ثابتة لعلي لاقتضى أن يكون نبيًا مع النبي ﷺ، لأنه النبوة معه لم تستثن، وهي من منازل هارون عليه السلام، وإنما المستثنى النبوة بعده، وأيضًا من جملة منازل هارون كونه أخًا شقيقًا لموسى، وعلي ليس بأخ، والعام إذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالته ظنية، فليحمل الكلام على منزلة واحدة كما هو ظاهر التاء التي للواحدة، فتكون الإضافة للعهد، وهو الأصل فيها، فمنزلة علي هي استخلافه على المدينة في غزوة تبوك كما استخلف موسى هارون على بني إسرائيل أيام الميقات.

وأما حديث "غديرخم" "**من كنت مولاه فعلي مولاه**" فقد فهمه الشيعة فهمًا مغالطًا، فقالوا: إن المولى بمعنى الأولى بالتصرف، وكونه أولى بالتصرف هو عين الإمامة!!

وهذا الكلام منهم مغالطة، فإن أهل العربية لا تقول المولى بمعنى أولى بالتصرف، فهناك فرق بين الولي وبين المولى والوالي، فباب الولاية التي هي ضد العداوة شيء، وباب الولاية التي هي الإمارة شيء، والحديث هو في الأولى دون الثانية، والنبي ﷺ لم يقل من كنت واليه فعلي واليه، بل من كنت مولاه، إذًا فهو أولى بالمحبة والتقدير والتعظيم، وولاية النصر والمودة، فهذا الحديث لا يدل على ولاية السلطة التي هي الإمامة والخلافة، ولكنه المعنى الثاني المراد، وهو من كنت ناصرًا له ومواليًا له فعلي ناصره ومواليه، أو من والاني ونصرني فليوال عليًا وينصره، وهذه منقبة عظيمة لعلي رضي الله عنه، وقد فهم الصحابة معنى ذلك "**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**" عندما لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: هنيئًا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وأما حديث "**أقضاكم علي**" فلا دلالة فيه على الإمامة، بل هو يدل على سمة

خاصة تميز بها علي، كما تميز غيره من الصحابة ببعض السمات، فقد قال رسول الله ﷺ "**أفرضكم زيد، وأقرأكم أبي، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ**" فهذه من الخصائص أو المناقب أيضًا، فبراعة علي ﷺ في القضاء ثابتة، ولكن لا يستدل بها على الإمامة أيضًا.

وأما استشهادهم بحديث "**أنا مدينة العلم وعلي بابها**" فهو موضوع، ولا أصل له في كتب السنة المعتمدة، ومع التسليم جدلاً بصحته فهو لا يثبت دعواهم.

ومثله حديث "**سلموا على علي بإمرة المؤمنين**" فهو موضوع اتفاقًا فهل بمثل هذا تثبت الخلافة؟ هذا وقد أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده.

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن القول بوصيته ﷺ لعلي كذب وبهتان وافتراء عظيم، وقال: "وأما ما غير به كثير من الجهلة الشيعة والقصاص الأغبياء من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهتان وافتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته، وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب.

وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن وإجماع السلف والخلف في الدنيا والآخرة، ولله الحمد[1].

وخلاصة الرد على الشيعة أن صحابة رسول الله ﷺ لم يكونوا من العقوق لرسول الله ﷺ بأن يصل أمرهم إلى حد إهمال نصوصه وتوجيهاته، وإنما كانوا

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص (٢٤٥).

حريصين كل الحرص على طاعة الله ورسوله، مما يدل على أنه لم يكن هناك نص على إمامة أحد، وإلا لتمسك به "علي" وسائر الصحابة.

وكيف تكون الإمامة بالنص والتعيين في اثني عشر إمامًا، والرسول يقول **"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عضوضًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"**[(١)].

إذا فكيف يكون هناك نص على اثني عشر إمامًا هم الذين يستوعبون ما بقي من عمر الدنيا، بعد وفاة الرسول ﷺ؟ إن هذا التحديد لا يتفق مع العقل، ولا مع الحديث السابق الذي تحدث عن المستقبل السياسي للأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ فعرض لنا مراحل واقعية مرت بها الأمة.

إن صحابة رسول الله ﷺ الذين شهد القرآن بعدالتهم لا يمكن أن نقبل فيهم تجريح الشيعة ونسبتهم للكفر والظلم!! ألا يكفي في صحابة رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح: ١٨] وكانوا ألفًا وأربعمائة صحابي، وقوله سبحانه: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ [التوبة: ١١٧].

ألا تكفي كل هذه النصوص، وهي قليل من كثير- في بيان فضل صحابة رسول

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٧٦٨٠ بسند صحيح.

الله ﷺ وعظم مترلتهم عند الله؟ فكيف يسمح مسلم لنفسه أن يطعن فيهم ويرميهم بالكفر أو الفسق أو الظلم والعدوان، بل إن من الشيعة من عاب عليًا نفسه وقال: إنه قصر في حقه، وأنه كان يجب عليه أن يخرج داعيًا لنفسه وأن يظهر الحق ولا يكتمه.

وإنه لتناقض عجيب وقع فيه هؤلاء الشيعة حيث إنه من مبادئهم أن الإمام المنصوص عليه هو أعلم الناس بالشريعة، وهو دائرة التلقي والعلم، فكيف يعيبون عليه أنه قصر في حقه؟ وكيف يملون عليه ما كان ينبغي أن يفعله وهم الذين يزعمون أنه مصدر العلم والهدي؟!!

ونتساءل في نهاية هذه المناقشة: لماذا صرف الله الإمامة عن آل البيت، ولماذا لم ينص رسول الله ﷺ على إمامة أحد من آله من بعده؟

والجواب: أن الله صرف الإمامة عن آل البيت إكرامًا لهم وتبرئة للنبوة ولبيت النبوة، فإن النبوة لا تورث، ومن أجل هذا صرف الله الخلافة عن عشيرة النبي وآله وأبنائه، فلم ينلها واحد منهم بنص منه، وذلك تبرئة لنبيهم ﷺ وقد كانت المنافسة شديدة بين بني هاشم وبين القبائل العربية الأخرى حول الرياسة والقيادة، ولو ورَّثها النبي ﷺ لواحد من آله لظن الناس أنها ملكًا وليست نبوة، يقول أبو بكر رضي الله عنه: "إن الله أبى أن يجمع لأهل البيت بين النبوة والخلافة" ولو رجعنا إلى زمن النبي ﷺ لوجدناه لم يستعمل أحدًا من بني هاشم في رياسة أو إمارة، ولقد طلبها عمه العباس، وفي رواية "حمزة" فقال يا عم: **"نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها"**(١) بل إن الرسول ﷺ منع أبناءه إرث ماله، فقال: **"نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة"**.

ولذلك فإن أبا بكر وعمر لم يستعملا أحدًا من بني هاشم في إمارة أي بلد من

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم ٦٣٥٠.

بلدان المسلمين جريًا على سنة رسول الله ﷺ، ولذلك قال الفاروق عمر لابن العباس: أنتم أهل النبي، فما تقول في منع قومكم لكم؟ قال ابن العباس: لا أدري والله، ما أضمرنا لهم إلا خيرًا، فقال الفاروق: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء بذخًا وشمخًا، وإن قريشًا لتنظر إليكم نظر الثور إلى جازره[1].

ومن هنا ترك الأمر لرأي الأمة فإن اختارت من تلقاء نفسها واحدًا من آل البيت فهذا شأنها، أما أن يرثها آل البيت بنص فهذا ما لم تكن قريش لتقبله، ولهذا قدمت من بعده من هو أفضل بعملة ودينه وسبقه في الإسلام وهو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين[2].

سيدنا علي والخلافة:

لم يؤثر عن الإمام علي ﷺ أنه ذهب إلى تقديس الخلافة، أو أنه جعل الإمامة ركنًا من أركان العقيدة، ولكن الذي أثر عنه- طبقًا للمصادر الإسلامية من شيعية وغير شيعية- أنه كان زاهدًا فيها غير حريص عليها، هذا فضلاً عن حبه للخلفاء الراشدين الذين سبقوه، ومودته لهم، وإصهاره إليهم، ورثائه إياهم عندما توفوا إلى رحمه الله تعالى.

يروي ابن أبي الحديد- كما سبق- هذا القول للإمام علي في الخلافة: "دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، و لم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطيعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم

(١) الوشيعة في عقائد الشيعة- موسى الجار الله ص (٥٦).

(٢) الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة ص (٥٦- ٥٨).

مني أميرًا"[1].

وفي كلمات أخرى- يرويها ابن أبي الحديد- عن سيدنا علي قوله "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلما أفضت إلي، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وما أمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استسن النبي ﷺ فاقتديته[2].

وهكذا تحمل سيدنا علي أمانة الخلافة استجابة لطلب المسلمين، و لم يخطر بباله أنها منصب إلهي أو ركن من أركان العقيدة الإسلامية.

وهذا أستاذ شيعي يشهد ويجتهد في المسألة وهو الدكتور "موسى الموسوي" في كتابه "الشيعة والتصحيح" فيرى أن عليًا أولى بالخلافة- وليس بالإمامة على الصورة التي رسمها الشيعة المتأخرون زمانًا- ولكن المسلمين بايعوا الخلفاء الراشدين، و"علي" بايعهم، ثم بايع المسلمون عليًا بعد عثمان، فلا غبار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين من أبي بكر إلى علي[3].

ويمضي المجتهد الإيراني الشيعي الدكتور موسى الموسوي في القول بأن الإمام عليًا كان يؤكد على شرعية بيعة الخلفاء الراشدين قائلا: ومرة أخرى نقول: إن هناك فرقًا كبيرًا بين أن يعتقد الإمام علي والذين كانوا معه أنه أولى بخلافة رسول الله ﷺ من غيره، ولكن المسلمين اختاروا غيره، وبين أن يعتقد أن الخلافة حقه الإلهي ولكنها اغتصبت منه، ثم يقول: والآن فلنستمع إلى الإمام علي وهو يحدثنا عن هذا الأمر بكل وضوح وصراحة، ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء، وعدم وجود نص

---

(١) نهج البلاغة ج١ ص (١٨٢).

(٢) المصدر السابق ج٢ ص (١٨٤).

(٣) الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص (١٤).

سماوي في أمر الخلافة، ويردد قولاً للإمام- ذكره ابن أبي الحديد- وهو: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضي، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين".

وفي موضع آخر من كتابه "الشيعة والتصحيح" يعود الدكتور موسى ليؤكد على شرعية الخلفاء الراشدين، وبيعة الإمام علي لهم قائلاً: إذا كانت الخلافة بنص سماوي، وكان هذا النص في علي، هل كان بإمكان الإمام علي أن يغض النظر عن هذا النص ويبايع الخلفاء ويرضخ لأمر لم يكن من حقهم(1)؟

رأي الإمام علي في الخلفاء الراشدين:

كان الإمام علي شديد الحب للخلفاء الراشدين، كثير التعاون معهم في دراسة مشاكل المسلمين، وتحمل مسئولية الحكم إبان أسفارهم، وكانوا ينتدبونه إلى ذلك، ولعل أبلغ ما يمكن أن يصور مكانة أبي بكر في قلب الإمام علي هو خطبة الإمام حين وقف على بابه يخاطبه يوم وفاته قائلاً: "رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم يقينًا، وأعظمهم عناء، وأحفظهم على رسول الله ﷺ خلقًا، وفضلاً وهديًا وسمتًا، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرًا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صديقًا، ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣] يريد محمدًا ويريدك، وكنت والله للإسلام حصنًا،

---

(1) المرجع السابق ص (١٩، ٢٠).

وعلى الكافرين عذابًا، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك وكنت كالجبل لا تحركه العواصف، وكنت كما قال رسول الله ﷺ، ضعيفًا في بدنك، قويًا في أمر الله، متواضعًا في نفسك، وعظيمًا عند الله، جليلاً في الأرض، كبيرًا عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع، ولا لأحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك".

هذا هو رثاء أمير المؤمنين "علي" لأمير المؤمنين "أبي بكر"، أو بالأحرى هذا رأيه فيه، وتلك دمعة سكبها لفراقه، أفمثل هذا الذي رثاه سيد علي بهذه المعاني يمكن لأتباع سيدنا علي أن يرموه بالكفر والردة، وأن يصفوه بالجبت والطاغوت؟

والرأي نفسه قاله أمير المؤمنين علي في عمر وعثمان، وهو كلام جميل كله صدق وأدب، وهو كلام موثق لا كذب فيه ولا تلفيق.

إن المجتهد الدكتور الموسوي يستعرض الكثير من هذه المواقف ويرددها ثم يقول: لا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة، والكلام الذي يغاير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية، ويناقض كلام الإمام علي ومدحه وتمجيده في حقهم، ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين، وتقدر منزلتهم من الرسول ﷺ، فالنبي ﷺ صاهر أبا بكر وعمر، وعثمان صاهر النبي ﷺ مرتين، وعمر بن الخطاب صاهر عليًا وتزوج من ابنته أم كلثوم.

ويستطرد المجتهد الشيعي الجليل قائلاً: ولا أطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام عليًا أكثر مما قاله الإمام في حقهم، فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام "علي" لانتهى الخلاف وساد الأمة

الإسلامية سلام فكري عميق، فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى[1].

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة: "هذا كلام عالم شيعي مجتهد جليل، يشاركه رأيه في هذا الموضوع كثير من علماء الشيعة وأعيانهم المعاصرين الذين تربطنا بكثير منهم روابط أخوة إسلامية ومودة قلبية وأواصر متينة من الود والمحبة..

وإذا كان العالم المجتهد الدكتور الموسوي قد فصل الأمر في علاقات الحب والاحترام المتبادل بين الإمام علي والخلفاء الراشدين السابقين عليه، فإننا نضيف إلى قوله، إن الإمام عليًا لشدة تعلقه بالخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه قد سمي ثلاثة من أبنائه بأسمائهم، فلقد سمي أحد أولاده "أبا بكر" وسمى ولدًا ثانيًا "عمر" وسمى ولدًا ثالثًا "عثمان"، وهذه قرينة كبرى على حب سيدنا علي لإخوانه الراشدين صحابة رسول الله ﷺ[2].

وإليك مزيدًا من مواقف علي بن أبي طالب من الخلافة وممن سبقه من الخلفاء:

روى الإمام يحيى بن حمزة الزيدي عن سويد بن غفلة أنه قال: مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- فأخبرت عليًا ﷺ، وقلت: لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترؤا على ذلك، فقال علي ﷺ: "نعوذ بالله، رحمنا الله" ثم قام فأخذ بيدي فأدخلني المسجد، فصعد المنبر، ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر عليها، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب فقال: "ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ ووزيريه، وصاحبيه، وسيدي قريش، وأبوي المسلمين، وأنا مما يذكرون بريء، وعليه معاقب، صحبا رسول الله ﷺ بالحب الوفاء والجد في أمر الله، يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان، ولا يرى

(١) الشيعة والتصحيح ص (٤٧، ٤٨) نقلاً عن: إسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة.

(٢) إسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة ص (٢١٦) ط الدار المصرية اللبنانية.

رسول الله ﷺ كرأيهما رأيًا ولا يحب كحبهما حبًا، لما يرى من عزمهما في أمر الله، فقبض ﷺ وهو عنهما راض، والمسلمون راضون، فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما أمر رسول الله ﷺ ورأيه في حياته وبعد موته، فقبضا على ذلك- رحمهما الله- فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما إلا شقي مارق، فحبهما قربة وبغضهما مروق... (١)

فالله أكبر... هذا قول علي في الشيخين ورأيه فيهما، فعلى أي شيء يلعن الشيعة أبا بكر وعمر خاصة، والصحابة عامة؟!!!

هذا... وتزعم الشيعة أن عليًا وصي رسول الله وخليفته بنص أو وصية، فأين هذا النص وتلك الوصية؟ ولماذا لم يخرجها علي يومًا أو يعلنها على الناس، ولماذا لم يعرفها أحد من الصحابة فيعلنها في حينها عند مبايعة أبي بكر الصديق أو من قبل ذلك أو من بعده؟!!

وماذا نقول في هذا النص الذي يدل على عدم وجود وصية أصلاً، وهو في ذلك واضح وضوح الشمس في جلاء النهار، حيث روت كتب السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن عليًا خرج من عند النبي ﷺ وهو في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟ فقال علي: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده العباس، وقال: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى من وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب إلى رسول الله فاسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا، فقال علي: أما والله لئن سألناه فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني لا أسألها".

وواضح من هذه الرواية عن ابن عباس أنه لم يكن هناك نص ولا وصية ولا

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ مزروعة ص (٢١٠).

تعيين على إمامة علي ﷺ.

وكيف يقال: إن النبي ﷺ قد أوصى بالخلافة لعلي ﷺ، وهو الذي سارع إلى مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ بمجرد سماعه مبايعة المسلمين بالخلافة، أو بعد ستة أشهر- كما قيل- حيث كان منشغلاً بزوجه فاطمة رضي الله عنهما.

ومما يدل على أن عليًا بايع أبا بكر منذا البداية، ورضي بخلافته، ما رواه الطبري من أن أبا سفيان بن حرب جاء إلى "علي" عقب تولية أبي بكر الخلافة، وقال له: "ما بال الأمر- يريد الخلافة- في أقل حي من قريش، والله إن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً" فقال له علي: "يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره شيئًا، وأنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً".

هذا... وليس هناك من يقرر وجوب تعيين وصيٍّ على الله تعالى، ولا من يقرر أن الله تعالى قد عين وصيًا لكل نبي إلا هؤلاء الشيعة، وكل ما استدل به في هذا الباب فهو إما أنه صحيح في نفسه، لكنه وضع في غير موضعه، وفسر على غير وجهه، وإما أنه ليس صحيحًا أصلاً.

فزعمهم أن قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] لم يترل إلا بعد أن عين الرسول ﷺ عليًا ﷺ إمامًا، حيث لا يكمل الدين ولا تتم النعمة إلا بتعيين الوصي والإمام!! كلام مرفوض، ودليل متهافت، ومذهب فاسد، لا يذهب إليه إلا جاهل، ولا يقول به إلا سفيه.

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨] أن الله هو الذي يختار الإمام، ولا يحق للناس اختياره، وهو أفسد من سابقه.

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ... ﴾ [المائدة: ٦٧] إنما نزلت في علي، حيث اختاره الله وصيًا،

وأبلغ الرسول ﷺ بذلك، وأمره أن يبلغ الناس ذلك، بل ويقرأ بعض فرق الشيعة الآية هكذا (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي)!! وليس الأمر كذلك، بل هو السفه والجنون وتحريف الكلم عن مواضعه.

وزعموا أن قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] أن المقصود هو الإمام من أئمتهم وأن الله قد أعطى الأئمة فهم كل شيء والإحاطة بكل شيء.

أو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] قالوا: المنذر رسوله الله ﷺ، والهادي هو علي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ قالوا مسئولون عن ولاية علي ومشايعته ﷺ !!!

هذه هي الآيات التي يستدلون بها على أن الله تعالى قد عين الإمام عليًا وصيًا ووليًا بعد رسول الله ﷺ.

ومن الواضح أن فهمهم للآيات خاطئ، وأنهم أولوا الآيات على هواهم، وليس في الآيات آية واحدة تشهد- من قريب ولا من بعيد- لما ذهبوا إليه[1].

ذلك أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، دلت على أن الله تعالى أنعم على هذه الأمة حيث أكمل لها دينها،فلا تحتاج إلى دين غيره،ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله،ولا حرام إلا ماحرمه، ولا دين إلا ما شرعه،وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف،كما قال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ [الأنعام:١١٥]، أي صدقاً

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٣٢) بتصرف.

في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي،فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة،حيث بعث إليهم أفضل الرسل وأنزل عليهم أشرف الكتب،وبكمال الدين لا يحتاجون إلى زيادة عليه أبدا،وقد أتمه الله فلا ينقص أبدا،وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا[1].

وقد نزلت الآية يوم نزلت،ولم يكن هناك خلافة ولا إمامة ولا وصاية،فدل على أن الآية في غير ما ذهبوا إليه،وما استدلوا به.

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧]، فقد خاطب الله تعالى فيها عبده ورسوله محمدًا ﷺ باسم الرسالة وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به،وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم قيام، ورضي الله عن عائشة حيث قالت: "من حدثك أن محمدا كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب".

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوداني قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن،وما في هذه الصحيفة، قلت:وما هذه الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر[2].

فليس في الآية ما يدل على وصاية ولا إمامة ولا نجد لذلك أثراً ولا عينا!!.

وأما قوله تعالى:﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، فمعناها وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعنادا ﴿لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [طـه: ١٣٣]، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً،وأن يزيح عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً،كما قال تعالى:

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (٧٧/٢) بتصرف.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ [الرعد:٧]، أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقوله: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرعد: من الآية٧]، أي لكل قوم داع أو يراد بها أنت يا محمد منذر القوم وأنا هاديهم[1]، وليس الأمر كما زعموا أن المنذر هو محمد،والهادي علي،فمن أين جاءوا بهذا التقسيم؟وما أوردوه في هذا من أحاديث منكرة لم يصح منها شيء،وإنما هو الكذب على الله تعالى،وعلى رسوله ﷺ

وأما قوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص:٦٨]، فمعناها وتفسيرها: أن الله تعالى يخبر بأنه المتفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده وجعها إليه، وقوله ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص:٦٨]، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالمقام بيان تفرد الله تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون﴾[القصص:٦٨] أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً[2]، وليس في الآية ما يدل على ما زعموه من اختيار الله للإمام ،دون اختيار الناس!! حيث لا تسعفهم الآية ولا السياق ولا اللغة ولا شيء!!

وأما قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يّـس:١٢]، فهي تذييل للآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٠١-٥٠٢) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٩٧) بتصرف.

إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يـس:١٢]، ومعناها: حين ذكر الله تعالى قدرته على إحياء الموتى يوم القيامة، كما أن سبحانه قادر على أن يحيي قلوب من شاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، وأنه سبحانه يسطر أعمالهم، ويكتب ما قدموا من الأعمال، أي لهم ولغيرهم، وكذلك ما تركوا من آثار من خير أو شر، فالخيرله أجره، والشر عليه وزره أي من بعده، فالأعمال مكتوبة، والآثار كذلك، وكل هذا لهم ولجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ هو الإمام المبين والذي هو أم الكتاب الذي سطر فيه كل شيء[1]، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد:٣٩]، فهذا هو الإمام وليس ما زعموه أو توهموه من أنه إمام من أئمتهم،وأنه قد أحاط بكل شيء علما، أي فيكون إلهاً وكذا اعتقدوا في أئمتهم، وذلك من الكفر البواح.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[الصافات:٢٤]، فقد جاءت في السياق الذي قال الله فيه: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ. وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ. مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ. بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[الصافات:٢٢-٢٦]، وهي إخبار من الله تعالى عن الكفار حين معاينة يوم القيامة، وهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا فيقال لهم ع-لى وجه التقريع والتوبيخ (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون)، ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ - أي أشباههم وأمثالهم وإخوانهم - (وما كانوا يعبدون، من دون الله)، أي من الأصنام والأنداد، وتحشر معهم في أماكنهم، ثم

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٦٥-٥٦٦) بتصرف.

أمر بأن يدلوهم إلى طريق جهنم مع وقوفهم قبل دخولها حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت منهم في الدنيا، ويقع لهم هذا على سبيل التقرير، كما يقال لهم على سبيل التقريع (مالكم لا تناصرون)، أي: كما زعمتم أنكم منتصرون، (بل هم اليوم مستسلمون)، أي منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه[1].

فأين هذا مما ذهبت إليه الشيعة في تفسير هذه الآية وغيرها،وهم يلوون عنق النصوص حتى تتفق مع ميولهم وتتمشى مع أهوائهم فأين السحاب من التراب،والرحيق من الحريق،وأين هذا من ذاك؟!!

الإمامة كمنصب إلهي قضية اخترعت في زمن متأخر:

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤) بتصرف.

يقول الدكتور مصطفى الشكعة: هذا العنوان الجانبي الطويل ليس من عندي، فإنه من الوضوح بمكان أنني لم أشترك في هذا الموضوع وغيره من موضوعات المذاهب الإسلامية كطرف مباشر، ولكني استنطق الوثائق والأحداث والأشخاص، وقد حرصت في هذا الباب أن يكون الحوار في شئون المذاهب بين الشيعة وبين أنفسهم(١).

إن العالم المجتهد موسى الموسوي يلغي مبدأ أن الإمامة منصب ديني سماوي إلغاء تامًا، ويقول ما نصه: "فحتى في أوائل القرن الرابع الهجري وهو عصر الغَيْبة الكبرى، لا نجد أي أثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الإمام علي، أو أنها حق إلهي اغتصب منه، أو أن صحابة رسول الله ﷺ اشتركوا أو ساهموا في هذا الأمر، وهكذا تغيرت فكرة الأولوية بخلافة "علي" إلى فكرة الخلافة الإلهية ومخالفة النص الإلهي(٢).

وتبعًا لذلك يستطرد المجتهد الشيعي الموسوي قائلاً: "إذا كانت الإمامة إلهية كما تذهب الشيعة وأنها في أولاد علي حتى الإمام الثاني عشر، لعين علي ابنه الحسن خليفة وإمامًا من بعده، وهو ما لم يحدث، فقد اتفق الرواة والمؤرخون على أن الإمام عندما كان على فراش الموت بعد أن ضربه "ابن ملجم المرادي" بالسيف المسموم، وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال: أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ، وبعد وفاة الإمام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة على المسلمين، ولكن الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة، فهل- يا ترى- لو كانت الخلافة منصبًا إلهيًا، هل كانت يستطيع الإمام الحسن أن يتنازل عنها بذريعة حقن دماء المسلمين(٣).

ويستشهد الدكتور الموسوي بمواقف لأئمة آخرين- مرموقين كعلي بن الحسين

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص (٢١٦).

(٢) الشيعة والتصحيح ص (٣٨).

(٣) المرجع السابق ص (٤٤- ٤٥).

ومحمد الباقر وجعفر الصادق فيقول، إننا لم نجد في أقوال الإمام علي بن الحسين الملقب بالسجاد أية عبارة تدل على كون الخلافة إلهية، وبعد السجاد يأتي دور الإمام الباقر، والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب أهل البيت الفقهي، الذي أكمله ابنه الإمام جعفر الصادق، فنحن- والكلام للدكتور الموسوي- لا نجد أثرًا لفكرة الخلافة الإلهية في عهدهما، ولا في عهد أئمة الشيعة الآخرين حتى الغيبة الكبرى[1].

هكذا ينفي بعض علماء الشيعة الكبار المبدأ الذي اخترعه فريق من الشيعة وهو القول بأن الإمامة منصب إلهي، وأنها إحدى دعائم الإسلام، هذه القضية التي فرقت شمل المسلمين، وبددت جهودهم، وجعلتهم فرقًا متنافرة متحاربة، بعد أن كانوا إخوة متحابين، أشداء على الكفار رحماء بينهم[2].

الثانية: من عقائد الشيعة: "التوحيد" أو "الإيمان بالله": فالتوحيد هو الأساس الأول من أسس العقيدة عند الشيعة، أو هو الأصل الأول من أصول الدين لديهم، وهو المقابل عند أهل السنة للأصل الأول: الإيمان بالله تعالى.

أقول: وإن كان لم ينل من الأهمية ما نالته عقيدة الإمامة عندهم، لذا قدمتها عليه، ولكن قلنا إن التوحيد هو الأساس الأول باعتبار يمكن أن نلتقي معهم عليه.

هذا.. وقد آثر الشيعة كلمة "التوحيد" بدلاً من الإيمان بالله، بسبب أنهم من النافين للصفات- كالمعتزلة- الذين يقولون بأن صفات الله تعالى هي عين ذاته، فليس لله سبحانه صفات زائدة على الذات، من هنا فقد آثروا التنصيص على التوحيد في عقائدهم، لما أنهم يرون أنهم الموحدون بنفيهم الصفات. وأن المثبتين من طوائف الأمة

---

(١) الشيعة والتصحيح ص (٤٥).

(٢) إسلام بلا مذاهب ص (٢١٧).

ليسوا موحدين[1].

فحتى "التوحيد" لم يخل عندهم من كفريات تمثلت في إنكار توحيد الصفات الذي لا يجحده إلا كافر.

والتوحيد عندهم له مراتب أربعة: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال،وتوحيد الآثار.

وقد يعبرون عن هذه الدرجات الأربعة بما يقابلها من أصناف الخلق فيقولون: توحيد العوام، وتوحيد الخواص، وتوحيد خاص الخواص، وتوحيد أخص الخواص.

فالعوام هم الذين يقتصرون على توحيد الذات، والخواص يجمعون إلى توحيد الذات توحيد الصفات، وخواص الخواص يوحدون الذات والصفات والأفعال، وأما أخص الخواص فيمتازون عن الأصناف الثلاثة بأنهم يزيدون على توحيد الذات، والصفات، والأفعال، توحيد الآثار.

ويقولون بأن المرتبة الأولى هي مدلول كلمة: لا إله إلا الله، والمرتبة الثانية هي مدلول كلمة "لا هو إلا هو" والمرتبة الثالثة هي مدلول كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله" والمرتبة الرابعة هي مدلول كلمة "لا مؤثر في الوجود إلا الله".

وهم يزعمون أن الشيعة وحدهم هم الذين يجمعون في التوحيد هذه المراتب الأربعة، بخلاف طوائف المسلمين، فمنهم من يقف عند الدرجة الأولى، ومنهم من يتعداها إلى الثانية، ولكن لا يحصل المرتبة الثالثة والرابعة إلا الشيعة[2].

(الصفات) يعتقدون بأن صفات الله- تعالى- الثبوتية عين ذاته، ليست زائدة عليها وليس وجودها إلا وجود الذات، فقدرته- من حيث الوجود- هي حياته،

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢١٨) بتصرف.

(٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية، لمؤلفه السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ص (٢٤) مؤسسة الأعلى للمطبوعات- بيروت نقلاً عن تاريخ الفرق الإسلامية.

وحياته قدرته، لا اثنينية في صفاته، وكذا في سائر صفاته تعالى، هذا هو الشأن في الصفات الثبوتية الكمالية.

أما الصفات الثبوتية الإضافية مثل: الخالقية والرازقية، فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة، هي صفة "القيومية" وهي صفة واحدة ينتزع منها عدد من الصفات تبعًا لاختلاف الآثار والملاحظات.

وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات "الجلال" فهي ترجع جميعًا إلى سلب واحد، هو "سلب الإمكان"[1].

الثالثة: (من معتقدات الشيعة) النبوة: يعتقد الشيعة أن النبوة وظيفة ربانية وسفارة إلهية، يضعها الله تعالى بين يدي إنسان معين من الخلق، ويعده الله تعالى لهذه المهمة إعدادًا خاصًا، ويمده بملكات وقوى نفسية وجسمية، بها يستعين على أداء مهمته التي اصطفاه الله لها.

وهؤلاء الأنبياء والرسل يصطفيهم الله- سبحانه- ليكونوا سفراء بينه وبين خلقه، يبلغوهم تعاليمه وشرائعه وينشروا تلك الشرائع بين الناس، ويرعوا مصالح الناس ومنافعهم في الدنيا والآخرة.

ويعتقد الشيعة أن الأنبياء أكثر عددًا من الرسل، فالنبي أعم، والرسول أخص، فالرسول صاحب شريعة والنبي تابع له في ذلك.

يعتقد الشيعة بأن الأنبياء معصومون عصمة مطلقة، فهم معصومون من الصغائر والكبائر، والسهو والنسيان قبل البعثة وبعدها.

ويعتقد الشيعة أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى، ولهم أدلة على ذلك منها:

١- أنه قد ثبت أن الله يجب عليه فعل الأصلح لعباده، وليس هناك أصلح من إرسال

(١) تاريخ الفرق الاسلامية ص (٢١٩).

الرسل والأنبياء إلى العباد.

٢- أن القرآن الكريم صرح بوجوب اللطف على الله بالعباد، يقول تعالى ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ [الشورى: ١٩] وأعلى درجات اللطف هو إرسال الأنبياء والرسل لرعاية مصالح الناس في المعاد والمعاش.

٣- أن الهدف من إيجاد الخلق هو عبادة الخالق سبحانه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إرسال الرسل إلى الخلق ليعرفوهم أوامر الله ونواهيه، وإلا كانت العبادة هنا تكليفًا بما ليس في وسع النفس الإنسانية، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

هذه مجمل أدلتهم التي يثبتون بها وجوب إرسال الرسل على الله- سبحانه وتعالى عما يصفون. وهي أدلة متهافتة، فالله- سبحانه- لا يجب عليه شيء، فهو المتفضل المنعم، وكل ما في الوجود إنما هو تفضل ولطف منه- تعالى-. والوجوب يعني: الإلزام، وفيه معنى الجبر والقهر والقسر، والله- سبحانه- متره عن كل ذلك، ومن الذي يوجب ذلك على الله تعالى؟!!

كما أن الوجوب ينافي المشيئة والإرادة المطلقتين، ويجعل مشيئة الله وإرادته محدودتين مقيدتين بحدود ما يجب عليه، وكل ذلك باطل، نستغفر الله تعالى من مثل هذا القول ونبرأ منه.

كما يعتقد الشيعة أن الأنبياء والرسل متزهون عن كفر الآباء والأمهات والأقارب ذوي الشأن!! فهم يؤمنون بأن أبا إبراهيم الخليل ﷺ كان مؤمنًا، وأن أبوي رسول الله ﷺ مؤمنان، وكذلك يؤمنون بأن أبا طالب عم رسول الله ﷺ كان مؤمنًا، بل إنه من أولياء الله الصالحين، بل هو رأس الأولياء، وهم يكفرون كل من يدعي كفر أبي طالب ويبرءون منه!!

والشيعة يثبتون للأئمة كل ما أثبتوه للأنبياء- سوى الرسالة.

فالإمام مصطفى ومختار من الله تعالى، وهو معصوم من الكبائر والصغائر والسهو والنسيان منذ ولادته حتى موته، كما أنه منزه عن كفر الأبوين،ومن هنا نرى السر في ذهاب الشيعة إلى القول بإيمان أبي طالب، فإنهم كما نزهوا الأنبياء عن كفر الوالدين، كذلك نزهوا الأئمة عن كفر الوالدين، ولما كان أبو طالب هو والد الإمام الأول والوصي الولي "علي" ﷺ قالوا بإيمانه، وكَفَّروا من قال فيه غير ذلك.

الرابعة: (من معتقدات الشيعة) العدل: هو من أركان العقيدة الإيمانية، أو أصول الدين عند الشيعة.

وعقيدة الشيعة في "العدل" وحديثهم عن هذا الأصل، يدلنا على الصلة الوثيقة بين الشيعة والمعتزلة، في العقائد، إذ الأصل في "العدل" أنه مبدأ من مبادئ الاعتزال، التي أقام المعتزلة عليها مذهبهم، وقد أخذ الشيعة الكثير من عقائد المعتزلة، ومنها القول بالعدل.

والقول بالعدل ترتبت عليه أمور عقدية منها: أنهم أوجبوا على الله- تعالى- إرسال الرسل، وأن ينص على الأئمة، وأن يفعل الصلاح والأصلح، وأن يلطف بعباده، وأن يعوض العباد عما يلحقهم من الآلام، وأنه يجب عليه أيضًا إثابة المطيع وعقاب العاصي.

ويترتب عليه كذلك أن العبد مستقل بأفعاله الاختيارية، يفعلها بنفسه، دون أن يكون لله- سبحانه- تأثير في ذلك.

وهذه الأمور كلها أخذها الشيعة عن المعتزلة، حينما أخذوا مبدأ "العدل" كما أخذوا أمورًا أخرى. أهمها:

١- أن معرفة الله تعالى واجبة على العباد بالعقل، وليس بالشرع.

٢- أن الحسن والقبح عقليان.

٣- أن الصفات عين الذات، أو أن الصفات ليست زائدة على الذات.

٤- إنكارهم جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وإنكارهم أن ذلك وقع لرسول الله ﷺ في الدنيا في حادثة المعراج.

ولسنا نريد أن نطيل الحديث معهم بالرد على كل هذه العقائد التي أشرنا إليها، والتي تفرعت أساسًا عن القول بالعدل، ولكن نكتفي بأن نشير إلى أن القول بالوجوب على الله- سبحانه وتعالى عما يصفون- بجانب أنه يدل على فهم سقيم، فإنه يدل على سوء الأدب بجانب الله- تبارك وتعالى- فإن الواجب- كما علمت- يعني الإلزام والإلجاء، ومن ذلك الذي يلزم الله- تعالى عن ذلك- بأن يفعل كذا، أو يترك كذا؟ ومن ذلك الذي يلجئ الحق- سبحانه وتعالى- إلى فعل شيء أو ترك آخر؟

ثم إن الوجوب يعني قيدًا على الإرادة والمشيئة، فلا يكون الله سبحانه فاعلاً لما يشاء، أو تاركًا لما يشاء، وإنما يكون فاعلاً لما يجب عليه فعله، تاركًا لما يجب عليه تركه.

وذلك والجبر سواء، وفي ذلك نقض لما يجب لله من الكمال، ورفض لما ورد عن الله سبحانه في كتابه الكريم وعن رسوله ﷺ في سنته الشريفة، من أن الله تعالى يفعل ما يشاء، له الإرادة المطلقة والمشيئة الكاملة، حين قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧]. ويقول سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨] كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧].

ولهذه القضية مزيد من الرد عند الرد على معتقدات المعتزلة الفاسدة[1].

الخامسة: المعاد: وهو من أركان العقيدة عند الشيعة فيما يوافق معتقد أهل

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٥٦: ٢٥٨) بتصرف.

السنة والجماعة في الإيمان باليوم الآخر، ويراد به أنه يجب على المسلم أن يعتقد بأن الله تعالى سوف ينشر الأجساد بعد فنائها وتفرق أجزائها، ثم يعيد لكل جسد روحه التي فارقته عند الموت في الدنيا، وأن ذلك سوف يكون عند قيام الساعة، ليحاسب كل إنسان على ما قدمت يداه ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

والمعاد يطلق ويراد به معان ثلاثة: الأول: المعنى المصدري من العود، أو هو ما يسمى بالمصدر الميمي، الثاني: زمان العود، الثالث: مكان العود.

والمراد بالمعاد الذي يجب على المؤمن اعتقاده، ليس المعنى المصدري أي مجرد العود إلى اجتماع النفس والجسد في حياة ثانية، ولكن المراد اعتقاد ذلك بجانب الاعتقاد بأمور أخرى تتصل بهذا المعاد، أو بهذه الحياة الآخرة، وذلك كزمانها، وأن ذلك يكون بعد فناء هذه الدار، وقيام الساعة، ومكانها أو هيئة مكانها، وأن ذلك يكون في مكان يسع الخلائق جميعًا ويحشرون فيه على هيئة معينة، فليس المعاد مجرد عود إلى حياة بعد الموت، ولكنه عود على هيئات زمانية، وإنسانية معينة، ورد بها الكتاب والسنة، فوجب استصحابها ضمن الاعتقاد في المعاد. هذا.. والشيعة يؤمنون بالمعاد كما نؤمن به نحن- أهل السنة والجماعة- على الجملة، فيثبتون المعاد للنفس والبدن[1].

السادسة: القضاء والقدر: يؤمن الشيعة بالقضاء والقدر، بمعنى أن الله تعالى قد قضى وقدر كل شيء أزلاً، لكنهم مع ذلك يؤمنون بأن الله تعالى يغير من قضائه وقدره حسبما يبدو له، ولذا فهم يضيفون إلى الإيمان بالقدر: الإيمان بالبداء.

والبداء معناه أن الله تعالى بعد أن قدر كل شيء أزلاً، يبدو له أن يغير من قدره السابق، فيغير منه حسبما يبدو له تحت اعتبارات الظروف والأحوال.

والشيعة يؤكدون على الإيمان بالبداء تأكيدًا قويًا، شأن كل القواعد التي

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٥٩، ٢٦٠) بتصرف.

خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، فإنهم في هذه العقائد يؤكدون عليها، ويتشددون فيها، ويعظمون من شأنها.

لذلك يعظمون من عقيدة البداء، ومن قواعدهم الدينية "ما عظم الله بمثل البداء".

ويروى عن أئمتهم: "أن الله ما بعث نبيًا قط حتى يقول له بالبداء" فالقول بالبداء هو من أفضل العقائد التي يعظم بها الله سبحانه وتعالى عندهم، لماذا؟

قالوا: لأن في إثبات البداء، إثباتًا لمشيئته سبحانه تعالى واختياره واستمرارًا لإرادته ومشيئته إذ أن نفي البداء هو نفي لإرادته تعالى ومشيئته، حيث قد قضى وقدر كل شيء، ولا يملك بعد ذلك أن يغير أو يبدل، وإذا كان لا يمكن أن يغير أو يبدل من قدره السابق، فهو إذن غير مريد، أو هو قد بطلت إرادته، وانتفت مشيئته بعد أن قدر كل شيء أزلاً. فهذه فلسفتهم.

والشيعة عندهم مثال مشهور يوضحون به المراد بالبداء، ويفسرون به العلاقة بين القدر والبداء.

فيقولون: إن الله تعالى قد قدر عمر "زيد" أزلاً بسبعين سنة، هذا هو القدر، ولكن يبقي الاختيار والمشيئة لله في أن يزيد من ذلك العمر، أو ينقص منه، وهذا هو البداء.

فالبداء يعني أن يبقى لله تعالى الاختيار في مرحلة البقاء[1].

وإنه لعجيب أمر الشيعة، حين يظنون أنهم بإثباتهم البداء، إنما يعظمون من شأن الله سبحانه، ويعللون ذلك بأنهم إنما يبقون على صفة الإرادة والمشيئة لله تعالى، زاعمين أن النافين للبداء، إنما ينفون عن الله سبحانه صفة الإرادة والمشيئة أو يعطلونها.

وهذا خطأ بين: فهم بإثباتهم البداء، لم يثبتوا لله الإرادة، فإن الإرادة لله ثابتة وما نفاها أحد، ولكنهم نفوا عن الله تعالى العلم بما يكون.

ذلك أن قدر الله في الأزل، إنما هو مبني على علم الله سبحانه بكل ما

(١) عقائد الإمامية الاثني عشرية- السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ص (٣٦) بتصرف.

سيكون، فالله تعالى قد أحاط بكل شيء يكون، وبذلك قدر كل شيء بناء على علمه تعالى، فإذا بدا له أي شيء بعد ذلك فإن هذا البداء لا يفهم إلا بناء على احتمالين كلاهما محال بالنسبة لله سبحانه وتعالى:

الأول: أن يكون الله- تعالى عن ذلك- قد قدر عن جهل، فلما علم الأمر حين وقوعه، بدا له أن يغير من قدره ذلك، وهذا محال على الله- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

الثاني: أن يكون الله تعالى عالمًا بكل شيء، ولكنه يقدر بناء على علمه تقديرًا لا يتسم بالحكمة، وقد يبدو له أن يغير من تقديره التماسًا لحكمة ومصلحة لم يتحققا في تقديره السابق، وذلك محال أيضًا.

وعلى ذلك ونحن ننفي البداء لا ننفي إرادة الله تعالى ومشيئته، وكيف؟ وكل شيء في الوجود إنما هو بإرادته ومشيئته مع كامل علمه وحكمته، سبحانه وتعالى، وهو العليم الحكيم[1].

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ محمود مزروعة ص (٢٢٠- ٢٢٤) بتصرف.

رابعًا: أشهر فرق الشيعة

يقول الشهرستاني: وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية. وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه[1].

وقسمهم غيره إلى ثلاثة أقسام وهي:

١- الزيدية. ٢- غلاة الشيعة. ٣- الرافضة.

وكل قسم من هذه الأقسام تحته العديد من الفرق[2].

وهناك من قسم الشيعة تقسيمة أخرى، وجعل الأساس الذي اعتمده في تقسيمه هذا بين الفرق، إنما هو موقف كل منها من الإمام علي ﷺ، ومن صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين.

وبهذا الاعتبار نستطيع أن نسلك هذه الفرق كلها في ثلاث:

الفرقة الأولى: وهم الشيعة المخلصون، أو الصادقون، أو الشيعة الأولى أو الأتقياء، وهذا أصدق وصف لهم، لأنهم صدقوا في تشيعهم للإمام علي ﷺ، وأخلصوا في اتباعه فلم يبتدعوا فيه ما يغضب الله ورسوله والمؤمنين، ولم يكونوا ذوي مآرب اتخذوا التشيع ستارًا يتخفون وراءه للوصول إليها، فهؤلاء هم الشيعة الصادقون، الذين تتكون منهم الفرقة الأولى، أو الشيعة الأولى.

وقد كانت نواة هذا الفريق من أصحاب رسول الله ﷺ الذين عاصروا البيعة بالخلافة للإمام علي ﷺ ثم من بعد ذلك عاصروا الحرب التي اندلعت بين علي ومعاوية، وبين علي والخوارج.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص (١٤٧).

(٢) أضواء على الشيعة ص (٣١).

هؤلاء الصحابة كانوا يرون أن عليًا أولى بالخلافة وأحق بها، فعرفوا له حقه، وأنزلوه من الفضل مترلته، كل ذلك دون أن ينتقصوا أحدًا من إخوانه ﷺ أجمعين فضلا عن أن يسبوهم أو يرموهم بكفر.

الفرقة الثانية: الشيعة التفضيلية: وهم الذين يذهبون إلى تفضيل الإمام علي ﷺ على سائر الصحابة ﷺ والمفاضلة هنا بين علي والصحابة تأتي على أفعل التفضيل، على معنى أن هذا الفريق لا يجرد الصحابة من الفضل ولا يسبهم ولا يرميهم بكفر، بل يعترف لهم بالفضل، لكنه يرى أن عليًا أفضل من سائر الصحابة ﷺ أجمعين.

ولقد صح أن الإمام عليًا ﷺ عندما أحس أيام خلافته بقوم يفضلونه على أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ غضب لذلك غضبًا شديدًا، وتشدد في النهي عن ذلك حتى قال: "لئن سمعت أحدًا يفضلني على الشيخين رضي الله عنهما لأحدنه حد الفرية.

الفرقة الثالثة: الشيعة الغلاة: وهؤلاء هم الذين غلو في الإمام علي ﷺ حتى قالوا بألوهيته — نعوذ بالله من ذلك الهذيان — والمصائب في هؤلاء درجات أو دركات.

فمنهم من مصيبته تفضيل علي ﷺ على كل الخلق لا يستثنون محمدا ﷺ فهو عندهم أفضل من محمد ﷺ، وإنما محمد ممهد له، أو كان هو صاحب الرسالة ولكن محمدًا حجبها لخطأ وقع من جبريل حيث نزل بالرسالة على غير صاحبها — نعوذ بالله من هذا الكفر.

ومنهم من يزعم أنه قد حل فيه جزء إلهي، أي أن الله — تعالى عما يقولون — قد أفاض على الإمام بعض أسرار الألوهية، فصار بها صاحب سلطان إلهي، يخبر عما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

ومنهم من ذهب في الغلو إلى آخر الشوط، فزعم أنه هو الله — نعوذ بالله من

هذا الكفر الصراح – إلى آخر هذه الآراء التي يقول بها فرق الغلاة.

وقد أحصى بعض الباحثين هذه الفرق الغالية فوصل بعددها إلى عشرين فرقة، كلها مارقة من الإسلام، وبريء منها الإسلام والمسلمون[1].

هذا ونفصل القول بعض الشيء حول أهم فرق الشيعة فنقول وبالله التوفيق:

١- من فرق الشيعة (الزيدية): وهم ينسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.

وهم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، وأكثرهم اعتدالاً، فلم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة ولا إلى مرتبة تساويها، ولكنهم جعلوا الأئمة أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، و لم يكفروا أحدًا من الصحابة، خصوصًا الذين بايعهم علي ﷺ.

مبادئ الزيدية: تقوم الزيدية على عدة مبادئ هي:

أولاً: الإمامة عندهم في "علي" بالوصف وليست بالاسم، فعندهم أن الإمام الذي أوصى به النبي ﷺ من بعده لم يعينه لا بالاسم ولا بالشخص، وإنما عرفه بالوصف، فالأوصاف التي عرفت لم تتحقق في أحد قدر تحققها في علي ﷺ.

وأوصاف الإمام عند الزيدية:

١- أن يكون هاشميًا. ٢- وأن يكون ورعًا.

٣- وأن يكون تقيًا. ٤- وأن يكون عالمًا.

٥- وأن يكون سخيًا. ٦- وأن يخرج داعيًا لنفسه.

هذا بالنسبة لعلي ﷺ، وأما من بعده فيشترط فيه هذه الشروط، وزيادة شرط آخر وهو:

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (٢٠٨: ٢١١) بتصرف.

٧- أن يكون من ذرية فاطمة "رضي الله عنها" فما كان من أخيه محمد الباقر إلا أن رد عليه في بعض هذه الشروط قائلاً، مقتضى مذهبك أن والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج ولم يتعرض لخروج[1].

ثانيًا: جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، بمعنى أن هذه الشروط ليست شروطًا في صحة الإمامة لا تنعقد إلا بوجودها، بل هي صفات الإمام الكامل، ويفهم من ذلك إقرارهم بإمامة أبي بكر وعمر، وقد كان يقول عنهما: أنا لا أقول فيهما إلا خيرًا.

وفي شرح هذا المبدأ يقول زيد. كان علي بن أبي طالب ﷺ أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبًا، وسيف أمير المؤمنين على دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، فما كانت القلوب تميل إليه فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن ممن عرف باللين والتقدم بالسن والسبق بالإسلام والقرب من رسول الله ﷺ[2].

- ونحن لا نوافق الزيدية في تفضيلهم "علي" وفي دعواهم نصوص التعيين، وقد سبق أن ناقشنا هذا الزعم حينما تعرضنا لمبادئ الشيعة بصفة عامة.

ثالثًا: جواز مبايعة إمامين في قطرين مختلفين بحيث يكون كل منهما إمامًا في القطر الذي خرج فيه ما دام مستجمعًا لشروط الإمامة، ولكن لا يجوز مبايعة إمامين في إقليم واحد.

رابعًا: أن مرتكب الكبيرة الذي لم يتب من كبيرته مخلد في النار، وهذا المبدأ

(١) الملل والنحل (١/١٥٦).

(٢) الملل والنحل (١/١٥٥).

أثر من آثار المذهب المعتزلي على الزيدية، إلا أن مذهب الزيدية قد تطور بعد ذلك، ووقع فيه الاختلاف وتفرقوا شيعًا وفرقًا.

إلى سليمانية، وصالحية، وجارودية، ونعيمية، ويعقوبية، وكل منها اتخذت لها مبادئ خاصة تفرقها تمامًا عن فرقة الزيدية، وتخرجها من الإسلام مثل تقديس الأئمة، وادعاء العلم الغيبي، وتكفير الصحابة، وغير ذلك مما عليه المغالون من الشيعة.

والمذهب الزيدي موجود باليمن الآن وهم أقرب إلى المتقدمين المعتدلين منهم إلى المتأخرين الروافض[1].

٢- الرافضة: من أكبر فرق الشيعة، وقد سموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقد أجمعوا على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ.

وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام، وأبطلوا جميعًا الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس،وزعموا أن عليًا ﷺ كان مصيبًا في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين، إلا "الكاملية" أصحاب أبي كامل، فإنهم أكفروا الناس بترك الاقتداء به، وأكفروا عليا بترك الخلافة، وأنكروا الخروج على أئمة الجور وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته.

ويؤمنون بجميع ما في القرآن العزيز والسنة الشريفة القطعية في الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيرة

(١) الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية ص ٩٨: ١٠١ بتصرف.

ولا كبيرة إلا أحصاها، وأن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة.

وقد تبرأوا ممن قالوا: أن الله فوض الأمور إلى الأئمة من أهل البيت، وأنهم لا يرون أئمتهم إلا من عباد الله المخلصين، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وعندهم أن كل من قال أو يقول بالتفويض أو يجعل لأي مخلوق صفة من صفات الخالق الخاصة فهو خارج عن ملة الإسلام، وأما المعاد فيعتقدونه كما يعتقد به سائر المسلمين ولكنهم يخالفونهم بالكيفية وهو عندهم إعادة الخلائق بعد موتهم أحياء بأجسادهم وأرواحهم.

وهناك أمور كثيرة يعتقدون وجوبها ويفعلونها وهي خمسة: الصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله، وهي المعبر عنها بفروع الدين...

ويلي هذه الفروع في الأهمية فرض الخُمس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهما كما لغيرهما من الأحكام شروط كثيرة وبحوث دقيقة مبسوطة في الكتب الاجتهادية عندهم[1].

وهم سوى الكاملية أربع وعشرون فرقة وهم يدعون "الإمامية" لقولهم بالنص على إمامة "علي بن أبي طالب"[2]، ويدخل في عموم الإمامية أكثر مذاهب الشيعة الآن في العالم الإسلامي في إيران والعراق، وما وراءها من باكستان وغيرها من البلاد الإسلامية، ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقاداتها إلى درجة أن تخالف نصًا من نصوص القرآن الكريم، أو أي أمر علم من الدين بالضرورة وطوائف أخرى

(١) الشيعة في تاريخ – محمد حسين الزين ص (٤٦ – ٥٠) بتصرف – ط دار الآثار بيروت.

(٢) مقالات الإسلاميين ص (٨٩) بتصرف.

اعتقاداتها وأعمالها لا تدخل في الإسلام انحرافًا شديدًا، والجامع لهؤلاء هو ما تدل عليه التسمية بعبارة الإمامية.

فإنهم يقولون: إن الأئمة لم يعرفوا بالوصف كما قال الإمام زيد بن علي – رضي الله عنهما – بل عينوا بالشخص، فعُين الإمام علي من النبي ﷺ، وهو يعين من بعده بوصية من النبي ﷺ، ويسمون بالأوصياء، فقد أجمع الإمامية على أن إمامة علي ﷺ ثبتت بالنص عليه بالذات من النبي ﷺ نصًا ظاهرًا وتعيينًا صادقًا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين [(١)].

وقد اتفق الإمامية فيما بينهم أن "عليًا ﷺ" وصي النبي ﷺ بالنص، وأن الأوصياء من بعده هم أولاده من فاطمة: "الحسن والحسين" وهؤلاء هم المجمع عليهم.

وبعد ذلك اختلفوا في الأئمة إختلافًا كبيرًا، بل قيل إنهم اختلفوا بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة، وأعظمهما فرقتان: الاثنا عشرية، والإسماعيلية.

وقد كانوا من أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم، وتمادى الزمان، اختارت كل فرقة منهم طريقة فصارت الإمامية بعضها معتزلة: إما وعيدية، وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية، إما مشبهة وإما سلفية، ومن ضل الطريق وتاه ولم يبال الله به في أي واد هلك[(٢)].

١- **الاثنا عشرية:** يرى هؤلاء الناس أن الخلافة بعد الحسين ﷺ لعلي زين العابدين، ومن بعده لمحمد الباقر، ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلي الرضا، ثم لمحمد الجواد، ثم لعلي الهادي، ثم للحسن العسكري، ثم لمحمد ابنه وهو الإمام الثاني عشر.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٤٨) بتصرف.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٤٩، ٥٠) بتصرف، والملل والنحل ص (١٦٥).

أماكن تواجدهم: يتواجد الاثنا عشرية الآن في عدة دول منها: إيران وهم يمثلون الأكثرية، والعراق وهم يمثلون نصف سكانه، ومذهبهم في العقائد والأحوال الشخصية والمواريث والأوقاف والزكوات والعبادات كلها هو المذهب الاثنا عشري.

ومنهم من يعيش في سوريا ولبنان، ودول الخليج، والبحرين، وأذربيجان، وباكستان، والهند، وتركيا، وكذلك توجد لهم أقليات في أنحاء أوربا وأمريكا وأفريقيا، وجنوب شرق آسيا.

وهم يتوددون إلى من يجاورهم من السنيين ولا ينفرونهم[1].

عقائدهم: تقوم عقائدهم على ما يأتي:

١- الإمامة. ٢- المهدي. ٣- البداء.

٤- الرجعة. ٥- تحريف القرآن.

٦- زواج المتعة. ٧- التقية.

ولهذه العقائد تفصيل نذكره - إن شاء الله -

أولاً: الإمامة:

أ- مكانة الإمامة عندهم: إن الإمامة هي حجر الأساس في المذهب الشيعي، فهي أصل من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأجداد، وإنما يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة، وأن الإمامة كالنبوة لطف من الله تعالى، فلابد أن يكون في كل عصر إمام يخلف النبي ﷺ في وظائفه.

ب- النص على الإمام: يعتقدون أن النبي ﷺ نص على الخليفة من بعده وهو علي بن

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٥٠).

أبي طالب، وقالوا: "إن النبي ﷺ بالنسبة لعلي قد نص عليه وعينه، وأنه ثبتت له الأفضلية"، وبالنص والعصمة، والأفضلية ثبتت لبقية الأئمة الاثني عشر.

ج- منزلة الإمام عندهم: إنهم يفرضون للإمام عندهم سلطانًا مقدسًا، لأنه استمد إمامته من النبي ﷺ عن طريق الوصاية به، وأنه قد ولي أمر الأمة بهذه الوصية، فتصرفاته كلها مشتقة من صاحب هذه الوصاية وهو النبي ﷺ فالإمام له السلطان الكامل في اليقين، وكل ما يقوله من الشرع، ولا يمكن أن يصدر منه ما يخالف الشرع.

د- عصمة الإمام: وإذا كان الإمام قد تبوأ هذه المنزلة عندهم في التقنين فقد قرروا له العصمة من الخطأ والنسيان، ومن جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من الطفولة إلى الموت عمدًا أو سهوًا، لأنه الحافظ للشرع والقوام عليه، حاله في ذلك حال النبي، فله العصمة كالنبي ﷺ.

هـ- صفات الإمام وعلمه: ويعتقدون أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل، والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام.

أما علمه: فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام قبله، وإذا استجد شيء لابد أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله فيه، هذه القوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته.

و- طاعة الإمام: وبما أنزلوا الإمام عندهم هذه المنزلة فقد أوجبوا طاعته ويعتقدون أن أمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وطاعته طاعته، ومعصيته معصيته(١).

(١) انظر: الشيعة في التاريخ ص٤٦، ٤٧، عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر من ٨٨: ٩٧، أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٢٢٣، ٢٣٤، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥١، أضواء على الشيعة ص ١١٤: ١١٢.

ثانيًا: المهدي: تعتقد الإمامية بظهور المهدي من أولاد فاطمة – رضي الله عنها – في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، وهو عندهم شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦هـ وهو ابن الحسن العسكري واسمه "محمد"، وقد تسلم المهدي منصب الإمامة بعد والده وبنص منه، وبقي مختفيًا عن الأنظار طيلة خمسة وستين عامًا، وكانت الشيعة تتصل به هذه الفترة عن طريق نواب عنهم لهذا الغرض.

وكانت تسمى بفترة الغيبة الصغرى، ثم ادعوا الغيبة التامة، فلا ظهور إلا أن يأذن الله في آخر الزمان.

ولاية الفقيه: إن الإمام عندهم حي غائب، وهو الإمام الثاني عشر، وبما أن الإمام حي ولكنه غائب عن الأنظار ولم يفقد سلطته الإلهية بسبب غيبته، فإن هذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه، لأن النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء[1].

ثالثًا: البداء: عقيدة البداء من الأفكار التي روجها اليهود، "وعبد الله ابن سبأ" خاصة، يزعمون أن الله يحصل له "البداء" أي النسيان والجهل، يقول علي بن موسى (الإمام الثامن عندهم): "ما بعث الله نبيًا قط إلا بتحريم الخمر، وأن يقر لله بالبداء"[2].

رابعًا: الرجعة: والرجعة تعني أن الأئمة مبتدئًا بالإمام علي، ومنتهيًا بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي سيظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطًا وعدلاً، ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم، ليكون هذا تعويضًا لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة[3].

(١) الشيعة والتصحيح ص ٦١ بتصرف.
(٢) الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ٢٥١ بتصرف.
(٣) الشيعة والتصحيح ص ١٤١، ١٤٢ بتصرف.

خامسًا: تحريف القرآن: هناك رأيان في هذه المسألة عند الشيعة: الرأي الأول: وهو السائد وعليه الأكثر من فقهائهم هو عدم التحريف، والرأي الثاني: هو وجود مصحف لعلي يغاير القرآن الموجود. ومن الشيعة من يقول بوجود مصحف فاطمة – رضي الله عنها –

ويستدلون بما جاء في كتابهم الكافي: عن أبي عبد الله بن محمد قال: "وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريك ما مصحف فاطمة؟ مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم هذا حرف واحد "ولقد أشار بعض علماء الشيعة إلى أن مصحف فاطمة يختلف عن مصحف علي[1].

سادسًا: زواج المتعة: يقصدون بالمتعة الزواج المؤقت، ويقول فقهاؤهم: إن المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم ﷺ وفي عهد الخليفة أبي بكر وفي شطر من خلافة عمر (عهد الخليفة عمر بن الخطاب) حتى حرمها وأمر المسلمين بالكف عنها[2].

سابعًا: التقية: وهم يعدونها من أصول الدين لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل ذلك فقد خرج عن دين الله وعن دين الإمامية.

هذه كانت أهم العقائد عند الشيعة الإمامية[3].

٢– القطعية: وهم الذين يقطعون بدعوة موسى بن جعفر وبموته، وهم جمهور الشيعة، يزعمون أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بن أبي طالب، واستخلفه من بعده باسمه وعينه، وأن عليًا نص على إمامة ابنه الحسن وأن الحسن نص على إمامة أخيه الحسين، وأن الحسين نص على إمامة ابنه علي، وأن عليًا بن الحسين نص على إمامة

---

(١) الشيعة والتصحيح ص ٣٢: ١٣٦ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص١٠٨ بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٨، ١٠٩ بتصرف.

ابنه محمد، وأن محمدًا بن علي نص على إمامة ابنه جعفر بن محمد، وأن جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر، وأن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه علي بن موسى، وأن عليًا ابن موسى نص على محمد بن علي، وأن محمدًا ابن علي نص على إمامة ابنه علي بن محمد بن علي بن موسى، وأن عليًا بن محمد بن علي بن موسى نص على إمامة ابنه الحسن بن عليّ بن محمد بن موسى وهو الذي كان بسامرا، وأن الحسن بن علي نص على إمامة ابنه محمد بن الحسن بن علي وهو الغائب المنتظر عندهم الذي يدعون أنه يظهر فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا.

ويقال لهم أيضًا الاثنا عشرية، لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى الإمام علي ابن أبي طالب ﷺ.

وبجانب تسميتم قطعية يسمون الاثنا عشرية، لأن الإمام المنتظر عندهم هو الثاني عشر، ومن جماعة محددة ساقوا الإمام من جعفر الصادق إلى ابنه موسى، ويقطعون بموت موسى، وزعموا أن الإمام بعده من سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا، ولذلك سموا بالقطعية[1].

٣- **الكيسانية:** وهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية ﷺ، يعتقدون فيه اعتقادًا فوق حده ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس، وهم يجتمعون على أن الدين طاعة رجل.

وقد حملهم هذا على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك.

---

(١) مقالات الإسلاميين ص٩٠، ٩١ بتصرف، أضواء على الشيعة ص ١٣٠، ١٣١ بتصرف.

فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول، والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة، وكلهم حيارى منقطعون.

ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل، ولا رجل له فلا دين.

وهم يقولون إن الإمامة كانت حقًا لمحمد بن الحنفية، ويفترقون إلى عدة فرق:

١- المختارية.

٢- الكربية، وفرقة ثالثة،ورابعة، وخامسة بغير اسم.

ومنهم الراوندية، والرزامية، وقد اختلفوا إلى الحسينية والمحمدية. ولهم فرق دون ذلك[(١)].

٤- الناوسية: أتباع رجل يقال له: "عجلان بن ناوس" من أهل البصرة يسوقون الإمامة إلى جعفر محمد بن علي، وأن أبا جعفر نص على إمامة "جعفر بن محمد" وأن "جعفر بن محمد" حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره وهو القائم المهدي.

ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فإني صاحبكم صاحب السيف.

وحكى أبو حامد الزوزني. أن الناووسية زعمت أن عليًا باق[(٢)].

٥- الإسماعيلية: وهؤلاء قالوا: إن الإمام بعد "جعفر" هو "إسماعيل" نصا عليه باتفاق من أولاده.

---

(١) انظر بتوسع: أضواء على الشيعة ص ١٣١: ٤١.

(٢) مقالاتت الإسلاميين ص ٩٨، ٩٩ بتصرف.

وقد اختلفوا في موته حال حياة أبيه، فمنهم من ذهب إلى أنه لم يمت، إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء العباسيين، وأنه عقد محضرًا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال موته صحيح، والنص لا يرجع القهقرى، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل، محمد بن إسماعيل، وهؤلاء يقال لهم المباركية.

ومنهم من وقف على محمد بن إسماعيل، وقالوا برجعته بعد غيبته وهؤلاء يسمون الواقفية.

والأئمة عندهم على قسمين: ظاهرين وقد تكون حجتهم مستورة، ومستورين: وقد تكون دعاتهم وحجتهم ظاهرة.

فالمستورون سبعة أئمة، والظاهرون مثلهم في العدد.

فالأئمة الظاهرون هم: علي، والحسن، والحسين، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وإسماعيل بن جعفر.

والأئمة المستورون هم: محمد بن إسماعيل، وعبد الله بن الرضي بن محمد، وأحمد بن عبد الله الرضي، والحسين بن أحمد، وعلي بن الحسين، وسعيد الخير، ومحمد المهدي.

وقد نشأ هذا المذهب في العراق كغيره من مذاهب الشيعة؛ وتعرض للاضطهاد (مثل غيره من المذاهب الشيعية) ومن أثر ذلك فر المعتنقون له إلى العديد من البلاد مثل فارس، وخراسان، وما وراء ذلك من الأقاليم الإسلامية كالهند والتركستان، وهناك خالط مذهبهم بعض آراء من عقائد الفرس القديمة، والأفكار الهندية، وتحت تأثير ذلك انحرف كثير منهم، فقام فيهم ذووا أهواء ولذلك حمل اسم الإسماعيلية طوائف كثيرة، بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام، وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من

نحل لا يتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية.

فإن هؤلاء قد اتصلوا ببراهمة الهنود والفلاسفة الشرقيين، والبوذيين، وبقايا ما كان عند الكلدان والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم وغيرها فبعضهم أخذ من كل هذه المعارف وأوغل فيه،وكان بمقدار إيغاله بعده عن الإسلام، ولقد كانت السرية التي أحاطوا أنفسهم بها مدعاة لانقطاعهم عن جماهير الأمة، فلم يستأنسوا بما كان عند أهل السنة، وكلما اشتد الكتمان اشتد معه البعد.

وأنهم قد بلغ بهم الكتمان درجة أن كانوا يكتبون الكتب والرسائل لا يعلنون عن أسماء كاتبها، فرسائل إخوان الصفا التي اشتملت على علم غزير، وفلسفة عميقة هم الذين كتبوها، ولم يعرف العلماء الذين اشتركوا في كتابتها.

وأشهر ألقابهم الباطنية لأنهم يحكمون بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً، وكذلك يسمون القرامطة والمزدكية بالعراق، والتعليمية والملاحدة بخراسان.

وقد سموا الباطنية أو الباطنيين، وذلك لاتجاههم إلى الاستخفاء عن الناس والذي كان وليد الاضطهاد أولاً، ثم صار حالة نفسية عند طوائف منهم.

ومن الأسباب لتسميتهم بالباطنية أنهم يقولون في أحوال كثيرة: أن الإمام مستور، وظل كذلك إلى أن أنشأوا دولة لهم في المغرب ثم انتقلت إلى مصر.

ومن الأسباب أيضًا لهذه التسمية أنهم يقولون: إن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، فالناس يعملون الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الإمام، والإمام عنده علم الباطن، وأولوا على هذا ألفاظ القرآن تأويلات بعيدة، بل أول بعضهم بعض الألفاظ العربية تأويلات غريبة، وجعلوا هذه التأويلات وما عند الإمام هي علم الباطن، وفي الجملة فقد كانوا يسترون الكثير من آرائهم، ولا يعلنون إلا ما تسمح الأحوال بإعلانه.

ومن الأشياء المتأصلة فيهم أنهم لا يكشفون عما يرتأون حتى في الأوقات التي

كانت لهم دولة ولهم القوة.

مقامات الإمامة ودرجاتها عندهم: التي كانت معروفة في دور الستر والتقية هي:

١- الإمام المقيم. ٢- الإمام الأساسي.

٣- الإمام المتم. ٤- الإمام المستقر.

٥- الإمام المستودع. ٦- الإمام القائم بالقوة.

٧- الإمام القائم بالفعل.

وعندهم: الهياكل السبعة، والأدوار السبعة، والهياكل على نوعين: سبعة مؤتلفة، وسبعة مختلفة، والنطقاء سبعة، وأسسهم سبعة، والأئمة سبعة.

وقد افترقوا إلى عدة فرق، وما زالت حتى العصر الحاضر، وهذه الفرق هي:

أولاً: "الإسماعيلية القرامطة" وسميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث، الذي نشرها في مواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ.

ثانيًا: الإسماعيلية الفاطمية وهي الحركة الإسماعيلية الأصلية، وقد مرت بعدة أدوار ما بين الستر وبداية الظهور ودور الظهور.

ثالثًا: الإسماعيلية "الحشاشون" وهم أتباع الحسن بن الصباح لما توفي الإمام المستنصر سنة ٤٨٧هـ.

رابعًا: الإسماعيلية البهرة، وهم إسماعيلية مستعلية يعترفون بإمامة المستعلي بن المنتصر وابنه الطيب من بعده، وقد انقسمت البهرة إلى فرقتين: البهرة السليمانية، والبهرة الداودية.

خامسًا: الإسماعيلية الأغاخانية: وهم أتباع حسن علي شاه، الذي دعا إلى الإسماعيلية النزارية، ولقبه الإنجليز "أغا خان".

سادسًا: الدروز: وهي فرقة منبثقة من الإسماعيلية، وقد نشأت أيام الحاكم بأمر الله.

والإسماعيلية- على خلاف طوائفهم- لهم معتقدات باطلة، ولا تمت للإسلام بصلة، فهم قوم ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض.

يدينون بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل، ويضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله، ويخصونه بعلم الباطن، ويدفعون له خمس ما يملكون، والإمام عندهم هو محور الدعوة، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته، والأرض لا تخلو من إمام ظاهر مكشوف، أو باطن مستور، ويؤمنون بالتقية والسرية، ويقولون بتناسخ الأرواح، وينكرون صفات الله أو يكادون، لأن الله في نظرهم فوق متناول العقل، فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز... الخ.

ولا يقولون بالإثبات المطلق، ولا النفي المطلق، فهو إله المتقابلين، وخالق المتخاصمين، والحاكم بين المتضادين، ليس بالقديم ولا بالمحدث، فالقديم أمره وحكمته، والحديث خلقه وفطرته.

ومن مبادئهم: الإباحة المطلقة وإنكار الشرائع، ويقول عنهم الإمام الغزالي: "المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم.

ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، وقبائح هم لها فاعلون، فكم أحدثوا في الإسلام بدعًا، وفتقوا فيه فتقًا، وكم فتكوا بالحجاج ألوفًا، واستحلوا البلاد عنفًا، وهاجموا بلد الله الحرام، وهدموا زمزم، ونزعوا كسوة الكعبة، واختلعوا الحجر الأسود وحملوه إلى الإحساء عشرين عامًا، وملأوا المسجد الحرام بالقتلى... الخ.

- ولقد أسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع التوارث وعدم احترام الملكية الشخصية.

- ويجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته من إخوانه.

- وقاموا بإلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.

واستخدموا العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.

ويعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب، وأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

وينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو، وضعاف النفوس، وبين الذين يميلون إلى عاجل العذاب وأصبح مجتمع القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.

- ويقولون بالعصمة، وأنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر، ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويليهم:

الجنابة: مبادرة المستجيب بإفشاء السر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق.

الصيام: الإمساك عن كشف السر.

البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.

النبي: عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول بقوة الثاني، قوة قدسية صافية.

القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من مهنته، وسمي كلام الله مجازًا.

- ويفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم.

- يقولون بوجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق

العالم بواسطة الثاني لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ولا موصوف ولا غير موصوف.

- يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي وقتلهم الحسين.

- يقولون بالرجعة وأن عليًا يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.

- يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً.

- يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوس، والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

إن هؤلاء القوم يظهرون بمظهر محبة آل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وحقيقتهم الكيد للإسلام، ونشر الفساد، وإشاعة الضلال والإضلال، والدعوة إلى الشرك والإلحاد، والقضاء على الإسلام(١).

والبهرة "وإن كانوا منهم لكنهم أشر منهم، وأعظم شرًا، وأكثرهم كفرًا هؤلاء المسمون "بالدروز" الذين يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله،وينكرون الأنبياء ويصفونهم بالأبالسة، ويقولون بأن ديانتهم نسخت ما كان قبلها، ويقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته، ويقولون بالتناسخ والحلول، ويزعمون بأن الحاكم غاب عن الأنظار وسيرجع آخر الزمان.

وهم بهذا قد تجاوزوا حدود الإسلام فخرجوا عنه، وقد حكم عليهم علماء الإسلام- وعلى رأسهم ابن تيمية والغزالي- بالكفر ويكفرون من شك في كفرهم، ويعاملون معاملة المشركين لا يؤكل طعامهم ولا تحل ذبائحهم ويحل سبي نسائهم

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان ص (٣٩٥، ٣٩٧)، والملل والنحل ج١ ص (١٦٧، ١٦٨)، تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٥٥، ٥٧).

وأخذ أموالهم[1].

ومن **الغلاة**: **"الغرابية"**: الذين قالوا "علي" شبيه "محمد"، أشبه من الغراب بالغراب.

وقالوا: إن الله تعالى أرسل جبريل إلى علي، فغلط جبريل وأدى الرسالة إلى محمد لتأكد المشابهة بين علي ومحمد ﷺ.

ومنهم فرقة: تزعم أن جبريل عليه السلام أزاغ الرسالة عن علي إلى محمد عمدًا وقصدًا، لا غلطًا وسهوًا، وهذا باطل منهم وكفر بما أنزل الله من آيات تبين مكانة جبريل عليه السلام، فهو رسول ملكي أمين ﷺ.

وقد ذهبوا إلى أن المال كله للبنت، وعندما ولي عليهم قاض حكم للبنت بالنصف فما كان منهم إلا أن هددوه بالقتل، وهؤلاء يتضح من مقالاتهم أنهم من شرار الخلق، ولا شك في كفرهم.

"العلبائية": أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي، وقال قوم: هو الأسدي: وكان يفضل عليًا على النبي ﷺ، وزعم أنه بعث محمدًا يعني عليًا وسماه إلهًا، وكان يقول بذم محمد ﷺ، وزعم أنه بعث ليدعو إلى نفسه، ويسمون هذه الفرقة الذمية.

ويزعمون أن جبريل عليه السلام أزاغ الرسالة إلى علي لكن محمدًا كان أكبر سنًا من "علي" فاستعان "علي" به، ثم إن محمدًا استقل بالأمر ودعى الخلق إلى نفسه، وهؤلاء يسيئون القول في النبي ﷺ، ويفترقون في أقوالهم، وعلى حسب القول تطلق التسمية عليهم.

فالعينية: هم الذين يقولون بالإلهية لعلي ومحمد ويقدمون عليًا في أحكام الإلهية.

والميمية: هم الذين يقولون بإلهية علي ومحمد، ويفضلون محمدًا ﷺ في الإلهية،

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان ص ٤٨: ٤٨ ص ٢٠٦، ٢٠٧، ص ٣٤٣، ٢٢٦ بتصرف.

ومنهم من قال بالإلهية لخمسة أشخاص وهم أصحاب الكساء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

وقالوا: خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث، بل قالوا: فاطم[1].

"النصيرية": وهم أتباع أبي شعيب محمد بن البصري النميري، توفي سنة ٢٧٠هـ، والنصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، وهم يزعمون وجود جزء إلهي في علي وألهوه به، ومن أئمتهم من يدعي النبوة، ومنهم من يدعي الإلهية، ويعتقدون أن آل البيت أوتوا المعرفة المطلقة، وأن عليًا لم يمت، وأن الشريعة لها ظاهر وباطن، والإمام هو الذي يعرف الباطن، فقد أشرف النور على إمام العصر، فجعله يفهم حقيقة هذه الشريعة وباطنها لا ظاهرها.

وهذه الفرقة لها أفكار ومعتقدات عبارة عن مزيج من آراء وأفكار الفرق المنحرفة المنسوبة للشيعة، فقد أخذوا من السبئية القول بإلوهية علي ورجعته، ومن الباطنية القول بأن الشريعة لها ظاهرة وباطن، وقد كثر هؤلاء في بلاد الشام وخاصة في سوريا وفي لبنان وفلسطين، وهم يتخذون من جبل السمان مقرًا لهم، وهو يسمى الآن "جبل النصيرية" كما أن هذه الفرقة تقف مع أعداء الإسلام، فكلما رأوا قوة ظهرت تعادي الإسلام وتحاول السيطرة على بلاد المسلمين مالئوهم وجعلوا لهم مكانة عندهم، ويعادون من يخدم الإسلام ويحيكون ضده المؤامرات، فعندما جاءت الجملات الصليبية على الشام ومن ورائها البلاد الإسلامية كانوا يمالئونهم ضد المسلمين، ولما استولى هؤلاء الأعداء على بعض البلاد الإسلامية قربوهم وجعلوا لهم مكانًا بينهم.

---

(١) الملل والنحل ج١ ص١٧٥، اعتقادات فرق المسلمين ص٩٠، ٩١ بتصرف.

ولما جاء "نور الدين زنكي" ومن بعده صلاح الدين الأيوبي- رحمهما الله- اختفوا عن الأعين، وقصروا عملهم على تدبير الكيد والفتك بكبراء المسلمين وقوادهم العظماء عندما تسنح لهم الفرصة لذلك.

وعندما جاء التتار إلى الشام كانوا من الموالين لهم ومكنوهم من الرقاب، فلما انحسرت غارات التتار ذهبوا إلى أماكنهم في الجبال وأقاموا بها انتظارًا لفرص أخرى تسنح لهم.

اسمهم: يعرف هؤلاء تاريخيًا باسم النصيرية، ولكن المحتلين الفرنسيين أقاموا لهم دولة وسموها دولة "العلويين" من سنة ١٩٣٠- ١٩٣٦م.

وهم يتواجدون في سوريا بمنطقة جبال النصيريين باللاذقية والمدن المجاورة لهم وفي لبنان وفلسطين.

ويوجد عدد منهم كبير في غرب الأناضول ويسمون "التختجية والحطابون" وفي غرب الأناضول كذلك يوجد عدد منهم ويسمون "الغزل باشبه"، ويوجد عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم "العلي الهية" ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم "البكتاشية".

وتقوم أفكارهم ومبادئهم على الاعتقاد بألوهية علي، وأنه يسكن الأجرام السماوية، في القمر أو الشمس، ويحبون "عبد الرحمن بن ملجم" قاتل الإمام علي ويترضون عنه، لأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطئون من- يلعنه، ويعتقدون بأن عليًا قد خلق محمدًا، وأن محمدًا قد خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة وهم:

المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالوعود.

وعبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

وأبو ذر الغفاري: المتوكل بدوران الكواكب والنجوم.

وعثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

كما أن "ابن نصير" أباح المحارم وأحل اللواط بين الرجال.

وكذلك يعظمون الخمرة ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة المسماة عندهم "النور".

- يصلون في اليوم خمس مرات لكنها تختلف في الركعات ولا تشتمل على سجود، وإن كان فيها نوع من ركوع أحيانًا.

- لا يصلون الجمعة، ولا يتمسكون بالطهارة، من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة.

- ليس لهم مساجد عامة، بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

- لهم ثلاثة مساجد:

١- قداس الطيب لكل أخ حبيب.

٢- قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور.

٣- قداس الآذان والله المستعان.

- لا يعترفون بالحج ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام.

- ينكرون الزكاة المعروفة لدينا نحن المسلمين، ويدفعون ضريبة إلى مشايخهم مقدارها خمس ما يملكون.

- الصيام عندهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.

- يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا، ويلعنون أبا بكر وعمر.

أما طريقة الدخول في هذه الطائفة: وما لديهم من أسرار فإنه يذكرك بما عليه الجمعيات الماسونية في كثير من الأشكال والأحوال والهيئات.

ولهم- عند الدخول- ثلاث جلسات: جلسة التعليق- جلسة السماع- جلسة

المواثيق، ولهم مراتب ودرجات، يقسمون فيها العالم إلى علوي وسفلي.

والعلوي منه درجات: درجة الممتحن، فدرجة المختص، ثم النجيب، ثم النقيب، ثم اليتيم، وأخيرًا الباب.

والسفلي منه درجات أيضًا، اللاحقون، والمستمعون، والسائحون، والمقدسون، والرومانيون، والكربيون، والمقربون.

وأعيادهم: خليط بين الفارسية والنصرانية والشيعية، وأهمها:

١- عيد الغدير.	٢- عيد الفطر.	٣- عيد الأضحى.
٤- عيد الفراش.	٥- عيد عاشوراء.	٦- عيد الغدير الثاني.
٧- عيد النيروز.	٨- عيد المهرجان.	٩- عيد الصليب.

وإلى جانب هذه الأعياد الرسمية توجد أعياد شعبية وهي مسيحية خالصة يشارك النصيريون فيها مثل "عيد الغطاس- عيد السعف- عيد العنصرة- عيد القديسة بربارة- عيد الميلاد".

وأما حكم هؤلاء: فقد اتفق علماء المسلمين أن هؤلاء النصيرين لا يجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم، ولا يصلى على من مات منهم، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامه في الثغور والحصون، ويقول الإمام ابن تيمية- رحمه الله- عنهم: "هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية، أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السابقة، وهم دائمًا

مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى- والعياذ بالله- النصارى على ثغور المسلمين، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم.

وقال أيضًا عنهم وعن الدروز: "هؤلاء كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، بل ولا يقرون بالجزية فإنهم مرتدون عن ديار الإسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى.

وقال ابن عابدين في رد المحتار- في فصل المحرمات- عند قول المصنف: وحرم نكاح الوثنية بالإجماع، ما نصه. قلت: وشمل ذلك الدروز والنصيرية والنيامنة، فلا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبيحتهم، لأنهم ليس لهم كتاب سماوي.

وبهذا تكون النصيرية بكل ما ورد عنهم قد خرجت من دائرة الإسلام. شأنهم في ذلك شأن كل غلاة الشيعة أو الرافضة[1].

ومن الرافضة أيضًا: "فرقة الشميطية"": وهؤلاء يسوقون الإمامة من علي إلى الحسن، فالحسين فعلي بن الحسين فابنه محمد بن علي فابنه جعفر، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر "محمد بن جعفر" ثم هي في ولده من بعده، وقد نسبوا إلى رئيس لهم يقال له "يحيى بن أبي شميط".

ومنهم فرقة يسوقون الإمامة من "علي" على ما سبق في الشميطية إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر ابنه "عبد الله بن جعفر" وكان أكبر من خلف من ولده وهي أي الإمامة في ولده.

---

(١) راجع بتوسع: الفتاوى لابن تيمية ج ٣٥ ص ١٤٩: ١٦١، الموسوعة الميسرة في الأديان ص ٥١٥، حولية كلية الدعوة ٢ العدد ١١سنة ١٩٩٧ م ص٧٩ مقال للدكتور علي عبد الوهاب.

ويسمون بهذا الاسم نسبة إلى رئيس لهم يعرف "بعياد" ويدعون "الفطحية" لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرجلين.

ومن العيادية جماعة الزراعية "التميمية" تدعي أنه أي زرارة بن أعين، وزرارة لقبه، واسمه عبد ربه، وكنيته أبو الحسن، كان على مقالتها، وأنه لم يرجع، وزعم بعضهم أنه رجع عن ذلك حين سأل "عبد الله بن جعفر" عن مسائل لم يجد عنده جوابها وصار إلى الائتمام بموسى بن جعفر بن محمد(١).

ومن الروافض أيضًا "فرقة الواقفة" وسموا بذلك لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر، ولم يجاوزوه إلى غيره، وهم المطورة أيضًا.

ومنهم "الموسائية، المفضلية" وهم القائلون بإمامة "موسى بن جعفر "يدعون" الموسائية "ويدعون المفضلية لأنهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له "المفضل بن عمر" وكان ذا قدر فيهم.

ومن الموسوية فرقة وقفوا في أمر "موسى بن جعفر" فقالوا: لا ندري أمات أم لم يمت، إلا أننا مقيمون على إمامته حتى يتضح لنا أمر غيره، وإن وضحت لنا إمامة غيره كما وضحت لنا إمامته قلنا بذلك وانقدنا له، وقد توقف هؤلاء في موت موسى بن جعفر، ومنهم من قطع بموته وهم القطعية، ومنهم من توقف عليه، وقال: إنه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفة.

ومن الروافض أيضًا فرقة تسوي الإمامة من علي إلى موسى بن جعفر، كما حكينا من قول المتقدمين غير أنهم يقولون: إن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه "أحمد بن موسى بن جعفر".

(١) مقالات الإسلاميين ص ١٠٢، ١٠٣ بتصرف.

ومن الروافض كذلك فرقة تزعم أن النبي ﷺ نص على "علي" وأن عليًا نص على "الحسن بن علي" ثم انتهت الإمامة إلى "محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر "كما عند القطعية، ويزعمون أن محمدًا بن الحسن بعده إمام هو القائم الذي يظهر فيملأ الأرض عدلاً، فيقمع الظلم[1].

ومنهم آخرون، مما يجعلك تقول: إن الشيعة ليست فرقة واحدة، بل هي إلى السبعين أقرب، وإنما إلى الأديان أقرب من المذاهب، وإلى النحل أقرب من الملل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خامسًا: أبرز كتبهم ورجالهم قديمًا وحديثًا:

قديمًا: أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأتباع بيان بن سمعان التميمي، وأتباع رزام بن رزم، وأتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي، وأصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وأصحاب سليمان ابن جرير، وأصحاب الحسن بن صالح بن حي، وأصحاب كثير النوي الأبتر.

ومن رجال الزيدية: أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي، والحسن بن صالح بن حي، ومقاتل بن سليمان، والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي، والداعي الآخر صاحب طبرستان: الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، ومحمد بن نصر.

وأتباع محمد بن الباقر بن علي زين العابدين، وابنه جعفر الصادق وأتباع رجل يقال له: ناووس، "وابنه عبد الله الأفطح"، وأتباع يحيى بن أبي شميط.

---

(١) المرجع لاسابق ص ١٠٤، ١٠٥ بتصرف، والملل والنحل ج١ ص١٦٨، ١٦٩.

وأصحاب عبد الله بن سبأ، وأصحاب أبي كامل وأصحاب العلباء بن ذراع الدوسي، وأصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، وأصحاب أبي منصور العجلي، وأصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زيزب الأسدي، وأتباع أحمد بن الكيال، وأصحاب الهشامين: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول، وأصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي [1].

يقول الشهرستاني: رجال الشيعة ومصنفو كتبهم من المحدثين.

فمن الزيدية: أبو خالد الواسطي، ومنصور بن الأسود،وهارون بن سعد العجلي "جاروديه" ووكيع بن الجراح، ويحيى بن آدم، وعبيد الله بن موسى، وعلي بن صالح، والفضل بن ركين، وأبو حنيفة (بترية) وخرج محمد بن عجلان مع محمد الإمام، وخرج إبراهيم بن سعيد، وعباد بن عوام، ويزيد بن هارون، والعلاء بن راشد، وهيثم بن بشير، والعوام بن حوشب، ومسلم بن سعيد مع إبراهيم الإمام.

ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة: سالم بن أبي الجعد، وسالم بن أبي حفصة، وسلمة بن كهيل، ونوبر بن أبي فاختة، وجيدب بن أبي ثابت، وأبو المقدام، وشعبة، والأعمش، وجابر الجعفي، وأبو عبيد الله الجدلي، وأبو إسحاق السبيعي، والمغيرة، وطاووس والشعبي، وعلقمة، وهبيرة بن برين، وحبة رلعرني، والحارث الأعور.

ومن مؤلفي كتبهم: هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، ويونس بن عبد الرحمن، والشكال، والفضل بن شاذان،والحسين بن إشكاب، ومحمد بن عبد الرحمن، وابن قبة، وأبو سهل النوبختي، وأحمد ابن يحيى الراوندي.

ومن المتأخرين: أبو جعفر الطوسي[2].

(١) انظر بتوبع: الملل والنحل للشهرستاني ص (١٤٦: ١٩٠).

(٢) الملل والنحل ص (١٩٠).

سادسًا: أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على الشيعة

أصل الشيعة وأصولها	محمد الحسين آل كاشف الغطاء
تاريخ المذاهب الإسلامية	محمد أبو زهرة
تطهير الجنان واللسان عن الحظور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان	للمحدث أحمد بن حجر الهيثمي المكي
تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة	لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكتماني
جامع الرسائل	لابن تيمية
الذريعة إلى تصانيف الشيعة	أغا برزك الطهراني
ذو النورين عثمان بن عفان	محب الدين الخطيب
الرسالة	للإمام الشافعي
السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة	للسيد محمد رشيد رضا
الشيعة في التاريخ	محمد حسن الزين العاملي
عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية	علي أحمد السالوس
فرق الشيعة	الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي
الفرق بين الفرق	أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي

الفصل في الملل والأهواء والنحل	لأبي محمد علي بن أحمد حزم
فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة	د/ أحمد علي السالوس
الملل والنحل	للشهرستاني
منهاج السنة النبوية	لابن تيمية
الوشيعة في نقد عقائد الشيعة	موسى الجار الله
مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع	د/ علي أحمد السالوس
بطلان عقائد الشيعة	محمد عبد الستار التونسوي
حقيقة الشيعة	عبد الله بن عبد الله الموصلي
الشيعة والقرآن	إحسان إلهي ظهير
الشيعة والسنة	إحسان إلهي ظهير
الشيعة وآل البيت	إحسان إلهي ظهير

وأخيرًا ما حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة؟

وبادئ ذي بدء نوضح ما هي فكرة التقريب؟ حتى ننبه المسلمين المخدوعين، والغافلين من أهل السنة والجماعة، ومن يحسنون الظن بأعدائهم ولا يحتاطون لأمر نجاتهم، وإلى من جهل مذهب الشيعة فانخدع وهو سليم القلب، وإلى المتعاطفين مع الشيعة وضحاياهم، ومن يجهلون الأمر والموقف الحقيقي للشيعة من أهل السنة. وإلى كل الداعين إلى التقريب بين أهل السنة والشيعة نقول:

يجب أن نعلم أن هناك دارًا في القاهرة تسمى دار التقريب بالزمالك، تعمل

لصالح الشيعة، كذا ما يسمى بالمذهب الجعفري، أو الجعفرية، ولم يقف الأمر عند هذا، بل تم إنشاء جمعية أهل البيت سنة ٧٣، ٧٤ اتخذت مركزًا لها بالمعادي بالقاهرة، واستخدمت أساليب متنوعة لنشر عقيدة الشيعة بين أهل السنة.

هذا وإن الذين تعاطفوا منا مع الشيعة لم يكونوا على علم بمعتقدات الشيعة، وإن عدم العلم بالشيء لا يعني عدمه. وعدم العلم هذا هو الذي أوقع كثيرًا من علمائنا ومفكرينا في الدعوة إلى التقارب معهم، وهو الذي حدا بالشيخ محمود شلتوت أن يقول فتواه بجوار التعبد بالمذهب الاثني عشري.

إن التقية الخبيثة التي يؤمن بها الشيعة دينًا هي التي ذهب ضحيتها الشيخ الأسبق محمد الفحام، وأيضا الشيخ حسن البنا رحمه الله تعالى، وغيرهم من حسني النية الذين دعوا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، أو بين الشيعة وأهل السنة، وما ذلك إلا سبب التقية المبالغ فيها وهي التي تأمر الشيعة بأن يظهروا عكس ما يبطنون من عقائد، وعليه فإن الشيعي قد يقر ظاهرًا ما يقر به باطنًا، وقد ينكر ظاهرا ما يعتقده باطنًا.

وبسبب هذه العقيدة وقع من وقع من أهل السنة، وصدق كلام الشيعة، بل وأفتى بجواز التعبد بمذهبهم، فمن أجل التقية والخداع يكتبون ويقولون ما لا يعتقدونه أصلاً.

إن هدف الشيعة من التقريب هو نشر مذهبهم بين أهل السنة، وقد نجحوا في العراق وغيرها حيث تمكنوا من إدخال عدد من القبائل السنية في التشيع فأصبح أولئك عددًا يضاف إلى أعداء الأمة يطعنون فيمن حمل هذا الدين، أعني الصحابة ﷺ، ويتربصون بالأمة الدوائر.

ولذلك فدعوة التقريب التي نراها أو نسمع عنها في مصر تحتاج إلى نظر، وإلا

كانت دعوة إلى المذهب الشيعي، إنها لعبة مكشوفة، وبواسطة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية نفذت خدعة مذهبية مدروسة بانتزاع فتوى من الشيخ شلتوت المخدوع بجوار التعبد بالمذهب الشيعي، حتى فهم منها أن مذهب الشيعة متفق عليه، ومذهب أهل السنة مشكوك فيه، فلاحظ أن القوم يحيطون ويعملون من أجل نصرة مذهبهم ونشره بين أهل السنة والجماعة باستغلال من ليس على علم بمعتقداتهم أو بإغرائهم.

ودليل ذلك أنه أنشئت دار التقريب في مصر، ينفق عليها من الميزانية الرسمية لدولة الشيعة، وهذه الدولة الشيعية إذ آثرتنا بهذه المكرمة، واختصتنا بهذا السخاء الرسمي، وضنت- في نفس الوقت- بمثلها على نفسها وعلى أبناء مذهبها، فلم تنشئ دارًا للتقريب في طهران أو في النجف أو غيرها من مراكز الدعاية الشيعية- في السنين الأخيرة- من الكتب التي تهدم فكرة التفاهم والتقريب ما تقشعر منه الأبدان.

ومن ذلك كتاب اسمه "الزهراء"- في ثلاثة أجزاء نشره علماء النجف- وقالوا فيه عن أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" إنه كان مبتلى بداء لا يشفيه منه إلا ماء الرجال!!

فالروح النجسة التي يصدر عنها مثل هذا الفجور المذهبي هي أحوج إلى دعوة التقريب من حاجتنا نحن أهل السنة إلى مثل ذلك.

وبعد إعطاء فكرة مبسطة عن التقريب نذكر رأينا في فكرة التقريب بصفة عامة فنقول:

إن التقريب بين المسلمين في تفكيرهم واقتناعاتهم واتجاهاتهم وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام، ومن أهم وسائل القوة والنهوض والإصلاح، وهو من الخير لشعوبهم وجماعتهم في كل زمان ومكان. والدعوة إلى هذا التقريب إذا كانت بريئة من الغرض، ولا يترتب عليها في تفاصيلها ضرر يطغى على ما يرجى من نفعها، فإن

على كل مسلم أن يستجيب لها، وأن يتعاون مع المسلمين على إنجاحها، وأول ما نلاحظه في هذا الأمر- وفي كل أمر له علاقة بأكثر من طرف واحد- أن من أقوى أسباب نجاحه أن يكون هناك تجاوب بين الطرفين، أو الأطراف ذات العلاقة به.

لكن أن يكون المقصود هو الانتصار لفكرة واحدة، ونشر مذهب واحد يعتقد في نفسه أنه على الحق وما سواه على الباطل، فكيف يتحقق التقارب أو يتم التفاهم؟!

ويتحقق هذا مع الوسطية أو الإنصاف، فيقتضي الأمر مثلاً أن يبدءوا بتخفيف إحنتهم وضغينتهم عن أئمة الإسلام الأولين، وأن يشكروا لأهل السنة موقفهم النبيل من آل البيت وعدم تقصيرهم بشيء من واجبات الإجلال والتكريم لهم، إلا أن يكون تقصيرنا نحو آل البيت في أننا لم نتخذهم آلهة نعبدهم مع الله!! كما هو المشاهد في مشاهدهم القائمة في الناحية الأخرى التي يراد التقريب بيننا وبينها.

إن التجاوب لابد منه بين الطرفين المراد تفاهمهما والتقريب بينهما، ولا يكون التجاوب إلا إذا التقى السالب بالموجب ولم يقتصر نشاط الدعوة إليه، والعمل لتحقيقه، على جهة واحدة دون الأخرى كما هو حاصل الآن.

وثانيًا: لا يجوز أن يكون التقريب مبتدئًا بالفروع قبل الأصول كالفقه والسياسة ونحو ذلك، فالفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلمة عند الفريقين، والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة، وما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الاشتغال بفروعها فلن يتحقق تقريب إيجابي.

والآن تستطيع أن تقول: ما هو حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة؟

إن حكم التقريب بين أهل السنة والشيعة على نحو ما هم عليه من التمسك بمذهبهم مستحيل بكل المقاييس.

وذلك لأن واضعي أسس الدين الشيعي لم يتركوا في أصولهم أي وسيلة لهذا التقريب، بعد أن أقاموه على دعائم منافية لما جاء به النبي ﷺ، ودعا إليه أصحابه، وتركهم على المحجة البيضاء الواضحة لا ينحرف عنها منحرف إلا هلك.

وهؤلاء القوم قد بنوا مذهبهم على الحقد والضغينة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين قام الإسلام على أكتافهم لدرجة أنهم كفروا الصحابة عدا عن نفر قليل يعدون على أصابع اليد أو اليدين!!

وقد سمعت نموذجًا لمثل الكلام القذر الذي قالوه عن أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"!!

هذا ومما يمنع التجاوب الصادق بيننا ويستحيل التقارب بين أهل السنة والشيعة، اعتقادهم بمبدأ أو عقدية "التقية" فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك، ولا يرضون به، ولا يعملون له، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد، مع بقاء الطرف الآخر في عزلته مؤمنًا بعقيدته، متمسكًا بمذهبه، لا يتزحزح عنه قيد شعرة.

هذا وكيف يكون التقارب بيننا وبينهم مع عدم وجود المرجع الذي نرجع إليه، ويجمع بيننا؟

فإن ربنا يقول ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] كما قال: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

وهؤلاء القوم لا يؤمنون بالقرآن الذي نؤمن به نحن المسلمين، أهل السنة والجماعة، فهم يؤمنون بمصحف فاطمة الذي هو أضعاف هذا القرآن ثلاث مرات، ليس فيه من القرآن حرف واحد، والذي هو مع الإمام الغائب.

وقد ألفوا كتبًا أثبتوا فيها تحريف القرآن مثل كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" لأحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، وقد جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه!!

وهذه النصوص الشيعية المكذوبة على أئمة أهل البيت قديمة العهد، ورحم الله أبا محمد بن حزم كان يتناظر مع قسس أسبانيا في نصوص كتبهم ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها، فكان أولئك القسس يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن محرف أيضا، فأجابهم ابن حزم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين، لأن الشيعة غير مسلمين[1].

هذا وعند اعترافهم بهذا القرآن، فإن أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي ﷺ، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن. وهناك فتوى عندهم بأنه لا يأثم من قرأ القرآن كما يتعلم الناس من المصحف العثماني!!

هذا وكيف يتم التقريب والشيعة تزعم- خاصة الإمامية الاثني عشرية والتي تسمى بالجعفرية أيضًا- أن جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبي ﷺ، وإلى هذه الساعة- عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب- حكومات غير شرعية، ولا يجوز لشيعي أن يدين لها بالولاء والإخلاص من صميم قلبه، وإنما يتقيهن تقاه.

ولذلك يلعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان، وكل من تولى الحكم في الإسلام غير علي، وقد كذبوا على الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بأنه

(١) انظر كتاب- الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج٢ ص٧٨، ج٤ ص١٨٢ ط القاهرة.

أقر شيعته على تسمية أبي بكر وعمر بالجبت والطاغوت، وتعبدهم بالدعاء الذي يسمونه "دعاء صنمي قريش" وهو دعاء مطول وفي غاية القبح!!

وقد بلغ من كراهيتهم لعمر بن الخطاب أن سموا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي "باب شجاع الدين"!

واعتبروا يوم قتله يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية!!

ومن عقائدهم الأساسية أنه عندما يقوم المهدي "وهو إمامهم الثاني عشر" الذي هو حي الآن وينتظرون خروجه- أي ثورته- وإذا ذكروه قالوا عجل الله فرجه، عندما يقوم هذا المهدي من نومته الطويلة التي زادت على ألف ومائة سنة، وسيحيي الله له ولآبائه جميع حكام المسلمين السابقين مع الحكام المعاصرين لقيامه، وعلى رأس الجميع "الجبت والطاغوت- أبو بكر وعمر" فمن بعدهما، فيحاكمهم على اغتصابهم الحكم منه ومن آبائه الأحد عشر إمامًا.. ويسمى هذا الإحياء بالمحاكمة والقصاص، وهي عقيدة الرجعة "وهي من عقائدهم الأساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد.

وأن أعلام الشيعة وأحبارهم في جميع العصور واقفون هذا الموقف المخزي من صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه أبي بكر، وعمر، ومن سائر أعلام الإسلام وخلفائه وحكامه وقادته ومجاهديه وحفظته.

إن قومًا نفوا الإيمان عن أبي بكر وعمر، كما كفروا الصحابة عدا عن علي وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، كيف يتم التقريب معهم، أو التقارب منهم!!

وفي الوقت الذي يترل الشيعة بأصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان

إلى هذه الدركة المخزية، فإنهم يزعمون لأئمتهم ما يتبرأ منه أولئك الأئمة أنفسهم، فقد نعتوهم نعوتًا ترفعهم عن منزلة البشر، بل والأنبياء، وترفعهم إلى مصاف الآلهة، ولو شئت لاكتفيت بنقل عناوين الأبواب فقط بنصها وبالحرف عن كتاب "الكافي" للكليني، وهو عندهم بمنزلة "البخاري" عند المسلمين، فهم لا يتفقون معنا في قرآن ولا سنة، فضلاً عن غيرهما!! ومن هذه العناوين: باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم يعلمون علمه كله، باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود، وآل داود!! ولا يسألون البينة، باب أنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، وباب أن الأرض كلها للإمام!!

وبينما يدعون لأئمتهم الاثني عشر ما لا يدعيه هؤلاء الأئمة لأنفسهم من علم الغيب، وأنهم فوق البشرية، فإنهم- أي الشيعة- ينكرون على النبي ﷺ ما أوحى الله إليه من أمر الغيب كخلق السماوات والأرض وصفة الجنة والنار.

وهذا.. وكيف يتم التقريب بين أهل السنة والشيعة ونحن نخالفهم في عقيدة الولاء والبراء، فالولاء- عندهم- للأئمة من آل البيت، وليس آل البيت جميعهم، والبراء ممن سواهم من أصحاب رسول الله ﷺ وعلى رأسهم الخلفاء "أبو بكر وعمر وعثمان" وكذا بقية العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بأن هؤلاء العشرة من أهل الجنة، لكفى، في حين أن ولاءنا لله ولرسوله وللمؤمنين، وعلى رأسهم سائر الصحابة الذين

قام الإسلام على أكتافهم، ونبت الحق والخير في العالم بدمائهم، وعداؤنا لمن عاداهم من سائر الضالين والمارقين وملل الكافرين.

وكيف يطالبنا الشيعة بالبراءة من أصحاب رسول الله ﷺ ثمنًا للتقريب بيننا وبينهم- في حين أن إمامهم الأول علي ﷺ كان يحبهم، ومن أمثلة ذلك أنه سمى أولاده- بعد الحسنين وابن الحنفية- أبا بكر وعمر وعثمان وزوج ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر بن الخطاب، وبعد شهادته تزوجها ابن عمها محمد بن جعفر، فمات عنها فتزوجها أخوه عون بن جعفر.!!

إن الثمن الذي يطالبنا به الشيعة للتقرب منهم ثمن باهظ، نخسر معه كل شيء ولا نأخذ به شيئًا، والأحمق من يتعامل مع من يريد منه أن يرجع عنه بصفقة المغبون.

إن الولاء والبراء الذي قام على أساسه الدين الشيعي- على ما قرره النصير الطوسي وأيده نعمة الله الموسوي والخونساري- لا معنى له إلا تغيير دين الإسلام الحق، والعداوة لمن قام على أكتافهم بنيان الإسلام.

هذا والشيعة- الاثني عشرية- يدعون العصمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأحد عشر رجلاً من سلالته، وإن لم يدعها علي لنفسه ولا لأحد من بنيه! ويرى الشيعة أن هؤلاء الاثني عشر مصدر التشريع!! وفي نفس الوقت زعموا أن أبا بكر وعمر قد انتزعا الخلافة من علي، وإنهما أئمة جور ولا يجوز أن ننفذ أحكامهما، مع أن عليًا نفسه قد نفذ أحكامهما يوم أن أخذ جارية من سبي بني حنيفة، وقد سباهم أبو بكر ﷺ، ثم تولدها- أي علي- وولدت له محمد بن الحنفية، وكذلك لما زوج علي ﷺ ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب. هذا ولقد صرح الشيعة بردة أكابر الصحابة الذين وردت الآيات والأحاديث الكثيرة في الثناء عليهم، مما هو معلوم من الدين بالضرورة، وقد ردوه وأنكروه.

وقصد الرافضة من وراء الدعوة إلى ارتداد كبار الصحابة نسف الشريعة التي نقلوها إلينا، وزرع الشك في نفوسنا في نقلهم ما داموا قد ارتدوا، وكذلك من أغراضهم التي يقصدونها من وراء ادعاء ارتداد الصحابة العمل على فقدان الثقة في الأجيال المسلمة بسلفهم، وحرمانهم من الاقتداء بالجيل المثالث الفذ العظيم، الذي تربى في مدرسة محمد ﷺ، فيصبحون هملاً، لا تاريخ لهم، ولا قدوة صالحة يقتدون بها، وقد حاول الرافضة تحقيق مأربهم، فدسوا في تاريخنا الإسلامي ما يريدونه من تشويه تاريخ الصحابة، وتضليل الناشئة مئات السنين، مما رأينا من نماذج أكاذيبهم وأضاليلهم.

وكيف رد عليها الأئمة الأعلام أمثال القاضي أبو بكر بن العربي، وابن تيمية وابن كثير، والشيخ محيي الدين الخطيب، ومما يؤسف له أن جميع هذه الردود بقيت حبرًا على ورق، حبيسة الكتب، ولم تدخل مدارسنا ولا جامعاتنا، ولم توضع بين أيدي المؤلفين والأساتذة والطلاب الذين ما زالوا في فتنة عمياء، وفي ضلال مبين.

ومن مكائد الرافضة التي تخفى على الكثيرين أنهم يلجأون إلى الكتب التي تفضح مؤامراتهم، فيجمعونها من الأسواق، ويحضون أتباعهم على حرقها!

وكل هذا يدعونا إلى المسارعة لتصحيح تاريخنا وتنظيفه من التخريف والتضليل، ومعرفة الحقيقة جلية، ورحم الله القاضي أبا بكر بن العربي إذ قال: ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد ﷺ حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل، فما يرجى من هؤلاء، وما يستبقي منهم؟

هذا وكيف يتم التقريب مع الشيعة وهم الذين يعتقدون في أهل السنة والجماعة أنهم كفار، ويسمونهم نواصب. ومعناه أنهم نصبوا العداوة لأهل البيت، أو من قدَّم على "علي ﷺ" غيره.

ولأن أهل السنة يقدمون الخلفاء الثلاثة على "علي" فهم نواصب عند الشيعة وقد صرحوا بذلك في قولهم: ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن، والنواصب من أنكروا خلافة الوصي.

ثم قالوا بنجاسة أهل السنة، فذكروا في عدد الأعيان النجسة وهي عشرة- العاشر منها: هو الكافر وهو من لم ينتحل دينًا أو انتحل دينًا غير الإسلام أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنه من الدين الإسلامي بحيث رجع جحده إلى إنكار الرسالة، أو إنكار المعاد الذي يوجب الكفر مطلقًا، ولا فرق بين المرتد والكافر الأصلي والحربي والذمي والخارجي والغالي والناصب...

وقالوا: لا إشكال في نجاسة الغلة والخوارج والنواصب، كما قالوا والخوارج والغلاة والناصب وهو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت- عليهم السلام- أنجاس.

وقال آية الله الخميني. وأما النواصب والخوارج لعنهما الله تعالى فهما نجسان من غير توقف.

واسمع شيئًا يكشف لك خبثهم ودهاءهم، روى شيخهم ابن بابويه القمي في كتابه: علل الشرائع، عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: ما تقول في قتل الناصب؟ قال. حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء كيلا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه.

ولو ألقينا نظرة تاريخية، فالدولة العباسية دولة سنية، ولحسن نية أهل السنة عين الخليفة العباس وزيرًا شيعيًا هو الخواجة نصير الطوسي، فغدر هذا النصير الطوسي الشيعي بالخلافة وتحالف مع التتار فوقعت مجزرة بغداد والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين بسبب خيانة هذا الشيعي.

ويأتي الخميني ليبارك فعل هذا الحاقد في كتابه "الحكومة الإسلامية" فيقول ما نصه: "وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدًا منا الدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله.

فلاحظ كيف عد مجزرة بغداد التي دبرها النصير الطوسي نصرًا للإسلام والمسلمين، وهؤلاء الذي يدخلون في سلك سلاطين أهل السنة لا يتورعون عن قتل أهل السنة إن سنحت لهم الفرصة كما فعل علي بن يقطين هذا الذي أثنى عليه، عندما هدم السجن على خمسمائة من السنيين فقتلهم، نقل لنا هذه الحادثة العالم الشيعي الذي وصفوه بالكامل الباذل، صدر الحكماء، ورئيس العلماء، نعمة الله الجزائري في كتابه المعروف "الأنوار النعمانية" فذكر القصة بنصها، فقال: وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعة، فأمر غلمانه وهدوا سقف السجن على المحبوسين، فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبًا، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم، فكتب ﷺ إليه جواب كتابه بأن لو كنت تقدمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، وحيث إنك لم تتقدم إلي فكفر عن كل رجل قتلته منهم بتيس، والتيس خير منه.

فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد، فإن ديته عشرون درهمًا، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنها ثمانمائة درهم، وما لهم في الآخرة أخس وأبخس!!

- كما ثبت أن الحروب الصليبية التي قام بها الصليبيون ضد الأمة الإسلامية

ليست إلا حلقة من الحلقات المدبرة التي دبرها الشيعة ضد الإسلام والمسلمين كما يذكر ابن الأثير وغيره من المؤرخين.

وإقامة الدولة الفاطمية في مصر ومحاولاتها تشويه صور السنيين وإنزالها العقاب على كل شخص ينكر معتقدات الشيعة، وقتل الملك النادر في دلهي من قبل الحاكم الشيعي آصف خان على رؤوس الأشهاد، وإراقة دماء السنيين في ملتان من قبل الوالي أبي الفتح داود الشيعي، ومذبحة جماعته للسنيين في مدينة لكناو الهند وضواحيها من قبل أمراء الشيعة على أساس تمسكهم بمعتقدات الشيعة بشأن سب الخلفاء الثلاثة ﷺ.

ثم الإجراءات الصارمة التي اتخذتها حكومة الإمام الخميني ضد أهل السنة والجماعة فإنها ليست غريبة عليهم حيث إن التاريخ يشهد بأن الشيعة كانوا وراء تلك النكسات والنكبات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية على مر التاريخ، ولا زلنا نسمع في هذه الأيام عن المذابح التي تقام لأهل السنة في إيران.

وعلى الجملة فإن الشيعة يكنون البغض والعداء والكراهية لأهل السنة، ولكنهم لا يجاهرون بهذا العداء بناء على عقدية التقية الخبيثة، فمجاملة الشيعة لأهل السنة وإظهار المودة الزائفة التي تحثهم عليها عقيدة التقية جعلت أهل السنة لا يفطنون إلى موقف الشيعة الحقيقي.

وذلك لان التقية التي هي الكذب وإخفاء الحقيقة ليست رخصة عندهم فحسب، بل هي ركن من أركان دينهم، وقد رووا فيه الكثير عن أئمتهم، فقد روى الكليني في التقية أخبار كثيرة، فروى عن أبي عبد الله أن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، وعن أبي جعفر قال: التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له.

ورووا عن بعض أئمتهم أنه قال: من صلى وزاء سني تقية فكأنما صلى وراء

نبي، ثم في وجوب قضاء هذه الصلاة عندهم خلاف. وقد فسروا كثيرًا من أعمال الأئمة أنهم فعلوها تقية، فسكوت علي على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كانت تقية، ومصالحة الحسن مع معاوية كانت تقية أيضًا، فإذا كان هذا دين القوم فكيف يستطيع المرء أن يأمنهم أو يثق فيهم؟

وفي الخلاصة أن الشيعة قوم يدينون بدين هو غير دين الله الذي جاء به محمد بن عبد الله، نبي الله وصفيه، صلوات الله وسلامه عليه. ويؤمنون بقرآن غير القرآن الموجود في أيدي الناس، والمترل من الله على قلب المصطفى، نزل به الروح الأمين ﷺ، ولهم عقائد لا تمت إلى الإسلام بصلة، والإسلام منها بريء، هذا وللقوم خطرهم ومكرهم وما يكتمون من وراء دعوتهم أهل السنة إلى التقريب والتقارب من التزوير والتمويه على أهل السنة ما فيه، مستعملين في ذلك "التقية" اللازمة لمذهبهم والأكاذيب التي هي أكبر وسيلة للقوم.

ولذلك فالقوم أنفسهم وخاصة العوام منهم لا يعرفون مذهبهم الحقيقي، ومعتقداتهم الأصلية، فهم في جهل كامل وغفلة عميقة عن حقيقة مذهبهم الذي اعتنقوه وراثة، أو مخدوعين باسم حب أهل بيت النبي ﷺ والولاء لهم، وهم لا يعرفون حتى أهل البيت، لأن القوم ما أرادوا من أهل البيت أهل بيت النبي ﷺ بل يقصدون أهل بيت علي، وحتى علي لا يعدون جميع أولاده من أهل البيت، مع أن فيهم بناته اللاتي أنجبتهم فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ، بل يقصدون من ذلك أشخاصًا معدودين يعدون على أنامل يد واحدة، ومن العجيب أن القوم لشدة بغضهم أصحاب رسول الله ﷺ، ورضوان الله عليهم أجمعين، نبذوا تعليمات أئمتهم الذين يزعمونهم معصومين، لا يصدر عنهم الخطأ والزلل، والثابتة في كتبهم أنفسهم لا في كتب مخالفيهم أو معانديهم.

فما الشيعة إلا كاليهودية، ضغائن قديمة، وأحقاد متوارثة، وجهل سائد موروث من جيل إلى جيل باسم أهل البيت وعلى حسابهم أهل البيت الذين كانوا هم أخلص المخلصين لرفاق رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمتوادين والمتعاطفين المتراحمين المتحابين فيما بينهم.

وأما الشيعة فقد تجاوزوا ذلك إلى إهانة أهل البيت أنفسهم، والطعن والنقد والجرح فيهم واستصغارهم واحتقارهم، ووصلوا إلى حد الإساءة والسباب والشتيمة في حقهم، كما تجرأوا على أنبياء الله ورسله، وتطاولوا على خير الخلق وسيد البشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كذبوا عليهم ونسبوا إليهم مسائل يمجها العقل ويزدريها الفكر، وتأباها الفطرة السليمة وينكرها الذوق، وكل هذا من كتبهم الموثوقة، المعتبرة المعتمدة لديهم، والتي طبعوها بأنفسهم أيضًا[1].

وبذلك نرى أن الشيعة لا يريدون دينًا أنزله الله، قائمًا على العقل والمنطق والحكمة، وإنما يريدون دينًا من صنع أيديهم، وهم واليهود في ذلك سواء، ولا تعجب فاليهود أصل المذهب وأساسه، وصدق قول ا لله فيهم ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] لقد جاء الإسلام صافيًا نقيًا سهلاً، فأبى الشيعيون إلا أن يجعلوه أحاجي ومعميات وأساطير وخرافات، فغالوا بدعوى الإمامة، وتغنوا بها على مدى العصور، وبعد أن ابتدعوها ألبسوا الإمام ثوبًا يختلف كل الاختلاف عما عليه كل البشر، واخترعوا له شروطًا مضحكة ومبكية، يخجل العاقل من أن يسمعها، فكيف له أن يعتقدها أو يتفوه بها، ولكن الشيعة لم يتركوا سخافة إلا نسبوها للأئمة ظنًا منهم أنهم بهذه السخافات يرفعون من شأن أئمتهم، فكان

(١) راجع في ذلك كتاب:الشيعة وأهل البيت للشيخ إحسان إلهي ظهير، وبقية كتبه عن الشيعة.

الأمر عكس ما أرادوا، إذ أنهم حطوا من قدرهم، فتارة يزعمون أن الأئمة آلهة، وأخرى أنهم أنوار تحت ظل العرش، وثالثة ورابعة من أمثال هذه السخافات.

هذا فضلاً عن أن المذهب الشيعي مبني على الكذب على رسول الله ﷺ وتكذيب الأحاديث الصحيحة، ولا يوجد في الخلق أكذب منهم.

وبعد وضوح هذه الفروق الأساسية بين طريقة أهل السنة وطريقة الشيعة في النظر إلى الإسلام، وتعيين الأسس التي يقوم تشريعه عليها، يجب أن يعلم المسلم أن أهل السنة يجتمعون مع الشيعة في اسم الإسلام وفي الولاية له بالجملة.

ويتبين استحالة التقريب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول، كما اعترفوا بذلك، ويقره كل شيعي، ومما لا ريب فيه أن الشيعة الإمامية هي التي لا ترضى بالتقريب، ولذلك ضحت وبذلت لتنشر دعوة التقريب في ديارنا، وأبت وامتنعت أن يرتفع له صوت أو نخطوا في سبيله أية خطوة في البلاد الشيعية، أو أن نرى له أثرًا في معاهدها العلمية، ولذلك بقيت الدعوة إليه من طرف واحد، ولذلك فإن كل عمل في هذا السبيل سيبقى عبثًا كعبث الأطفال ولا طائل تحته إلا إذا تركت الشيعة لعن أبي بكر وعمر، والبراءة من كل من ليس شيعيًا منذ وفاة النبي ﷺ وإلى يوم القيامة، وإلا إذا تبرأوا من عقيدة رفع أئمة آل البيت عن مرتبة البشر.

ولذلك يجب أن يعلم كل مسلم إمكان التقريب بين أبناء الطوائف والمذاهب الأخرى، واستحالته مع الشيعة على الخصوص، وذلك باعترافهم الصريح الآتي بيانه: نقل الخونساري مؤرخ أعلام الشيعة في كتابه "روضات الجنات" عند ترجمته المطولة للنصير الطوسي، أن من جملة كلامه: الحقيق الرشيق، والصادر عن مصدق الحق والتحقيق، قوله في تعيين الفرقة الناجية من الفرق الثلاث والسبعين، وأنها الإمامية، قال:

إني اعتبرت جميع المذاهب ووقفت على أصولها وفروعها، فوجدت من عدا الإمامية مشتركة في الأصول المعتبرة في الإيمان، وإن اختلفوا في أشياء يتساوى إثباتها ونفيها بالنسبة إلى الإيمان، ثم وجدت أن الطائفة الإمامية يخالفون الكل في أصولهم، فلو كانت فرقة ممن عداهم ناجية لكان الكل ناجين، فدل على أن الناجي هو الإمامية ولا غير.

ثم قال: أما هذه الفرقة الإمامية فهم مجمعون على أن النجاة لا تكون إلا بولاية أهل البيت إلى الإمام الثاني عشر، والبراءة من أعدائهم، أي أبي بكر وعمر، إلى آخر من ينتمي إلى الإسلام من غير الشيعة!

فهي مباينة لجميع الفرق في هذا الاعتقاد الذي تدور عليه النجاة!!!

إن الشيعة يشترطون علينا للتفاهم معهم ولرضاهم عن اقترابنا منهم أن نلعن معهم أصحاب رسول الله ﷺ وأن نبرأ من كل من ليس على دينهم حتى بنات رسول الله ﷺ وزوجاته والصفوة المباركة من ذريته وآل بيته، وفي طليعتها زيد بن زين العابدين، ومن على قدمه في استنكار منكرات الرافضة.

كما يريدنا الشيعة أن نصدق بوجود إمامهم الثاني عشر، وهو شخصية موهومة نسبت كذبًا للحسن العسكري الذي مات عن غير ولد، وزعموا أنه بقي في السرداب، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، إلى آخر هذه الأسطورة التي لم يسمع بمثلها ولا في أساطير اليونان!

ويريدون من جميع المسلمين الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل أن يصدقوا هذه الأكذوبة ليتسنى التقريب بينهم وبين الشيعة، وهيهات، هيهات، إلا أن يتحول العالم الإسلامي كله إلى مستشفى لمعالجة الأمراض العقلية، والحمد لله على نعمة العقل فإنها مناط التكليف، وهي بعد صحة الإيمان من أجل النعم وأكرمها[1].

(١) راجع بتوسع: حقيقة الشيعة- عبد الله بن عبد الله الموصلي، بطلان عقائد لاشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية للشيخ/ محمد عبد الستار التونسوي، بروتكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين د/ عبد الله الغفاري، العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي.

خلاصة الوحدة الثالثة

- الشيعة هم الذين يشايعون عليًا ﷺ ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

- بدأت بوادر الشيعة مع بدء "عبد الله بن سبأ" وظهور فرقة السبئيين ثم تشعبت شيعًا وأحزابًا.

- أهم معتقدات الشيعة:

١- الزيدية. ٢- غلاة الشيعة. ٣- الرافضة.

أو يقال: الشيعة المخلصون، والشيعة المفضلون، والشيعة المغالون.

وأهم فرق الشيعة وأنشطها (الإمامية) التي تقول بالإمامة، وبالمهدي، وبالبداء، وبالرجعة، وبتحريف القرآن، وبزواج المتعة، وبالتقية.

- أشهر غلاة الشيعة: الإسماعيلية- النصيرية- الدروز.

والخلاصة: أن الشيعة قد انحرفت عن القرآن والسنة، ومنهج أهل السنة والجماعة وأعلنت عن عدائها الشديد لأهل السنة والجماعة، وأطلقت عليها اسم "النواصب" ومن هنا فلا مجال للتقريب بين أهل السنة والشيعة.

وقد بدت اليد اليهودية في الفكر الشيعي واضحة، بما لها من أفكار وعداء للمسلمين.

اختبار الوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علام (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- الشيعة هم الذين يشايعون عليًا ويقدمونه على بعض أصحاب رسول الله ﷺ. ( )

٢- أصبحت الشيعة ظاهرة يوم موقعة صفين، وخاصة بعد فتنة التحكيم. ( )

٣- قالت الشيعة بإيمان أبي طالب وكفروا من قال فيه غير ذلك. ( )

٤- يرى الشيعة أن الأئمة غير معصومين عن ارتكاب الصغائر والكبائر وليسوا منزهين عن الخطأ والنسيان. ( )

٥- من الأحاديث الصحيحة التي تدل على فضل علي رضي الله عنه "أنا مدينة العلم وعلي بابها". ( )

٦- لم يستعمل أبو بكر ولا عمر أحدًا من بني هاشم في إمارة أي بلد من بلدان المسلمين، جريًا على سنة رسول الله ﷺ. ( )

٧- يرى الشيعة أن الصفات الثبوتية لله تعالى هي عين ذاته: فليست زائدة عليها. ( )

٨- لا يرى الشيعة غضاضة في إثبات الكفر لآباء وأمهات الأنبياء، وكذا الأقارب وذوي الشأن. ( )

٩- الشيعة الغلاة، هم الذين يذهبون إلى تفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة. ( )

١٠- يشترط الشيعة الزيدية في الإمام أن يكون هاشميًا ومن ذرية فاطمة رضي الله عنها. ( )

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- متى نشأت الشيعة؟

- مع بادية الإسلام.
- مع أصحاب النبي.
- مع عبد الله بن سبأ.

٢- يرى البعض أن أصول الشيعة إلى اليهودي الذي جاء المدينة مسلمًا:

- كعب الأحبار.
- عبد الله بن سلام.
- عبد الله بن سبأ.

٣- حين تقارن اعتقاد الشيعة في الأئمة باعتقادهم في الرسل نجد أنهم:

- يثبتون للأئمة ما أثبتوه للرسل.
- يثبتون للأئمة ما أثبتوه للرسل إلا الرسالة.
- يفضلون الأئمة على الرسل.

٤- تحمل سيدنا علي ﷺ الخلافة:

- كي ينال من قتلة عثمان.
- استجابة لطلب المسلمين.
- لإخماد الثائرين في بلاد الشام.

٥- من أكبر فرق الشيعة الرافضة، وسمو بذلك:

- لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر.
- لرفضهم مقتل الحسين في كربلاء.
- لرفضهم تنازل الحسن عن الخلافة للبيت الأموي.

ثالثًا الأسئلة التحليلية:

١- عرف الشيعة، ومتى نشأت،وما هي ملابسات النشأة.

٢- ما أهم معتقدات الشيعة على الجملة؟

٣- ناقش قول الشيعة الإمامة ركن الدين ولا يتم إلا بها.

٤- يعتقد الشيعة أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى، اذكر أدلتهم وبماذا ترد عليهم؟

٥- اذكر أشهر فرق الشيعة، مع بيان تقسيماتهم.

٦- اكتب بحثًا تبين فيه، هل يمكن التقريب بين أهل السنة والشيعة.

الوحدة الرابعة

المعتزلة

الوحدة الرابعة: المعتزلة

الأهداف التعليمية

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تشرح ظروف التسمية والنشأة للمعتزلة.

٢- توضح الأصول الخمسة عند المعتزلة.

٣- تعدد فرق المعتزلة.

٤- تذكر أهم أعلام المعتزلة وكتبهم.

٥- تبين المنهج الاعتزالي.

٦- تظهر الجذور الفكرية والعقائدية للفكر الاعتزالي.

٧- تناقش الفكر الاعتزالي الحديث.

٨- تذكر أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على المعتزلة.

الوحدة الرابعة
المعتزلة

- التسمية والنشأة
- الأصول الخمسة عند المعتزلة
- فرق المعتزلة
- أهم أعلام المعتزلة وكتبهم
- المنهج الاعتزالي
- الجذور الفكرية للفكر الاعتزالي
- الفكر الاعتزالي الحديث
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الرابعة: المعتزلة

أولاً: التسمية والنشأة:

يطلق هذا الاسم (المعتزلة) على جماعة من المفكرين المسلمين الذين ظهروا في الدولة الإسلامية في أواخر القرن الأول الهجري، على يد رئيسهم وأستاذهم الأول "واصل بن عطاء الغزالي" ٥٠- ١٣١هـ، وإن كان بعض الباحثين يرى أن اسم المعتزلة قد أطلق قبل (واصل بن عطاء) على جماعات من المسلمين، يسمونهم أسلاف المعتزلة، وهم الذين اعتزلوا الفتنة التي وجدت بين علي بن أبي طالب وبين معاوية- رضي الله عنهما- فقد ابتعد عن "علي بن أبي طالب ﷺ" بعض الصحابة بعد أن بايعوه، وبايعه الناس، فقد امتنعوا عن محاربته، أو المحاربة معه، وهم "سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بين زيد بن حارثة الكلبي".

يقول الشهرستاني في الملل والنحل: "والذين اعتزلوا إلى جانب، فلم يكونوا مع علي ﷺ في حروبه، ولا مع خصومه، وقالوا: لا ندخل في غمار الفتنة بين الصحابة ﷺ: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ"(١).

والبعض يرى نسبتهم إلى الشيعة من أتباع الإمام "محمد بن الحنفية" من آل البيت، ولكن المشهور أنهم ينتسبون إلى (واصل بن عطاء) تلميذ الحسن البصري – كما سيأتي بيان ذلك.

وقد قالت المعتزلة بآراء في الدين خالفوا بها مذهب السلف والجماعة الإسلامية في ذلك الحين.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٢٤.

سبب تسميتهم بهذا الاسم (معتزلة):

وقد كان سبب تسميتهم بهذا الاسم (المعتزلة) أن رئيسهم وأستاذهم الأول (واصل بن عطاء) كان تلميذًا "للحسن البصري" يتلقى العلم على يديه، يحضر دروسه ومجلس علمه، ليتزود بالعمل والمعرفة وأمور الدين، ولكنه ترك مجلس أستاذه (الحسن البصري) واعتزله إلى سارية أخرى في مسجد البصرة، يعلم الناس مذهبه ورأيه الجديد في حكم مرتكب الكبيرة، وكان سبب ذلك أن رجلاً دخل على "الحسن البصري" في مجلس علمه بالمسجد، وقال: يا إمام الدين: لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج صاحبه بها من الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ويؤخرون الحكم عليهم، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟

فتفكر "الحسن البصري" في ذلك، وقبل أن يجيب الحسن البصري على سؤال السائل قال "واصل": إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق، وليس بكافر مطلق، إنه ليس مؤمنًا لارتكابه الذنب، وليس لأنه ينطق بالشهادتين وإنما هو في منزلة بين المنزلتين، أي بين الإيمان والكفر، وكان هذا الرأي يخالف رأي الإمام البصري، الذي كان يرى أن مرتكب الكبيرة، مؤمن عاص أو (فاسق) فهو مؤمن لاعتقاده أن الله عز وجل واحد لا شريك له، ولنطقه بالشهادتين، وهو عاص فسق لتعديه حدود الله وارتكابه ما نهى الله عنه من المعاصي.

فلما رأى الحسن من واصل ما حدث، قال: قد اعتزلنا "واصل" فسمي هو

وأتباعه لذلك بالمعتزلة.

ويقال: إنهم سموا معتزلة لأنهم قالوا: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، فهو ليس مؤمنًا، وليس كافرًا، فهم قد عزلوا مرتكب الكبيرة بهذا الحكم عن الإيمان والكفر، فمرتكب الكبيرة في نظرهم ليس مؤمنًا وليس كافرًا، فسموا لذلك (معتزلة) لأنهم عزلوا مرتكب الكبيرة عن الفريقين.

ويظهر من هذا أن الاسم (معتزلة) أُطلق عليهم تحقيرًا لهم، وسخرية بهم، وأن الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم هم أعداؤهم.

أما المعتزلة فإنهم يسمون أنفسهم أهل التوحيد والعدل، وذلك لأنهم بالغوا في إثبات هاتين الصفتين لله تعالى، وكانت تلك المبالغة سبب ضلالهم.

قيل: إنهم هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب (معتزلة)، ويؤيد هنا ما قاله الرازي نقلاً عن القاضي عبد الجبار- وهو مفكر معتزلي- وكل ما ورد في القرآن الكريم من لفظ الاعتزال، فإن المراد به الاعتزال عن الباطل، فعلم أن اسم الاعتزال مدح[1].

أقول: ولعله أطلق عليهم "المعتزلة" أرادوا تحسين اللفظ الذي أطلق عليهم، وتبرير ذلك أمام الآخرين، بأن القرآن ذكره في مجال المدح.

وكذلك يطلق بعض العلماء على المعتزلة اسم (القدرية) لأنهم يقولون: إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، ويثبتون قدرة للعبد بها يوجد فعله، ويريدون بذلك أن يدخلوهم تحت الأثر القائل: القدرية مجوس هذه الأمة" وإن كان المعتزلة يذكرون تلك التسمية، أو يدفعون عن أنفسهم ويقولون: نحن قدرية لأننا نقول: إن

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي ص ٣٩.

ما يحدث في الكون من البلاء والعافية والشدة والرخاء والمرض والشقاء، والموت والحياة، وغير ذلك، فهو من الله تعالى وخلقه وهو الموجد له، أما الخير فهما صادران من العبد، ومنسوبان إليه، وناشئان عن قدرته وإرادته، وذلك حتى يمكن مساءلة العبد، وإثباته أو معاقبته على أفعاله.

وكما نسبت المعتزلة إلى "القدرية" تارة، فقد نسبت مرة أخرى إلى الجهمية وذلك لنفيهم الصفات عن الله تعالى، ومشابهتهم" جهم بن صفوان" في ذلك.

هذا والمعتزلة فرق متعددة، وجماعات مختلفة عدها بعض المؤرخين وأوصلها إلى عشرين فرقة. وهذه الفرق وإن اختلفت في بعض المسائل، فإنها تتفق في أمور لابد لهم من القول بها، إنهم جميعًا يتفقون على القول بأمور يسمونها "الأصول الخمسة" التي من لم يقل بها أو بواحد منها لا يسمى معتزليًا، وسنبين هذه الأصول الخمسة ونوضحها فيما يأتي إن شاء الله.

ثانيًا: الأصول الخمسة عند المعتزلة

الأصول الخمسة المتفق عليها بين المعتزلة هي:

١- التوحيد. ٢- العدل.

٣- القول بالمنزلة بين المنزلتين. ٤- وجوب الوعد والوعيد.

٥- وجوب العلم والنظر، وفرعوا عليه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإليكم بيانها بالتفصيل:

المبدأ الأول: التوحيد:

هذا هو الأصل الأول من أصولهم، والذي اشتهروا به بين الفرق الإسلامية مع أن المسلمين جميعًا يقولون بوحدانية الله تعالى.

ولكن المعتزلة يقولون: إن الله واحد في ذاته، بمعنى أنه غير مركب من أجزاء، وأنه لا شريك له في ذاته، بمعنى أنه غير متعدد، وهو واحد في أفعاله فلا شريك له فيها.

ومن هنا ذهبوا إلى أن الله تعالى لا يتصف بصفات زائدة عليه من العلم والقدرة والإرادة وغيرها، ويرون أن الله تعالى عالم بذاته لا بعلم وقادر بذاته لا بقدرة، ومريد بذاته لا بإرادة، ومتكلم بمعنى أنه خالق الكلام في غيره.

وذلك لأنهم يرون أن الله عز وجل قديم، ولا قديم سواه، وأن القدم أخص صفات الذات الإلهية، فلا يشاركه فيه أحد من خلقه.

ولذلك نفوا الصفات القديمة، وزيادتها على الذات الإلهية، خوفًا من تعدد القدماء، وتعدد القدماء كفر، ولأن الصفات لو شاركت الله تعالى في القدم لشاركته في الإلهية والمشاركة في الألوهية تتنافى مع الوحدانية، والله عز وجل واحد باتفاق المسلمين.

أقول: وهذا عين الخبل عندهم، لأنه إذا قيل بقدم الصفات كقدم الذات، فهل هذا معناه أن العلم إله، والقدرة إله، والإرادة إله؟!! هذا هو التوحيد عند المعتزلة؟ سبحان الله كيف وقد أثبت الله تعالى هذه الصفات لنفسه في كتابه، على لسان رسوله ﷺ، وقد علم أنها لا تتعارض مع التوحيد في شيء، بل هي التوحيد ذته.

وبناء على فهمهم لمعنى التوحيد- بطريقتهم الخاطئة- قالوا بنفي رؤية الله تعالى بالإبصار في الآخرة، لأن ذلك يؤدي في نظرهم إلى التجسيم، والجسمية تؤدي إلى التركيب، وكلاهما منفي عن الله تعالى، والله عز وجل منزه عنه، لأنه يؤدي إلى التشبيه، والله عز وجل منزه عن المشابهة بخلقه من كل وجه، فهو ليس في جهة وليس

في مكان، وليس صورة ولا جسمًا، ولا متميزًا، ولا يتغير[1].

ولذلك أوجبوا تأويل الآليات الواردة فيها، وسموا هذا النمط توحيدًا ولم يعلموا أن زيادة الصفات على الذات لا يلزم منها تعدد القدم بالذات، لأن الصفات لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بغيرها، فهي محتاجة إلى الذات الإلهية للقيام بها، كما أن ثبوت المشتق (عالم وقادر ومريد) وغيرها، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم وصفًا لله تعالى، وثبوت المشتق يؤدي إلى ثبوت ما منه الاشتقاق، وهو العلم والقدرة والإرادة، وهي الصفات.

كما أن رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة جائزة عقلاً، وواقعة فعلاً، كما ورد ذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ولا يلزم من ذلك التحيز والجسمية، إذ أنها رؤية تليق بذات الله تعالى.

وأما ما احتجوا به من قوله تعالى: ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال أبو محمد بن حزم، وهذا لا حجة لهم فيه، لأن الله تعالى إنما نفي الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، فالإدراك منتف عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، لأن في الإدراك معنى من الإحاطة، وليس ذلك في الرؤية، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله عز وجل: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

وفي ردنا على المعتزلة نقول:

هذا والتوحيد عند المعتزلة ليس توحيدًا، لقد شذ المعتزلة، وشقوا عصا الجماعة وفارقوا الأمة في زعمهم أن تتريه الله سبحانه وتعالى عن الشريك لا يمكن أن يتحقق

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٩ بتصرف.

إلا بنفي صفات الباري جل وعلا، وتعطيل كمالاته، وجحد أسمائه الحسنى.

ولذا كان التوحيد عندهم يعني نفي الصفات عن الذات، وتجريدها وتعطيلها عن الأسماء، والأصل الذي اتفقت عليه الأمة أن الله تعالى وصف ذاته بصفات، وأن هذه الصفات ليست عين الذات، وإنما هي معان قائمة بذاته -سبحانه وتعالى- وثبوت هذه الصفات لله -سبحانه- ثابت بالصريح من الكتاب والصحيح من السنة، كما أجمعت عليه الأمة في صدرها الأول، يقول الله تعالى: واصفًا ذاته بالإرادة: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] . ويقول عز وجل: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦].

كما وصف الله سبحانه ذاته بالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحياة، قال سبحانه: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٧٦]. ويقول عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقد اتفقت الأمة- عدا المعتزلة ومن سار معهم- على أن هذه الصفات التي وصف الحق- تبارك وتعالى- ذاته بها، ليست عين الذات، وإنما معان قائمة بذاته تعالى، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فقد أضاف الله سبحانه العلم إلى ذاته، والمضاف غير المضاف إليه، أو ليس عينه.

وصفات الله- تعالى- صفات كمال، وتجريده- سبحانه- عنها في وقت يعني تجريده- تعالى- عن صفات الكمال، وتعرية الذات عن صفات الكمال يثبت لها

النقص، والله- سبحانه- منزه عن النقص، فإذا قلنا إن صفة القدرة حادثة، فهذا يعني أن الله -جل عن ذلك- لم يكن قادرًا ثم صار قادرًا، وفي هذا إثبات العجز لله- جل الله عن ذلك- قبل أن يصير قادرًا، وذلك نقص، والنقص محال بالنسبة لله- عز وجل- ومثل ذلك يقال في الصفات كلها.

الثاني: أن القول بحدوث الصفات يجعل الذات الإلهية محلاً للتغير، وطروء حال بعد حال، وذلك يؤدي إلى وصف الله- سبحانه- بالنقص، وهو محال، وذلك لأن الله- تعالى- إن طرأ عليه حال أو صفة لم تكن، فإما أن تكون الصفة الطارئة صفة كمال أو صفة نقص، فإن كانت صفة كمال، فهذا يعني أن الله- سبحانه- قبل طروء الصفة كان ناقصًا- جل الله عن ذلك- لأن صفة الكمال هذه لم تكن ضمن صفاته، والنقص محال على الله- تعالى-.

وإن كانت الصفة الطارئة صفة نقص، استحال اتصاف الله تعالى بها، لأن الله سبحانه لا يتصف بالنقص، يتضح من هذا أن الله- سبحانه- موصوف بصفات، وأن صفاته- عز وجل- ليست عين الذات، وإنما هي معان قائمة به، كما يتضح- أيضًا- أن صفاته- تعالى- قديمة، وليست حادثة.

لكن المعتزلة جردوا الذات الإلهية عن الصفات، وعطلوها عن أوصاف الكمال، وذهبوا إلى أن الله- تعالى- عليم بذاته لا بعلم، مريد بذاته لا بإرادة، قدير بذاته وليس بقدرة، وهكذا في كل الصفات.

وقد اشتهر عنهم في هذه المسألة مذهبان أو مقالتان:

الأولى: قالوا إن الله سبحانه عليم بعلم، وعلمه ذاته، وقدير بقدرة وقدرته ذاته... وهكذا.

الثانية: يقولون: إن الله تعالى عليم بذاته، سميع بذاته، قدير بذاته، وليس بعلم ولا سمع ولا قدرة.

وهذان المذهبان أو هاتان المقالتان على الرغم من محاولة التفرقة بينهما بأنهما لدينا بمعنى واحد، أو مآل الأمر فيهما شيء واحد، ولا يوجد بينهما كبير فرق، فإن الذي يقول عالم بعلم، وعلمه ذاته، مثل الذي يقول: عالم بذاته، وأي فرق بين الذي يثبت صفة هي والذات شيء واحد- وبين الذي يثبت الذات فقط؟! المآل واحد، وهو الإقرار بوجود ذات لا صفة لها، أو مجردة ومعطلة عن صفات الكمال، وإذا كان ثمة فرق فهو الوضوح والخفاء، لأن الذي يقول: عالم بذاته، أكثر وضوحًا ودلالة على مذهب القوم الذي يقوم على نفي الصفات، ومن الذي يقول: عالم بعلم وعلمه ذاته!!

وإنما دفع المعتزلة إلى اعتناق هذا المذهب الغريب والبعيد عن الشرع كتابًا وسنة، ما توهموه من أن إثبات الصفات القديمة لله- تعالى- فيه تعدد للقدماء، فإن الصفات الكثيرة وهي قديمة، قالوا: إن ذلك يؤدي إلى إثبات قدماء كثيرين، ولما كان القدم أخص صفات الألوهية، فكان القول بالصفات القديمة، وإثباتها فيه شرك بالله- سبحانه وتعالى!!

ومن هنا فقد اتهم المعتزلة غيرهم من الفرق التي تثبت الصفات، وبالأخص أهل السنة، اتهموهم بأنهم جعلوا لله شركاء في القدم، وأن القول بهذا يشبه ما ذهب إليه المشركون.

وقال المعتزلة: إننا حكمنا بكفر النصارى بسبب أنهم أثبتوا ثلاثة قدماء، وأنتم -يقصدون أهل السنة- أثبتم أضعاف ذلك العدد من القدماء حين أثبتم لله- تعالى- الصفات القديمة!!!

فالمعتزلة نفوا الصفات، وعطلوا الله- تعالى- عن صفات كماله الواجبة له، بسبب ما توهموا من أن إثبات الصفات القديمة يؤدي إلى تعدد القدماء، وبالتالي إلى تعدد الآلهة، فيكون في ذلك شرك يزيد على شرك النصارى الذين حكمنا بكفرهم لقولهم بثلاثة قدماء.!!!

وللسبب نفسه ذهب المعتزلة إلى القول بأن القرآن كلام الله مخلوق حادث، وليس قديمًا، فإنه لو كان قديمًا لتعدد القدماء، ولشارك الرب في صفة القدم، فيكون القدماء أكثر من واحد، وذلك يؤدي- كما يزعمون- إلى الشرك.!!!

هذا مذهب المعتزلة، وهذا ما يقصدون من معنى وراء كلمة "التوحيد" الذي هو المبدأ الأول، أو الأصل الأول من أصولهم الخمسة.

وواضح أن القوم قد أخطأوا خطأ بينًا فيما ذهبوا إليه، ولا يعفيهم من تبعة هذا الخطأ حسن نواياهم، وتحريهم تنزيه الله- تعالى- عن الشرك، وبالأخص في صفة "القدم" والخطأ الذي وقع فيه القوم بيِّن وواضح، فهم قد خلطوا بين الذوات والصفات، أو بين الذات والمعنى، فالصفات معان قائمة بالذات، وليست ذواتًا، فالقول بقدم الصفات لا يترتب عليه أبدًا تعدد في ذوات القدماء، ولا يترتب على تعدد الصفات القديمة شرك بالله- سبحانه وتعالى-.

ذلك أن إثبات الصفات القديمة هو إثبات لمعان قائمة بالذات القديمة الواحدة، وهو إثبات لمعان كمالية قائمة بالله الواحد الذي لا تثبت الألوهية إلا له، لا إله إلا هو رب العالمين. وتعدد الصفات التي هي معان لا يعني تعددًا في ذوات قديمة، وإنما هو إله واحد- سبحانه- له صفات قائمة به- تعالى- وليست قائمة بنفسها، فإن المعاني لا تستقل بنفسها، ولا تستغني عمن تقوم به، وتستند في تحقق وجودها عليه.

ومن البديهي أن الشرك -عياذًا بالله- لا يكون بالقول بتعدد معان قديمة، أو

صفات قديمة، وإنما يكون بالقول بذوات قديمة، والنصارى كفروا، ليس لأنهم وصفوا الله الواحد بصفات قديمة، ولكن لأنهم أثبتوا ثلاثة آلهة لهم- كما يزعمون- ذوات قائمة بنفسها، لكل واحد من الثلاثة- في زعمهم- ذات قائمة بنفسها، متصفة بصفات الكمال والجلال.

القول بالصفات القديمة- إذن- لا يؤدي إلى القول بآلهة كثيرة، ولا بتعدد في المعبود- سبحانه- وإلا، فمن ذا الذي يتخذ لنفسه معبودًا هو عبارة عن صفة، أو معنى قائم بغيره؟!!

ثم إن كل موجود لا يخلو- ضرورة- من صفات تلحقه، ولا يوجد موجود بلا صفة، وكل موجود بصفاته يعده الناس واحدًا، ولا يجعلون منه كثرة بعدد ما له من صفات(1).

المعتزلة وفتنة خلق القرآن:

رأي المعتزلة أن الاعتقاد بقدم القرآن إلى جانب قدم الله شرك، فقد مر بنا أنهم لا يقولون بصفات الله، فإذا كان الكلام صفة قديمة لله كان القرآن باعتباره كلامًا إلهيًا- قديمًا، وهم ينكرون القدم إلا على الذات الإلهية وحدها.

المهم أن بطل فتنة خلق القرآن كان الخليفة المأمون الذي تأثر بالمعتزلة وقربهم، لأنه كان تلميذًا لأبي الهذيل العلاف أحد رؤسائهم، وتبنى المأمون هذه القضية، يدفعه إليها دفعًا رجال المعتزلة وفي مقدمتهم كبير قضاته أحمد بن أبي دؤاد.

ومن العجيب أن يكون الولد على نقيض أبيه، فقد كان الرشيد ينكر على من يقول بذلك، ولما نادى بشر المريسي بذلك في عهد الرشيد، هدده بالقتل، الأمر

(1) تاريخ الفرق الإسلامية ص١١٤: ١٢٠ بتصرف.

الذي اضطر بشرًا للاختفاء عشرين سنة.

وكان المريسي تلميذًا لأبي يوسف تلميذ أبي حنيفة، وقد غضب عليه شيخه لمقالته وطرده من مجلسه، ونادى المعتزلة أن الكلام مخلوق لله تعالى، وأن القرآن كلام الله فهو بالتالي مخلوق، وتبنى المأمون الفكرة، وأصدر منشورًا صور فيه انزعاجه لما أصاب الدين وما حل بالإسلام من ضر(١).

"فتبين عظيم خطره وجليل ما يرجع في الدين من كفر وضرر ما ينال المسلمين بينهم من القول في القرآن، وبخاصة اشتباهه على كثير منهم حتى حسن عندهم وتزين ألا يكون مخلوقًا فيتعرضوا بذلك لدفع خلق الله، الذي بان به عما خلقه وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولاها ولا يدرك مداها، وكان كل شيء دونه خلقًا من خلقه، وحدثًا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقًا به ودالاً عليه وقاطعًا للاختلاف فيه.. وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال هذه المقالة حظًا في الدين ولا نصيبًا من الإيمان واليقين(٢). وبدأ المأمون بقضاته وعماله وجعل يطلب إليهم الإيمان بخلق القرآن، ومن لا يؤمن بذلك يعزل فورًا، إذ أنه يصبح غير موثوق بدينه "حتى لا تنفذ أحكام الله تعالى إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص في التوحيد".

كان المأمون في الرقة حينما أرسل إلى نائبه في بغداد "إسحاق بن إبراهيم" أن يجمع القضاة والفقهاء والمحدثين والمفتين، وينذرهم بالعقوبة إن لم يستجيبوا للقول بخلق القرآن، فعمد بعضهم إلى المكر والحيلة والمراوغة في القول هربًا مما ينتظرهم من الأذى، وكان ممن وقع عليهم الأذى حتى استشهد في قيده الفقيه "محمد بن نوح"،

---

(١) إسلام بلا مذاهب، د/ مصطفى الشكعة (ص٣٩٨).

(٢) تفسير الطبري (١١١٨/٣).

وقد وقع على الإمام "أحمد بن حنبل" من جزاء تلك الفتنة أذى شديد، إذ سيق في قيود الحديد لكي يقابل المأمون في طرسوس، ولكن المأمون مات قبل أن يصل الفقيه العظيم إليه، وظن المسلمون أن الفتنة قد ماتت بموت المأمون، غير أنه كان قد أوصى أخاه وخليفته المعتصم بالسير في طريق الفتنة فمزق جسم الإمام بالسياط.

وظل الأمر كذلك في عهد المعتصم ثم في عهد ابنه الواثق الذي قتل بعض معارضي فكرة خلق القرآن، وصلبهم، وظل الأمر على هذا الاضطهاد الذي وقع على فقهاء المسلمين حتى جاء المتوكل، ففك قيود الفقهاء وانتصر لهم ضد المعتزلة، فقويت بمساندته شوكة أهل السنة[1].

وهكذا انتهت هذه المحنة التي كانت- ولا شك- ضربًا من الهوس المذهبي الذي لا يستحق كل هذا الغلو، والذي لا يقدم ولا يؤخر في صلب عقيدة الإسلام[2].

المبدأ الثاني: العدل:

وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، والله عز وجل عادل فلا يصدر منه إلا ما فيه خير ومصلحة للعباد، ومن هنا كان لا يصح أن يضاف الظلم والشرك إلى الله تعالى خلقًا، فلا يخلق الظلم ولا يوجده، ولا يضاف إليه فعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالمًا، كما أنه لما خلق العدل كان عادلاً.

وفرعوا على هذا أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، خيرها وشرها، حتى يستحق العبد عليها الثواب أو العقاب في الآخرة، وسموا هذا النمط عدلاً، وسموا

(١) إسلام بلا مذاهب (ص٣٩٨-٣٩٩).

(٢) إسلام بلا مذهب، د/ مصطفى الشكعة ص (٣٩٨، ٣٩٩).

أنفسهم بناء على ذلك "أهل العدل والتوحيد" لأنهم يقولون بهذين المبدأين.

وقد نسوا أن الله تعالى خالق كل شيء، كما قال جل شأنه ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] وأنه خالق لأفعال العباد، كما قال جل شأنه ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

وإنما العبد يكسب الفعل ويباشره بقدرة أوجدها الله فيه، والعدل في رأي أهل السنة هو وضع الشيء في موضعه، والتصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، وأن الظلم ضده، ولا يتصور من الله تعالى جور في الحكم، ولا ظلم فيه[1].

فالله إذا فعل شيئًا ففعله عدل، وإذا ترك شيئًا تركه عدل، والناس ملك من ملك الله تعالى، فيما يجري عليهم من تدبير الله–سبحانه– وتصريفه حق وعدل.

ولأن تدبير الله– تعالى– شئون الناس حق وعدل، وجب على الإنسان أن يرضى بقضاء الله فيه، وقدره الذي يجري عليه، ولا يجوز للإنسان أن يعترض أو يتبرم من قضاء قضاه الله أو قدر قدره، لأنه– في هذه الحال– إنما يعترض ويتبرم من عدل العادل، وتصرف المالك في ملكه، وهذا أمر قبيح لا يصدر من عاقل، فضلاً عن الإنسان المؤمن.

هذا معنى "العدل" عند أهل السنة، وهو عقيدة السلف الصالح– رضوان الله عليهم أجمعين.

ويترتب على هذا المعنى أنه لا يجب على الله– سبحانه– شيء.. ولا يقبح من أفعاله شيء– جل الله عن ذلك، فكل فعله– سبحانه– حق وعدل ومحمود.

أما المعتزلة فقد جروا في معنى "العدل" على مقتضى نزعة عقلية عجيبة تقيس

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله جاد حجازي ص٣١، ٣٢.

الغائب على الشاهد، وتخضع الحق- سبحانه- لمقاييس البشر، ومن ثم فقد أوجبوا على الله- تعالى- أمورًا ألزموه بها، كما منعوا عنه أمورًا- تعالى الله عما يقولون-.

فقالوا: يجب على الله أن يفعل كذا، ويمتنع عليه أن يفعل كذا، ومع كون هذا المنهج خطأ فإن فيه بالغ الإساءة بجناب الله- فسبحان الله رب العرش عما يصفون(١).

قال ابن حزم يوضح منهجهم ذاك: ".. وقد علم المسلمون أن الله- تعالى- عدل لا يجور ولا يظلم، ومن وصفه- عز وجل- بالظلم والجور فهو كافر، ولكن ليس على ما ظنه الجهال- يقصد المعتزلة- من أن عقولهم حاكمة على الله- تعالى- في أن لا يحسن منه إلا ما حسنت عقولهم، وأنه يقبح منه ما قبحت عقولهم، وهذا تشبيه مجرد لله- تعالى- بخلقه، إذ حكموا عليه بأنه- تعالى- يحسن منه ما حسن منا، ويقبح منه ما قبح منا، ويحكم عليه بالعقل بما يحكم علينا"(٢).

أولاً: أفعال العباد:

فالمعتزلة لهم موقف خاص بالنسبة لأفعال العباد، فهم يرون أن العبد هو فاعل فعله، وهو خالق عمله، مستقلاً عن إرادة الله- تعالى- وقدرته، وليس لله- تعالى- صلة بأفعال العباد من قريب أو بعيد، وليس له فيها تأثير في قليل أو كثير.!!!

ولما ذهب المعتزلة إلى القول بأن العبد هو مريد فعله، وليس الله- تعالى-، وأن العبد هو خالق فعله وليس الله، شعروا بأن كلامهم هذا قد يوهم أنهم ينسبون العجز إلى الله- تعالى- فكأنهم أرادوا أن يبعدوا عن أنفسهم هذا الوهم أو هذا الاتهام،

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص١٢ بتصرف.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ص٣، ص٩٨ بتصرف.

فنصوا على أن العبد إنما يخلق أفعاله بالقوة التي أودعها الله فيه، ولولا تلك القوة التي أودعها الله- تعالى- في العبد ما استطاع أن يفعل أو يخلق شيئًا من أفعاله.

هذا مذهب المعتزلة في أفعال العباد، وهو يلتقي مع قول القدرية الذين قالوا: "لا قدر والأمر أنف" أي أن الله- تعالى عما يقولون- لم يعلم الأشياء أزلاً، وبالتالي لم يقدرها، وأن علم الله- تعالى- بالأشياء والأحداث مستأنف، لا يعلمها إلا بعد وقوعها، شأنه في ذلك شأن المخلوقين- جل الله عن ذلك- هذه مقالة القدرية.

وأما ما تظاهرت عليه النصوص، واجتمع عليه سلف الأمة إنما هو أن العبد يفعل أفعاله جميعها في إطار من مشيئة الله- سبحانه- وأن مشيئات العباد مرتبطة بمشيئة الله تعالى، يقول الله سبحانه ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ [الإنسان: ٣٠] فالعبد لا يستطيع أن يفعل شيئًا إذا أراد الله له أن يفعله، ولو أراد الله تعالى أن يمنعه لمنعه، فكل أفعال العباد مرادة لله- تعالى- ولو أراد منعها وأراد غيرها لكان ما أراد. والقاعدة عند أهل السنة "أن الوجود كله ملك لله- سبحانه- وأنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراد الله، ومحال أن يقع في ملك الله- تعالى- ما لا يريد".

وعقيدتنا تقوم على أن الله تعالى قد علم أزلاً ما يقع من العباد، وقد علم الصالح، وعلم الفاسد، والمؤمن والكافر، فالله- سبحانه- علم كل شيء قبل أن يخلق أي شيء، يقول الله- سبحانه وتعالى-: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحديد: ٢٢].

فهو- سبحانه- علم المعصية تقع من العاصي، والكفر يكون من الكافر، ولو شاء الله- تعالى- أن يمنع ذلك لمنعه، ولكن الله- سبحانه- لم يمنع كافرًا من كفره، ولا عاصيًا من معصيته، وترك كلا يفعل ما يختار لنفسه، وشاء لكل أن يكون حرًا

فيما يختار، حتى تصح قضية الجزاء على الأعمال، ولو منع الله- تعالى- الكافر من كفره، وحجز العاصي عن المعصية، لتحول الناس جميعًا إلى فريق واحد هو فريق الجنة، ولم يكن هناك للسعير فريق، ولكان الناس أمة واحدة، ولبطلت قضية الجزاء، والجنة والنار، ولكن الله- تعالى- لم يشأ ذلك مع قدرته عليه[1].

ثانياً: الصلاح والأصلح:

من القضايا التي تقع تحت الأصل الثاني من أصول المعتزلة وهو "العدل" قضية "الصلاح والأصلح" والمراد بالصلاح هو ما قابل الفساد كالإيمان في مقابلة الكفر، والغنى في مقابلة الفقر، وأما المراد بالأصلح فهو ما قابل الصلاح كالغنى الكثير في مقابلة الغنى القليل، وكأعلى الجنة في مقابل أدناها.

وهل المراد بالصلاح والأصلح ما يعم الدين والدنيا، أو ما يخص الدين فقط؟ خلاف بين معتزلة بغداد، ومعتزلة البصرة، قال المعتزلة في بغداد المراد بالصلاح والأصلح ما يعم الدنيا والدين، وذهب معتزلة البصرة أن المراد بالصلاح والأصلح في الدين فقط.

وهل المراد الصلاح والأصلح بالنسبة إلى الفرد أو الشخص فقط، أو المراد الصلاح والأصلح بالنسبة إلى المجموع؟ اتفق المعتزلة على أن المراد بالصلاح والأصلح ما يخص الشخص في نفسه فقط، وليس ما يعم الكل أو المجتمع.

والمعتزلة يقولون: إذا كان هناك بالنسبة إلى شخص ما أمران: أحدهما صلاح والآخر فساد، وجب على الله- تعالى- أن يفعل الصلاح وأن يترك الفساد.

وإذا كان هناك بالنسبة لشخص ما أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح،

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص١٢٢: ١٢٥ بتصرف.

وجب على الله- تعالى- أن يفعل الأصلح ويترك الصلاح.

وقد استدل المعتزلة على صحة مذهبهم بقولهم: إن فعل الصلاح والأصلح يحتوي على حكمة وكرم ولطف، والحكيم الكريم اللطيف يستحق الثناء والمدح، لأن هذه صفات كمال. وهذا ما يليق بجلال الله سبحانه. وأما ترك الصلاح والأصلح ففيه سفه وبخل وقسوة، وهذه صفات نقص ويستحق صاحبها الذم، والله متره عن ذلك. وإذن فقد وجب على الله تعالى فعل الصلاح وترك الفساد، أو فعل الأصلح وترك الصلاح.

هذه عقيدة المعتزلة، انطلاقًا من مبدأهم في القول بأنه يجب على الله أمور ويمتنع عليه أمور، وهو- كما ذكرنا- مبدأ غريب على الإسلام والفكر الإسلامي.

وقد بينا أن الله- سبحانه- لا يجب عليه شيء- تعالى الله عما يصغون- فإن الله- تعالى- له الإرادة الكاملة والمشيئة المطلقة، والقول بالوجوب نقض لهذا لأن القول بالوجوب يتناق مع الإرادة الكاملة والمشيئة المطلقة فإن الإيجاب قيد على الإرادة وحد من كمالها، ومن ذا الذي يملك أن يحد من إرادة الله- سبحانه- أو يقيد مشيئته، وهو سبحانه يقول: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨]. ويقول عز وجل: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

كما أن الله- تعالى- لا يستحق الثناء، لأنه يفعل الصلاح والأصلح، ولا يستحق عكس ذلك- عياذًا بالله- لانه لا يفعل الصلاح والأصلح، ولكن الله- سبحانه- مستحق للثناء لذاته، وهو- سبحانه- لا يستمد الكمال من أفعال يفعلها، ولكنه تعالى له الكمال المطلق، فكماله تعالى لذاته وليس لأفعاله.

كما أن لله تعالى أفعالاً، لها حكمة، لا تستقيم مع قاعدة الصلاح والأصلح

التي يقول بها المعتزلة، وإلا فأين الصلاح والأصلح في خلق إبليس، وتسليطه على آدم وبنيه، وإبقائه الزمان الطويل أو إنظاره إلى يوم الوقت المعلوم، وتمكينه من إضلال العباد- عدا عن المخلصين؟!

وقد جرت مناظرة بين شيخ المعتزلة في عصره "الجبائي" و"أبي الحسن الأشعري" حول الصلاح والأصلح وهل يجب على الله أو لا يجب، فقال الأشعري للجبائي: حدثني عن ثلاثة نفر، طفل أماته الله- تعالى- صغيرًا، لو سأل ربه يوم القيامة قائلاً: لم أمتني صغيرًا ولم تتركني حتى أكبر فأومن إيمان أبي بكر الصديق وأعبدك؟ ماذا يقول له الرب؟ فقال الجبائي: يقول له الرب قد علمت أنك إن كبرت فستكون كافرًا عاصيًا، فوجدت الصلاح لك أن أميتك صغيرًا قبل أن تبلغ وتكلف فيكون جزاؤك جزاء الكافرين.

فقال الأشعري: فحدثنا عن رجل كبير مؤمن، لو سأل ربه قائلاً: لَمَ لمْ تمتني صغيرًا، وتركتني حتى أكبر وأعاني مشاق الحياة؟ فماذا يقول له الرب؟ قال الجبائي: يقول له الرب إني علمت أنك حين تكبر سوف تكون من المؤمنين، وهذا أصلح لك.

فقال الأشعري: فحدثنا عن رجل أماته الله كبيرًا كافرًا، لو سأل ربه قائلاً: لقد علمت يا ربي أنني لو كبرت فسأكون كافرًا، فلماذا لم تمتني صغيرًا قبل أن أكبر وأكلف وأكفر؟ فماذا يقول له الرب؟ قالوا: فانقطع الجبائي ولم يحر جوابًا.

وقبل أن نترك الكلام على الصلاح والأصلح نلفت النظر إلى أن هناك فرقًا بين الحكمة من أفعال الله- تعالى- وبين الصلاح والأصلح لدى المعتزلة، فإن الأمة مجمعة على أن وراء كل فعل من أفعال الرب- سبحانه- حكمة، ولا يخلوا فعل من أفعاله- سبحانه- من حكمة.

وقد نفى- سبحانه- عن فعله اللهو واللعب، وبين أن كل أفعاله لحكم يعلمها

هو- سبحانه وتعالى- يقول عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩] .

فالحكمة ثابتة في كل أفعاله- سبحانه- وهو العليم الحكيم الخبير. وأما الصلاح والأصلح الذي يقول به المعتزلة فشيء آخر[1].

ثالثًا: إرسال الرسل:

يرى المعتزلة أن إرسال الله- تعالى- رسله إلى الناس واجب عليه- سبحانه- ويقولون: يجب على الله إرسال الرسل، ويسوق المعتزلة أدلة على صحة عقيدتهم هذه ملخصها:

١- أنه قد ثبت أن الله يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده، وليس هناك أصلح من إرسال الرسل والأنبياء إلى العباد.

٢- أن القرآن المجيد قد صرح بوجوب اللطف على الله- سبحانه- بالعباد، يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩] وأعلى درجات اللطف هو إرسال الرسل لرعاية مصالح الناس في المعاش والمعاد.

٣- أن الهدف من إيجاد الخلق عبادة الخالق- سبحانه- كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذا الهدف لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إرسال الرسل إلى الخلق ليعرفوهم أوامر الله- تعالى- ونواهيه، وإلا كانت العبادة تكليفًا بما ليس في وسع الإنسان، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

هذه مجمل أدلتهم التي يثبتون بها وجوب إرسال الرسل على الله سبحانه وتعالى عما يصفون- وهي أدلة متهافتة، وكما ذكرنا سابقًا، فإن الله -سبحانه- لا يجب

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص١٢٧: ١٣٠.

عليه شيء، فهو المتفضل المنعم، وكل ما في الوجود إنما هو تفضل ولطف منه- تعالى- والوجوب يعني الإلزام، وفيه معنى الجبر والقهر والقسر، والله تعالى- متره عن ذلك.

كما أن الوجوب ينافي المشيئة والإرادة الكاملتين المطلقتين، ويجعل مشيئة الله وإرادته محدودتين بحدود ما يجب عليه، وكل ذلك باطل، ونستغفر الله تعالى منه[1].

رابعًا: اللطف:

من عقائد المعتزلة التي تندرج تحت "العدل" قضية "اللطف بالعابد" فهم يقولون: يجب على الله تعالى فعل اللطف بالعباد.

والمراد باللطف كما عرفه العلامة "الحلي": "وهو ما يكون معه أقرب إلى فعل الطاعة، وأبعد عن فعل المعصية، ولم يكن حظ في التمكين، ولم يبلغ حد الإلجاء".

قال: واحترزنا بقولنا: "ولم يكن له حظ التمكين" عن الآلة فإن لها حظًا في التمكين وليست لطفًا، واحترزنا بقولنا: "ولم يبلغ حد الإلجاء" لأن الإلجاء ينافي التكليف واللطف لا ينافيه، فاللطف هو الفعل الذي علم الرب- سبحانه- أن العبد يطيعه عنده، أو هو الفعل الذي إذا أوجده الله- تعالى- للعبد- فإن العبد يكون في أوفق حالاته مع الرب سبحانه.

فالمعتزلة يقولون: إنه يجب على الله- سبحانه وتعالى- أن يفعل أقصى ما في مقدوره من لطف للعباد كي يعينهم على الطاعة، ولذلك يقول المعتزلة: "إنه ليس في مقدور الله- تعالى- لطف لو فعله بالكفرة لآمنوا". وهم يعنون بذلك أن الله- تعالى- فعل كل ما يستطيع من لطف للكفار ولكنهم ظلوا على كفرهم، ولو كان في مقدوره ما يجعلهم يؤمنون لفعله- سبحان الله وتعالى عما يصفون.

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣٠، ١٣١).

ويذهب المعتزلة إلى أن اللطف لا يختص بفعل معين، بل يختلف باختلاف الناس، فرب فعل هو لطف بعبد وليس لطفًا بعبد آخر، فاللطف يختلف من إنسان لآخر.

أما اللطف عند أهل السنة فهو تفضل من الله- سبحانه وتعالى- ورحمة بعباده، يفعله الله تعالى بعباده تفضلاً ورحمة، وليس وجوبًا أو إلزامًا – عياذًا بالله- فليس يجب عليه- سبحانه- شيء- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا[1].

خامسًا: الأعواض:

"من المبادئ الخاصة بالمعتزلة، والتي تندرج تحت أصلهم الثاني "العدل" مبدأ "الأعواض" ويقصدون بهذا المبدأ: أنه يجب على الله- تعالى- أن يعوض العباد إذا أنزل بهم مصيبة، أو فوت عليهم منفعة، أو أوقع بهم ألمًا أو حزنًا، يقولون: يجب على الله- تعالى الله عما يقولون- أن يعوضهم عن هذه المصائب التي أنزلها بهم أو الآلام التي حدثت لهم".

وأنواع الأعواض عندهم ثلاثة:

١- أعواض عن الآلام الجسدية، كالمرض ونحوه، فإذا أنزل الله المرض بالعبد وجب على الله- تعالى- أن يعوضه عما أنزله به، وإلا لزم عن ذلك أن يكون الله- جل عن ذلك- ظالمًا.

٢- أعواض عن تفويت المنافع، ليس عن آلام جسدية، ولكن عن تفويت المنافع، وتفويت المنفعة هو من جهة أخرى جلب للضرر، قالوا: فلو أمات الله- تعالى- ابنًا لزيد، وكان في معلومه- تعالى- أن هذا الابن لو عاش لانتفع به زيد، فإن زيدًا يستحق على الله- تعالى- العوض عن تفويت المنفعة على زيد بإماتة ابنه،

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣١، ١٣٢).

ومثل ذلك لو أهلك ماله، أو أحرق زرعه، وما هو من هذا القبيل.

٣- الأعواض التي يستحقها العبد بسبب الآلام النفسية، ليست الآلام الجسدية، ولكن الآلام النفسية.

وذلك كأن ينزل الله تعالى بالعبد أسباب الهموم والغموم فيصيب الله- سبحانه- العبد بالهم والغم، فهذا الغم والهم وهذه الآلام النفسية تجعل العبد مستحقًا عند الله الأعواض عن هذه الآلام.

وفي كل هذه الحالات التي ذكرناها من الآلام الجسدية، أو النفسية، أو تفويت المنافع وإصابة الإنسان في ماله أو أولاده، في كل ذلك يقول المعتزلة: يجب على الله- سبحانه وتعالى عما يقولون- أن يعوض العباد، وإلا كان ظالمًا- تعالى الله عن ذلك.

وهذا مبدأ عجيب أن يطلب من مالك الملك ومدبره، ومصرف شئونه أن يعوض العبد عن شيء هو مانحه، أو يعوضه عن مال أو ابن أو منفعة ما، مع أنه- سبحانه- هو مالك الملك، خالق العبد ومالكه، وهو- سبحانه- الذي منح العبد كل ما في يده، فكيف نطلب من المالك أن يعوضنا عن شيء هو مالكه، وهو الذي منحنا إياه، وهو- سبحانه- فعال لما يريد، لا أحد يملك شيئًا سواه، ولا مدبر للوجود إلاه. والعباد من خلقه، وما يملكون من نعمه وفضله، فإن أخذ شيئًا فقد أبقى أشياء، وإن سلب نعمة فقد أفاض من النعماء آلاء[1].

المبدأ الثالث: القول بالمنزلة بين المنزلتين:

يرى المعتزلة أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن، لأنه لم يفعل الطاعات التي هي جزء من الإيمان في نظرهم، وليس بكافر لأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣٣، ١٣٤).

رسول الله، وإنما هو في حالة متوسطة بين المؤمن والكافر، إنه في منزلة بين المنزلتين "الكفر والإيمان" ويسمونه فاسقًا.

ولكنهم مع ذلك يرون أنه مخلد في النار مستمر فيها إن مات قبل أن يتوب من معصيته، ويقلع عن ذنبه ويعود إلى ربه، ولكن عذابه في النار يكون أخف من عذاب الكافرين وأقل منه.

وهذا القول منهم ابتدعه رئيسهم "واصل بن عطاء" وأخذه عنه تلاميذه، وآمن به جمهور المعتزلة. يقول (واصل): إن الإيمان عبارة عن خصال خير، إذا اجتمعت في الشخص سمي المرء مؤمنًا، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق المدح، فلا يسمى مؤمنًا، وليس كافرًا أيضًا، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة، من غير توبة فهو من أهل النار، ويكون مخلدًا فيها، إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان "فريق في الجنة وفريق في السعير" ولكنه تخفف عنه النار، وتكون دركته فوق دركة الكفار.

وهذا القول من المعتزلة، وهو أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر، لم يقل به أحد قبلهم، فهو قول مبتدع، ذلك أن الأمر لا يخلو عن حالين: إما الإيمان، وإما الكفر، وأما الحالة الثالثة فليست متصورة ولا معقولة، ثم ما هي الفائدة من التسمية (منزلة بين المنزلتين) مع قولهم بأنه مخلد في النار، فإن مرتكب الكبيرة عندهم مخلد في النار[1].

والمعتزلة مع قولهم بأن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمنًا، إلا أنهم يرون أنه- من باب المصلحة- يجوز أن يسمى مسلمًا، وليس من باب المدح والثناء، ولكن من باب التفرقة والتمييز بينه وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى وأصحاب الملل الأخرى.

---

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص (٣٢، ٣٣).

أما حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا فإنه يعامل معاملة المسلمين اسمًا وحكمًا، لأن الأمل في توبته إلى الله- تعالى- قائم، والرجاء في هداية الله تعالى إياه وقبوله توبته قوي[1].

أما أهل السنة فيقولون: مرتكب الكبيرة مؤمن لعقده الإيماني الصحيح وإيمانه بالله ورسوله، ولكنه فاسق وعاص بعمله، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان.

وأما "واصل" فسماه فاسقًا أيضًا، ولكنه اعتبر الفسق مترلة بين المترلتين، وإذا خرج من الدنيا على كبيرته من غير توبة فهو من أهل النار خالدًا فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وإذا قيل له: فما الفرق بينه وبين الكافر المشرك المخلد في النار؟ قال: يخفف عنه العذاب فتكون دركته فوق دركة الكفار.

أراد "واصل" بهذا الرأي الجديد أن يتوسط بين الآراء فأخذ بما اتفقوا عليه، وهو وصف الفسق، ثم أراد أن يجامل الخوارج الذين وصفوه بالكفر، فأخذ من مذهبهم جانبًا وهو الحكم بخلود الفاسق في النار، ولهذا سماهم خصومهم "بمخانيث الخوارج" لأن الخوارج لما قرروا لأهل الذنوب الخلود في النار اعتبروهم كفرة وحاربوهم، أما المعتزلة فقد قدروا لهم الخلود في النار، ولكنهم لم يسموهم كفارًا ولم يوجبوا قتالهم[2].

وقد تكرر هذا الموقف من واصل بن عطاء في محاولة أن يمسك بالعصا من المنتصف عندما سأله البعض عن الخلاف السياسي بين علي وأعدائه، فبينما كان موقف الخوارج محددًا، وهو تكفير علي وخصومه من الأمويين معًا، وكان موقف

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٤٣).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٩٩).

أهل السنة: إسلام الفريقين وإيمانهم غير أنهم قالوا: إن عليًا كان على حق، وأعداءه قد اجتهدوا، ولا يلزمهم كفر أو فسق.

جاء واصل بن عطاء فاعتبر أحد الفريقين فاسقًا لا بعينه، ولا تقبل شهادة واحد منهما قياسًا على المتلاعنين، فلا يجوز عنده قبول شهادة علي وطلحة والزبير ومعاوية، حيث قال بأن أحدهما فاسق لا بعينه(١)، وهذا حكم جائر على صحابة رسول الله ﷺ خاصة وأن حكم الفسق عنده الخلود في النار.

وهكذا يعتبر موقف واصل في المنزلة بين المنزلتين موقفًا ضعيفًا لا سند له من العقل أو النقل، إذ أن المؤمن العاصي أو الفاسق لا يخلد في النار، بل يعذب على قدر معصيته ثم يخرج منها إلى الجنة، وإلا لما كان هناك فرق بين من أنكر وجود الله وأنكر رسالاته، وبين من آمن بهما،ولكنه قصر في بعض الواجبات، وما دام الكل مخلدًا في النار(٢).

المبدأ الرابع: وجوب الوعد والوعيد:

يقول إن الله تعالى قد وعد الطائعين بالثواب على فعل الطاعة، وأنه أوعد العصاة والمذنبين بالعقاب على ارتكاب الذنب، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] وقال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص (٤٩).

(٢) الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية د/ سعد الدين السيد صالح ص (١٤٧١، ١٤٢) بتصرف.

فيجب عليه- تعالى- أن يفي بوعده ووعيده، فالمؤمن في نظرهم إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة وتوفيق للعمل الصالح استحق الثواب ودخول الجنة، والعرض عما قدم به من عمل صالح في الحياة الدنيا، وقد يتفضل الله عليه بأزيد من طاعته وهو معنى زائد وراء الثواب.. وإذ خرج العبد من الدنيا من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق العقاب عليها والخلود في النار، ولكن عقابه فيها يكون أخف من عقاب الكافرين.

أما أهل السنة فيقولون: الوعد والوعيد هو كلام الله تعالى الأزلي، وعد على ما أمر به من الطاعات، وأوعد على ما نهى عنه من المعاصي، فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من خالف وارتكب المنهيات واستوجب العقاب فبوعيده، ولا يجب عليه تعالى شيء من الثواب أو العقاب، غاية الأمر أن وعده تعالى بالثواب لا يتخلف، لأنه وعد من جواد كريم، قال تعالى: ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾ [الروم: ٦]، أما الوعيد فيجوز تخلفه في جانب العصاة لا في جانب الكافرين والمشركين، بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨] .أ.هـ(١).

إن الله تعالى أرسل رسله- صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين- إلى الناس يأمرونهم بالطاعات، وينهونهم عن المعاصي، وقد وعد الله- سبحانه الطائعين المثوبة على الطاعة، كما أنه- تعالى- قد أوعد العاصين العقوبة على المعصية.

وإن الله تعالى لا يجب عليه شيء، لأن الطاعة وعمل الصالحات من العباد لا يلزم عليها المثوبة ولا يجب على الله- تعالى- أن يدخل صاحبها الجنة، فإن الطاعات

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام ص٣٣، ٣٤.

هي في مقابل النعم التي أنعم الله- تعالى- بها على العبد، من نعمة الحياة ثم السمع والبصر والعقل وسائر النعم، فالعبد لا يدخل الجنة بعمله، ولكن يدخلها بفضل الله ورحمته، وهذا الذي نص عليه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي قال فيه لأصحابه- رضوان الله عليهم أجمعين- "**لن يدخل أحدكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**"(١).

وكما أنه لا يجب على الله- سبحانه- إدخال الطائعين الجنة، فكذلك لا يجب عليه- سبحانه- إدخال العصاة النار، وإنما يدخل النار من يشاء، فلا وجوب عليه- تعالى- في هذين الأمرين ولا في غيرهما، بناء على ما نؤمن به من أنه سبحانه وتعالى: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج: ١٦] ولقوله سبحانه: ﴿ **لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فالآية الكريمة علقت المغفرة والذنب ليس على الأعمال، ولكن على مشيئة الله- سبحانه وتعالى- والأمران: المغفرة والعذاب كلاهما للمذنب، فالكلام في الآية عن أصحاب الذنوب، لأن المغفرة لا تكون إلا من ذنب، والآية الكريمة لم تقل: فيغفر لمن فعل كذا، ويعذب من فعل كذا، ولكنها علقت الأمرين على مشيئة الله- عز وجل- وأغفلت الأعمال.

وكقوله تعالى في بيان عموم مغفرته لمن يشاء من أصحاب الذنوب: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣] لكن هذا العموم في مغفرة الذنوب قد خصصته آيات أخر، فقد ورد قول الله تعالى في تخصيص مغفرته العامة وحجبها عن

(١) رواه مسلم.

المشركين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء: ٤٨] فالآية أخرجت الشرك من دائرة المغفرة، ثم وضعت جميع الآثام والمعاصي سوى الشرك في دائرة المغفرة، لا يخصص شيئًا دون شيء بعد الشرك إلا مشيئة الله- سبحانه- وحتى الشرك ليس المانع من مغفرته أن الله- سبحانه- يجب عليه ألا يغفره، بل المانع أن الله تعالى شاء ألا يغفره، ولو شاء غير ذلك لكان ما يشاء- عز وجل- والرسول ﷺ يقول: "**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**".

فالحاصل أن الأمر كله بيد الله- سبحانه- يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فإذا شاء أن يعفو عن مذنب عفا عنه مهما عظم ذنبه، وإذا شاء عاقبه مهما صغر ذنبه.

وكذلك في الطاعات، إنما يدخل الناس الجنة بعفو الله ولطفه وفضله ورحمته، وليس لأنه يجب عليه- جل الله عن ذلك- أن يدخلهم الجنة.

فثواب الله للطائعين واقع، لأن الله تعالى وعد، وإذا وعد فإنه لا يخلف الميعاد، والكريم إذا وعد لا يخلف والله أكرم الأكرمين فوعد الله الطائعين واقع لأنه ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١]، وأما وعيده للعاصين فلا نقول بوقوعه، فإن الله- تعالى- قد يوقعه بهم عدلاً، وقد يعفو عنهم فضلاً، فقد يرفع عنهم العقوبة كاملة، أو يخفف منها، وليس في ذلك إخلاف للميعاد، فإن الكريم إذا وعد أوفى وقد يزيد، وإن أوعد وفى أو عفا[1].

ولذلك يقول الله تعالى- لأهل الجنة-: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس: ٥٨] أي أنه ينبغي أن يكون فرحكم بفضل الله عليكم، لا

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ١٣٥: ١٤٠ بتصرف.

بأعمالكم ذلك أن الطائع قد اختار الطاعة على المعصية بتوفيق الله له وإنعامه عليه، وكان من الممكن أن يخذله الله فيقع في المعصية، فكيف يستحق العبد بنعمة من الله عليه في الدنيا، نعمة منه في الآخرة، وقد قال تعالى لمن يمنون على رسول الله ﷺ بإسلامهم ﴿ قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ [الحجرات: ١٧] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾ [آل عمران: ١٦٤].

كما أنهم بهذا الفهم يجعلون المذنب يائسًا من رحمة الله، لأنهم يوجبون عليه العذاب، مع أن الله تعالى يقول: ﴿ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]. إنهم بهذا يتحجرون رحمة الله الواسعة، وينكرون شفاعة رسول الله ﷺ التي ادخرها لأهل الكبائر من أمته[1].

المبدأ الخامس: وجوب العمل والمعرفة بالنظر والاستدلال:

اتفق المعتزلة على أن أصول المعرفة، وشكر المنعم على النعمة واجب على الإنسان قبل ورود السمع بذلك، وأن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل، كما يجب اعتناق الحسن والعمل به، واجتناب القبيح والبعد عنه، وورود التكاليف الشرعية ألطاف من الله تعالى، كلف الله بها عباده امتحانًا واختبارًا ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ١٤٠] وإذا كان الأمر كذلك فإن الأمر بالمعروف حسن، والنهي عن المنكر وإزالته محمود وخير، لذلك وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند جمهور المعتزلة، لأن حسن ذلك ذاتي.

---

(١) الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة ص١٤٤.

ويصور الأشعري هذا الأصل عند المعتزلة بقوله: "وأجمعت المعتزلة -إلا الأصم- على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقدرة باللسان واليد والسيف كيف ما قدروا على ذلك"(١).

ويصوره المسعودي بقوله: "وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو الأصل الخامس، فهو أن ما ذكر عن سائر المؤمنين واجب على استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه، وإن كان كالجهاد، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق"(٢).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان على المسلم، حضًا على الطاعة، ومنعًا من المعصية، ودعوة إلى دين الله- سبحانه وتعالى- وهاتان الفريضتان لا تختص بأحد دون آخر من المسلمين، ما دام شروط القيام بها متوفرة في المسلم، وقد قيل: "لا أحد أصغر من أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا أحد أكبر من يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر" ورغم هذا التعميم في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنها لا تجوز من كل أحد، بل إن ثمة شروطًا يجب توافرها فيمن يقوم بهذه الفريضة، وأهم هذه الشروط ثلاثة:

أولاً: أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على علم بما هو معروف، وما هو منكر، وأن يكون على معرفة بالحكم الشرعي لما يأمر به أو ينهى عنه، وإلا فإنه إن كان جاهلاً فيمكن أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٧٨ ج١ ص٢٧٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص١٥٤ نقلا عن: محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٣٤، ٣٥.

ثانيًا: أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على علم بأن أمره ونهيه سوف يؤثران ويأتيان بالنتيجة المرجوة، أما إذا عرف أن أمره ونهيه لن يؤثر في المأمور أو المنهي، فإنه في هذه الحالة لا يجب عليه ذلك، وإن كان يندب له القيام بهما إعذارًا إلى الله سبحانه وتعالى. أي أنه في هذه الحالة ينتقل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مرتبة الفرضية إلى مرتبة الندب، وقد حكى القرآن الكريم قصة قوم من بني إسرائيل كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم يدركون أن فعلهم هذا لا يؤثر في أقوامهم الفاسقين: ولما سئلوا عن ذلك أخبروا أنهم يفعلون هذه معذرة إلى الله، ولعل الله يجعل لفعلهم هذا ثمرة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

ثالثًا: أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على معرفة بأن أمره أو نهيه لن يؤدي إلى ضرر أكبر، فإن علم أنه إن أمر أو نهى سوف ينتج عن ذلك مفسدة أو مضرة فوق ما هو حادث فعلاً، فإنه في هذه الحالة يسقط وجوبها، ويصبح تركها أولى دفعًا للمفسدة، ومنعًا للضرر.

والأمر بالمعروف هو الحمل على الطاعة، أو القول الذي من شأنه أن يحمل على الطاعة، أو تمني وقوع الطاعة، والنهي عن المنكر هو منع وقوعه، و القول الذي من شأنه أن يمنع وقوعه، أو تمني عدم وقوعه، فإذا وجدت إنسانًا لا يخرج زكاة ماله، فهو محتاج إلى من يأمره بالمعروف، والأمر بالمعروف هنا إما بأن أحمله على الطاعة فأجبره على إخراج الزكاة، أو آخذها منه بالقوة، فإذا لم أستطع أن أنفذ ذلك بالقوة لجأت إلى القول، فآمره وأنصحه وأعظه بإخراج الزكاة، فإذا لم أستطع أو أتمكن حتى من الأمر والنصيحة، تمنيت في قلبي أن يخرج هذا الإنسان زكاة ماله.

ومثل ذلك إذا وجدت إنسانًا عاكفًا على منكر، كأن أجد إنسانًا يشرب خمرًا، فإما أن أمنعه من الشرب، وإما أن أنصحه وأعظه، فإذا لم أستطع النصيحة، تمنيت من قلبي أن يمتنع هذا الإنسان عن شرب الخمر.

وهذه الحالات أجمعت الأمة عليها، حيث اتفقت الأمة على أن تغيير المنكر قد يكون باليد، فإذا عجز الإنسان لجأ إلى تغييره باللسان، فإذا لم يستطع لم يبق أمامه إلا أن يغيره بقلبه، وهذا أضعف الإيمان[1].

ولكن الإمام الغزالي قسم درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأقسام التالية:

- التعريف، ثم النهي بالوعظ أو النصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب، ثم شهر السلاح.

والدرجة الأولى والثانية واجبة على الجميع، أما السب والتعنيف والتغيير باليد فيكون في حدود من له الولاية عليهم مثل أولاده وأسرته، أو من يوليه الحاكم لهذا الأمر مثل المحتسب، وهكذا فالتغيير باليد والضرب والقتال لابد فيه من إذن الحاكم حتى لا يتحول المجتمع إلى غابة يصنع فيها كل إنسان ما يريد تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما حديث "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**" فيدل على حالات معينة، ولكل حالة شروطها، فهناك حالة لابد فيها من التغيير باليد قبل التعريف أو اللسان، إذا ما وجدنا شخصًا يقتل شخصًا آخر أو يعتدي عليه، فإن التغيير باليد في هذه الحالة يكون مقدمًا، لأننا لو بدأنا بالوعظ

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ مزروعة ص (١٤٤، ١٤٦).

لفات المقصود، ولوقع المنكر وهو القتل[1].

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول المتفق عليها بين جميع المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ..... ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إلا أن المعتزلة كان لهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتجاهًا خاصًا خالفوا فيه أهل السنة والجماعة من حيث مفهومه، وطريقته، وحكمه، وغير ذلك من وجوه الخلاف. وقد عرف المعتزلة الأمر بالمعروف بقولهم، الأمر هو قول القائل لمن هو دونه في الرتبة افعل، والنهي هو قول القائل لمن هو دونه في المرتبة لا تفعل، والمعروف هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، وأما المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه[2].

وأما حكمه عندهم، فهو الوجوب، وقد ذهبوا إلى وجوبه بالعقل لا بالشرع، بناء على أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع، وهذا من منطلق ثقتهم المطلقة في عقولهم التي حاولوا أن يجعلوا منها مصدرًا للتشريع يكون بديلًا عن الوحي والرسالات.

ويقسم المعتزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى قسمين: **أحدهم**: ما لا يقوم إلا الأئمة به والحكام أو من ينوب عنهم، وهو إقامة الحدود ومد الثغور وتسيير الجيوش لحرب الكفار. **والثاني**: ما يقوم به كافة الناس كالنهي عن شرب الخمر والزنا والسرقة، لكن إذا كان هناك إمام مفترض الطاعة، فالرجوع إليه أولى.

---

(١) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د/ السيد السيلي.

(٢) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ص (١٤١).

ويرى المعتزلة أنه في حالة الأمر بالمعروف لا يحمل تارك المعروف على فعله جبرًا، أما في النهي عن المنكر، فإن مرتكب المنكر يحمل على الكف، ويلزم بالانتهاء إلزامًا حتى لو أدى ذلك إلى مقاتلته.

وإن كان هذا الرأي يتناقض مع رأيهم السابق في ضرورة إرجاع الأمر إلى الحاكم، ومعارض لحديث رسول الله ﷺ "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**" فهذه درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويرى أهل السنة أنه يجب على الأمة أن تنصح الحاكم، وأن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، إلا أن هناك درجات معينة بالنسبة للحاكم وتقف تلك الدرجات عند حدود التعريف بالمعروف والمنكر ثم الموعظة الحسنة، أما التعنيف والتغيير باليد والتهديد بالقتل والضرب والاستعانة بالغير، فلا يجوز بالنسبة للحاكم دفعًا للفتن ودرءًا للمفاسد.

أما المعتزلة فقد أوجبوا قتال الحاكم، وقالوا: بأن سل السيوف جائز إذا لم يمكن دفع المنكر إلا بذلك، وأوجبوا على الناس ضرورة الخروج على السلطان إذا أمكنهم ذلك.

ومن هنا يتضح لنا خطورة مبدأ المعتزلة الذي يؤدي إلى الفوضى والفتن والمفاسد التي لا يعلم مداها إلا الله، إذًا فالتغيير يكون بالإرشاد والموعظة الحسنة وبكلمة الحق تقال للظالمين بهدوء وحكمة، ومن الجدير بالذكر أن نقول: إن المعتزلة لم يحققوا ما نادوا به واقعيًا، فقد مالأوا الحكام، ولم يخرجوا عليهم برغم فسادهم[1].

(١) الفرق والجماعات المعاصرة وجذورها التاريخية ص (١٤٤: ١٤٨) بتصرف.

وإن المعتزلة خالفوا الأمة حين جعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضًا من الفروض العينية، فجعلوا ذلك فرضًا على جميع المؤمنين وجعلوا المؤمن الذي يترك ذلك اكتفاء بما قام به الآخرون آثمًا، تاركًا لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

لقد ربط المعتزلة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضية التحسين والتقبيح والعقليين، وهذا مخالف لأصول الكتاب والسنة، فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، ولولا الوحي والنبوات لما كان هناك تكليف، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥].

وبالتالي فالمعروف عند أهل السنة هو: اسم جامع لكل ما أمر به الله من خلال وحيه، والمنكر: هو اسم جامع لكل ما نهى الله عنه من خلال وحيه.

وباختصار فالمعروف هو طاعة الله، والمنكر معصيته: فالأمر بالمعروف هو الدعوة إلى طاعة الله، والنهي عن المنكر هو النهي عن معصية الله، وهو واجب على كل مسلم يمتلك القدرة وتجتمع فيه شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وخصوصًا عند قلة الدعاة وكثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم. ولكن إذا وجد من يقوم به ويؤدي واجبه، فإنه يكون فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد من الناس أثم الجميع.

وأما شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة فهي: الإسلام والتكليف، والعلم بأحكام الشرع، حتى لا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف، والورع والنزاهة، والتعفف لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] إلا في حالة المحتسب والموظف من قبل الدولة لهذا الأمر، والبصيرة، وهي المعرفة التي يميز بها

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٤٦) بتصرف.

بين الحق والباطل لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وعدم التجسس لقول الرسول ﷺ "**من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليسترها**"[١] والحلم والرفق لقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ... ﴾ [النحل: ١٢٥] لأنه بدون الحلم والرفق يكون الداعية فظًا غليظ القلب منفرًا من دعوته فلا يستمع إليه الناس، والصبر لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يلحق بالداعية بعض الأذى أو السخرية منه، ولذلك نجد لقمان الحكيم بعد أن رصى ابنه بالأمر والمعروف والنهي عن المنكر قال له: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وهناك بعض الشروط المختلف فيها، مثل الذكورة فلا يجب على النساء، وقال بذلك الشرط "القرطبي وابن العربي" وهو شرط فاسد، لأن المرأة يجب عليها أن تأمر وتنهى أيضًا، وباب الدعوة إلى الله مفتوح للرجال والنساء، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]. أ. هـ[٢].

ثالثًا: فرق المعتزلة:

اتفقت فرق المعتزلة على الأصول الخمسة، وقالوا بها، ومن لم يقل بها فليس معتزليًا لكنهم اختلفوا في أمور أخرى فرقت كلمتهم وجعلتهم فرقًا، اختصت بها كل فرقة، بحيث صاروا عشرين فرقة.

وسنذكر هنا أهم هذه الفرق مع إجمال القول في ذلك:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الفرق والجماعات الإسلامية وجذورها التاريخية ص (١٤٨: ١٥٠) بتصرف.

١- الواصلية:

إنه الفرقة الأولى من فرق المعتزلة، والتي تنسب إلى زعيمهم ورئيسهم الأول "واصل بن عطاء الغزال" وقد سبق قوله في القول بالمنزلة بين المنزلتين، والتوحيد الذي من خلاله نفي الصفات، والعدل الذي من خلاله نفي القدر ونسب خلق الأفعال إلى العبد وسائر الأصول الخمسة، وأضاف إلى ذلك بدعته التي ابتدعها ورأيه في الصحابة الذين اشتركوا في حرب الجمل وصفين، حيث وقع الخلاف في الحكم عليهم، فقد كان الخوارج يكفرونهم، وكان الباقون من المسلمين يعتقدون أن كلا الفريقين مؤمنون مسلمون، وأنهم مجتهدون، وأن عليًا على حق، وأن الآخرين مجتهدون ومخطئون، ولا يلزم من خطئهم كفر ولا فسق، ولا يلزم التبري ولا العداوة.

ولكن (واصلاً) يخالف الفريقين ويزعم أن أحدهما مخطئ لا بعينه، وأنه فاسق لا محالة، وأقل درجة أنه لا تقبل شهادتهما، وقد رتب على هذا قوله: لو شهد عندي رجلان من هذا المعسكر، ورجلان من هذا المعسكر لم أقبل شهادتهم، فقيل له: يشهد من هذا المعسكر "علي والحسن والحسين وابن عباس"، ومن ذلك المعسكر: "عائشة وطلحة والزبير" هل تقبل شهادتهم؟ فقال: لو شهدوا جميعهم على باقة بقل، لم أقبل.!!!

هذا قول رئيس المعتزلة في أعيان الصحابة، وليس العجب أن يتبع المعتزلة رأيه، ويؤمنون بقوله، وإنما العجب من بعض الشيعة الذين يدينون بمذهب المعتزلة وبأصولهم مع عقيدة (واصل) هذه في علي ﷺ وفي أولاده، ذلك أن الاثنا عشرية من الشيعة — كما يقرر ابن أبي الحديد- يأخذون بآراء المعتزلة في العقائد[1].

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص٣٥: ٣٩ بتصرف. والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٦: ٤٩ بتصرف.

٣- الهذيلية:

الهذيلية فرقة من فرق المعتزلة، تنسب إلى زعيم من زعمائهم هو "أبو الهذيل محمد بن الهذيل" المعروف بالعلاف فيلسوف المعتزلة الأول، ومقرر الطائفة والناظر عليها.

وأبو الهذيل وإن كان من المعتزلة، ويقول بالأصول الخمسة التي سبق الكلام عليها إلا أن له آراء أخرى، خالف بها جمهور المعتزلة، كفره المعتزلة ببعضها، ولقد ألف "المردار" من المعتزلة كتابًا في تكفيره، كما ألف أبو علي الجبائي كتابًا آخر في تكفيره كذلك، وذكرا في كتبهما أن قوله يؤدي إلى قول "الدهرية" كما أن لجعفر بن حرب من المعتزلة كتابًا يسمى "توبيخ أبي الهذيل".

ومن آرائه التي انفرد بها ما يأتي:

١- رأيه في الصفات: يقول أبو الهذيل: إن الله عالم بعلم، وعلمه ذاته، قادر بقدرة، وقدرته ذاته، حي بحياة، وحياته ذاته، ومعنى ذلك أن الصفة نفس الذات، وليست زائدة عليها، وإنما أخذ هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه، وأن الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته، بل هي ذاته, وهذا القول باطل، لأنه يؤدي إلى أن يكون العلم والقدرة -مثلاً- بمعنى واحد ولا يوجد فرق بينهما، وهو باطل بداهة، كما يؤدي إلى نفي أسماء الله تعالى الحسنى وتعددها، ما دام يرى أن الصفات نفس الذات.

٢- ويقول أبو الهذيل: إن مقدورات الله تعالى تتناهى، بمعنى أن لها حدًا ونهاية، وأنه إذا وجد ذلك الحد، وتلك النهاية، لا يقدر الله على شيء بعد ذلك- تعالى الله عن قوله علوًا كبيرًا-.

ويقول: إذا دخل الوقت -أي النهائي- في نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار،

لا يقدر الباري عز وجل على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة، حتى إن العبد في الجنة لو مد يده إلى ثمرة من ثمارها ثم دخل ذلك الوقت لم يقدر العبد أن يوصل يده إليها، ولم يقدر الباري أن يوصل الثمرة إلى يده، وفي ذلك الحين يصير أهل الجنة جمودًا، وهمودًا، ساكنين، لا يقدرون على الحركة، كما ينقطع عذاب أهل النار أيضًا في ذلك الوقت.

ويرى الشهرستاني في الملل والنحل أن أبا الهذيل التزم القول بهذا الرأي، لأنه قال "بحدوث العالم" ومنع حوادث لا نهاية لها في جانب الماضي، فقيل له: فما بالك بالحوادث التي لا نهاية لها آخرًا؟ فقال: إني لا أقول بحوادث لا نهاية لها آخرًا، بل أقول: يصير أهل الجنة والنار إلى سكون دائم.

وهذا القول باطل، لأنه يؤدي إلى الحد من قدرة الله تعالى، التي تتعلق بجميع الممكنات، كما يؤدي إلى القول بفناء الجنة والنار، وهو مما يخالف نصوص القرآن الكريم التي تدل على أبدية الجنة والنار وبقائهما.

٣- رأيه في كلام الله تعالى: يرى أبو الهذيل أن كلام الله تعالى نوعان... بعضه عرض لا في محل، وهو قول "كن" وبعضه عرض في محل كالأمر والنهي والخبر، وكأن أمر التكوين عنده غير أمر التكليف.

٤- وفي موضوع المعرفة، يرى أبو الهذيل أنه يجب على المكلف أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر، وقبل ورود الشرع بذلك، وأن الواجب على العاقل أن يعلم حسن الحسن ويفعله،وقبح القبيح ويتركه، وإلا استحق على ذلك المؤاخذة والعقوبة.

٥- ويرى في القدر مثل ما يقوله المعتزلة من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه، إلا أنه يقول: إن حركات أهل الخلدين في الآخرة، كلها ضرورية، لا قدرة للعباد عليها، وكلها مخلوقة لله تعالى إذ لو كانت مكتسبة

لكانوا مكلفين بها.

ومن هنا قال المؤرخون: إنه قدري الأولى، جبري الآخرة.

٦- ومما وافق فيه "أبو الهذيل" أهل السنة، وخالف فيه جمهور المعتزلة: رأيه في الآجال أنه يرى أن الأجل واحد، لا يزيد ولا ينقص، وأن العبد لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت، ولا يجوز أن يزاد في العمر أو ينقص منه مخالفًا بذلك جمهور المعتزلة، الذين يقولون: إن المقتول لم يمت بأجله، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى الأجل الذي قدره الله له.

٧- قوله في الأرزاق: يرى "أبو الهذيل" أن "الأرزاق" على وجهين: أحدهما: ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها يجوز أن يقال إن الله خلقها رزقًا للعباد، فعلى هذا من قال: إن أحدًا أكل أو انتفع بما لم يخلقه الله رزقًا له فقد أخطأ، حيث إنه يدل على أن في الأجسام شيئًا لم يخلقه الله تعالى، وهذا غير صحيح. وثانيهما: ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد، فما أحل منها فهو رزقه، وما حرم فليس رزقًا، أي ليس مأمورًا بتناوله[1].

٣- النظامية:

فرقة من فرق المعتزلة، تنتسب إلى زعيمهم: أبي إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام، المتوفى عام ٢٣١هـ في عصر الدولة العباسية، وهو ابن أخت (أبي الهذيل العلاف) عاصر من الخلفاء: الرشيد، والمأمون، والمعتصم. ويعد (النظام) من أذكياء المعتزلة، وقد قرأ كثيرًا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وكان من الذين ذهبوا إلى القول بنفي القياس والإجماع، وانخدع برأي الكثيرين من

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٤١: ٤٤ بتصرف، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٩: ٥٣ بتصرف.

الخوارج والشيعة.

آراء النظام الكلامية:

١- نفي "النظام" الجزء الذي لا يتجزأ، وقال: إن كل جزء يمكن انقسامه إلى أجزاء لا تتناهى، وأنه لا يزال من الممكن أن يفصل من الخردلة الواحدة شيء بعد شيء إلى ما لا يتناهى، وهذا القول منه باطل، لأنه يؤدي إلى محالات منها:

أ – أن هذ القول يؤدي إلى عدم وجود حوادث لا نهاية لها، وهذا يؤدي إلى القول بقدم العالم، وأنه لا أول له زمانًا، وهو باطل.

ب- وهذا القول يؤدي إلى مساواة الخردلة للجبل العظيم، إذ يمكن تقسيم كل منهما إلى ما لا يتناهى من الأجزاء، وحينئذ يبطل الفرق بينهما، وهذا غير صحيح.

٢- رأيه في الكون: يرى النظام أن العالم كله، خلق دفعة واحدة على ما هو عليه الآن: معادن، ونبات، وحيوان، وإنسان، ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، بل إنهم جميعًا خلقوا معًا دفعة واحدة، غير أن الله أكمن بعضها في بعض، فالتقدم والتأخر يقع في ظهورها من مكامنها، دون حدوثها ووجودها، فالحدوث: ظهور عن كمون، والعدم: كمون بعد ظهور.

وهذا قول أخذه عن أحد فلاسفة اليونان، وهو "أنكسا غوارامي" الذي وجد في القرن الخامس قبل الميلاد، وهو قول يبطله العقل الصريح، ولا يصدق به.

٣- ومما شذ فيه قوله: إن القرآن غير معجز في نظمه، وإنما عجز العرب عن الإتيان بمثله كان بالصرفة وأن الله هو الذي صرفهم عن ذلك.

وإنما إعجاز القرآن كان في إخباره بالمغيبات فحسب، وقد فاته أن من وجوه إعجاز القرآن: معانيه الرائعة، وبلاغة أسلوبه، وانسجامه الذي عجز بسببه العرب عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بأقصر سورة منه، مع أنهم

كانوا أهل الفصاحة والبلاغة، وقد حاولوا ذلك جاهدين ثم قعدوا عاجزين مأخوذين برائع لفظه، وبديع أسلوبه، وسمو معانيه.

٤- ومما شذ به النظام قوله: إن الخير والشر واقعان من العبد بفعله هو، وهذا هو قول المعتزلة، ولكنه زاد عليهم بقوله: إن الله لا يوصف بالقدرة على فعل الشرور والمعاصي، وليست مقدورة لله تعالى، وذلك خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: إن الله تعالى قادر عليها لكنه لا يفعلها، لأنها قبيحة، والله تعالى لا يفعل القبيح.

وأهل السنة لا يرتضون هذا القول، ويقولون: إن الله تعالى هو الفاعل للخير والشر معًا، وإلا لزم نسبة العجز إليه - تعالى -، ولكنهم يرون نسبة الخير إلى الله تعالى، ونسبة الشر إلى فاعله تأدبًا فقط، كما قال سبحانه ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] ثم راعى الحقيقة في الآية الأخرى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨].

٥- ويرى النظام: أن الله تعالى يجب أن يفعل بالعبد ما فيه صلاحه، لأنه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان بخيلاً، والبخل على الله تعالى محال.

وقد ترتب على هذا قوله: إن ما فعله الله بالكافرين فيه صلاحهم، ولم يكن في مقدوره أن يفعل أصلح مما فعله بهم.

وهذا الرأي باطل لما يأتي:

أ – أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، إذ الوجوب يستدعي موجبًا، ولا موجب على الله تعالى من أعلى، إذ هو تعالى العلي الأعلى، والخالق والمدبر لكل شيء.

ب- أن كل عاقل يعلم أنه لا صلاح للكافر في كفره، ولا صلاح له في العقاب الذي سيحل به في الآخرة، فمن ذا الذي يقول: إن الكفر فيه مصلحة للكافرين؟!!

٦- ويرى (النظام) أن الإنسان في الحقيقة هو "النفس" و"الروح" أما "البدن" فهو آلة

لها، وهذا بعينه قول الفلاسفة، غير أنه يرى أن النفس مادية، فيقول: إنها جسم لطيف مشابك للبدن، ومداخل له مداخلة المائية في الورد، والدهنية في السمسم، والسمنية في اللبن.

وقال إن الروح هي التي لها قوة واستطاعة، وهذا يخالف رأي جمهور الفلاسفة الذين يرون أن النفس مجردة عن المادة.

٧- ومما شذ به (النظام) ميله إلى الرفض، ووقيعته في كبار الصحابة وتسليطه لسانه عليهم، واتهامه لأبي بكر وعمر باتهامات لا يرضى عنها جماعة المسلمين، قال: أولاً: لا إمامة إلا بالنص والتعيين، قد نص النبي ﷺ على "علي" ﷺ وأظهره إظهارًا، إلا أن "عمر" كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة "أبي بكر" يوم "السقيفة" ونسبه إلى الشك يوم الحديبية، ووقع في أمير المؤمنين "عثمان" ﷺ لإسناد بعض الإمارات في الأقاليم إلى أقاربه، وغير ذلك.

٨- وقال (النظام): إن الجواهر مؤلفة من أعراض اجتمعت، ووافق "هشام بن الحكم" في قوله" إن الألوان والطعوم والروائح أجسام، فتارة يقول: إن الأجسام أعراض، وتارة يقول: إن الأعراض أجسام، وهو تناقض ظاهر(١).

٤- الجاحظية:

فرقة من فرق المعتزلة، تنسب إلى زعيمهم ورئيسهم (الجاحظ) وهو عمرو بن بحر المكنى بأبي عثمان، والملقب "بالجاحظ" وذلك بسبب جحوظ وبروز عينيه.

كان الجاحظ من علماء المعتزلة والمصنفين لهم، تتلمذ على يد "إبراهيم النظام"

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٥٣: ٥٩ بتصرف، ومحاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص٤٤: ٤٩ بتصرف.

وكان من الأدباء المعدودين، والمعروفين بأسلوبهم الجيد الرصين، يدل على ذلك مؤلفاته الأدبية، قرأ كثيرًا من كتب الفلاسفة، ومن كتب الأدب العربي، وتأثر بما قرأ، وله مؤلفات عديدة منها: كتاب الحيوان للجاحظ في أربعة مجلدات،وكتاب البيان والتبيين في جزأين كبيرين، وكتاب الدلائل والاعتبار، وكتاب فضيلة المعتزلة، وكتاب "خلق القرآن".... وغيرها.

وقد عاش الجاحظ في عصر المعتصم، والمتوكل. لقد آمن الجاحظ بالأصول الخمسة للمعتزلة، وانفرد عنهم ببعض الآراء منها:

١- رأيه في المعرفة: يقول الشهرستاني عن الجاحظ: إنه يرى أن المعارف كلها ضرورية طبعًا، وظاهر هذا التعبير: أن المعرفة ضرورية للعارف، وليس للعبد فيها اختيار، ولا كسب.

ويقول الشهرستاني: إن الجاحظ يرى أن العبد ليس له في المعرفة سوى الإرادة، أي الميل والرغبة، وأن المعرفة تنشأ في الإنسان طبعًا.

ويظهر أن هذا القول من الشهرستاني بعيد عن الصواب، بأن مؤلفات الجاحظ تدل على أنه يرى أن المعارف نوعان: بديهية ضرورة، وأخرى كسبية، والأولى لا تحتاج إلى كسب ونظر، والثانية تحتاج إلى كسب ونظر.

وإذا كان النوع الثاني يحتاج إلى كسب ونظر فليست المعارف كلها ضرورية كما رأى الشهرستاني، اللهم إلا أن يقال: إنها ضرورية طباع، بمعنى أنها ناشئة من الإنسان نفسه، إن الإنسان من غرائزه حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة، وأن المعرفة مخلوقة للعبد ومن كسبه، كما هو مذهب المعتزلة في خلق الأفعال الاختيارية.

٢- رأيه في أهل النار: إنه يرى أنهم لا يخلدون فيها معذبين، وإنما يصيرون إلى طبيعة النار، فلا يحسون بها، وكان يرى أن النار تجذب أهلها إلى نفسها، من غير أن

يدخل أحد فيها.

٣- ويرى الجاحظ: أن الجواهر لا تفنى ولا تنعدم، وإنما الأعراض هي التي تتبدل، وأما الجواهر فإنه لا يجوز أن تفنى. وهذا القول قريب الشبه بقول الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس" الذي يقول بأن المادة قديمة ولا تفنى، وإنما الفناء هو تحلل الجسم إلى عناصره الأولى، فالعناصر باقية والأعراض فانية.

٤- يرى الجاحظ أن الخلق كلهم عقلاً من العقلاء، عالمون بأن الله تعالى خالقهم، وعارفون بأنهم يحتاجون إلى النبي ﷺ، وهم محجوبون بمعرفتهم، ثم هم صنفان: عالم بالتوحيد، وجاهل به: فالجاهل معذور، والعالم محجوج.

ومن انتحل دين الإسلام، بأن اعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالأبصار، وهو عدل لا يجور، ولا يريد المعاصي، فهو مسلم حقًا، وإن عرف ذلك كله، ثم جحده وأنكره، وقال بالتشبيه والجبر، فهو مشرك كافر حقًا(١).

وهناك فرق أخرى كثير مثل: الخابطية، والحدثية، والبشرية، والممرية، والمراودية، والثمامية، والهشامية، والخياطية، والكعبية، والجبائية، والبهشمية (٢) ....

رابعًا: أهم أعلام المعتزلة وكتبهم:

أعلام مفكري المعتزلة كثيرون، ولكل واحد منهم أفكاره المتميزة عن أفكار سالفيه ومعاصريه حتى أصبح لكل واحد من هؤلاء المفكرين مذهب ينسب إليه. وعلى رأسهم:

١- واصل بن عطاء: أستاذ المعتزلة ورئيسهم الأول، كان تلميذًا للحسن البصري في

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام ص (٤٩، ٥٠)، بتصرف، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص (٧٥، ٧٦) بتصرف.

(٢) انظر بتوسع: الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٦٠: ٨٥، وكذا الفرق بين الفرق للبغدادي، وغيرهما.

مدينة البصرة، يتلقى العلم على يديه، يحضر دروسه، ومجلس علمه، ليتزود بالعلم والمعرفة وأمور الدين حتى ترك مجلس أستاذه واختلف معه في حكم مرتكب الكبيرة- كما ذكرنا(١).

٢- عمرو بن عبيد: من أشهر مفكري المعتزلة السابقين، هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن رباب، مولى بن عقيل، ولد عام ٨٠هـ وتوفي حوالي عام ١٤٤هـ. كان متكلمًا، وزاهدًا، وكان ممن يتردد على مجلس الحسن البصري، وقد كرهه الحسن البصري قبل اعتزاله، وكانت له صلات بخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين ولكنه لم يستغل ذلك لمصلحته ولا لمصلحة أحد من أصدقائه. لقد كان عمرو معتزليًا يغالي في إيمانه بالعقل، ويعقد الصلة بينه وبين الدين على أساس "أن الدين هو تقرير حجة الله في عقول المكلفين"(٢).

٣- أبو الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف: فيلسوف المعتزلة الأول، ومقرر الطائفة والناظر عليها. ولد حوالي عام ١٣٥هـ، وتوفي حوالي عام ٢٢٧ هـ بعد أن عمَّر طويلاً أخذ الاعتزال عن "عثمان بن خالد الطويل" أو عن بشر بن سعيد، وأبي عثمان الزعفراني، صاحبي واصل بن عطاء.

ولأبي الهذيل مؤلفات كثيرة نحوًا من ستين كتابًا في الرد على المخالفين في دقيق الكلام وجليله.

ومنها: كتاب الحجج- الأصول الخمسة- الحجة في أصول الفقه- الأعراض والإنسان والجزء الذي لا يتجزأ(٣).

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٦ بتصرف.

(٢) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم حسن فرغل ص ٢١٠، ٢١١ بتصرف.

(٣) الملل والنحل ج١ ص٤٩ بتصرف، ونشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ٢١٢ بتصرف.

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام، المتوفى عام ٢٣١هـ في عصر الدولة العباسية، وهو ابن أخت "أبي الهذيل العلاف" عاصر من الخلفاء: الرشيد، والمأمون، والمعتصم.

ويعد "النظام" من أذكياء المعتزلة، وقد قرأ كثيرًا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وكان من الذين ذهبوا إلى القول بنفي القياس والإجماع، وانخدع برأي الكثيرين من الخوارج والشيعة. وتعتبره المعتزلة أعظم رجال الفكر الإنساني، وكان عالمًا بالفقه والكلام، والكتب المترلة والأشعار والأخبار، والاختلاف، كما كان حسن الكلام في النظم والنثر(١).

٥- الجاحظ وهو عمرو بن بحر، المكنى بأبي عثمان، الملقب بالجاحظ، وذلك بسبب جحوظ وبروز عينيه، كان الجاحظ من علماء المعتزلة، والمصنفين لهم، تتلمذ على يد إبراهيم النظام، وكان من الأدباء المعدودين المعروفين بأسلوبهم الجيد الرصين، يدل على ذلك مؤلفاته الأدبية، قرأ كثيرًا من كتب الفلاسفة، ومن كتب الأدب العربي، وتأثر بما قرأ، وله مؤلفات عدة منها: كتاب الحيوان- البيان والتبين- الدلائل والاعتبار- فضيلة المعتزلة- خلق القرآن.

وقد عاش الجاحظ في عصر المعتصم، والمتوكل(٢).

٦- معمر بن عباس السلمي: كنيته أبو عمر، عاش في أيام هارون الرشيد، أخذ عن عثمان الطويل وعن إبراهيم بن يحيى المدين الذي أخذ عن عمرو بن عبيد، أدرجه ابن المرتضى في طبقة أبي الهذيل والنظام، و لم تذكر المصادر سنة وفاته(٣).

---

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٤٤، ٤٥ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص٤٩ بتصرف.

(٣) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم ص ٢٢٨.

يقول عنه الشهرستاني: إنه من أعظم القدرية في تدقيق القول بنفي الصفات، ونفي القدر[1].

٧- بشر بن المعتمد: أخذ بشر بن المعتمد الاعتزال من معمر بن عباد السلمي بالبصرة، ونقل المذهب إلى بغداد وصار من رؤسائه هناك، وكانت له مع الرشيد واقعة، وتوفي عام ٢١٠هـ[2].

٨- ثمامة بن الأشرس: أخذ الاعتزال عن بشر بن المعتمد ببغداد، توفي عام ٢١٣هـ[3].

٩- أحمد بن خابط: توفي سنة ٢٣٢هـ، من أصحاب النظام.

١٠- الفضل الحدثي: توفي سنة ٢٥٧هـ من أصحاب النظام[4].

١١- عيسى بن صبيح، المكنى بأبي موسى، الملقب بالمرداد، المتوفى سنة ٢٢٦هـ، وكان يقال له: راهب المعتزلة، ومن تلامذته: جعفر بن حرب الثقفي المتوفى سنة ٢٣٤هـ، وجعفر بن مبشر المهمداني، المتوفى سنة ٢٣٦هـ وأبو زفر، ومحمد ابن سويد، وصحب أبا جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي، وعيسى بن الهيثم، وجعفر بن حرب الأشج[5].

١٢- هشام بن عمرو الفوطي، المتوفى سنة ٢٢٦هـ[6].

١٣- أبو الحسين بن عمرو الخياط، أستاذ أبي القاسم بن محمد الكعبي، المتوفى سنة

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٦٥، ٦٦.

(٢) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص٢٢٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٢.

(٤) الملل والنحل ص ٦٠ بتصرف.

(٥) المرجع السابق ص٦٨: ٧٠ بتصرف.

(٦) المرجع السابق ص٧٢ بتصرف.

٣٠٠هـ[1].

١٤- أبو محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وابنه أبو هاشم عبد السلام، وهما من معتزلة البصرة[2].

(١) المرجع السابق ص ٧٦، ٧٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص٧٨، ٧٩ بتصرف.

خامسًا: المنهج الاعتزالي:

تأثر "واصل بن عطاء" بالجهمية والقدرية الأوائل في منهجهم العقلي المطلق الذي لا يضع اعتبارًا لقداسة النص، ويحاول إخضاعه لمفهوم العقل، فما قبله العقل من نصوص الكتاب والسنة قبلوه، وما استعصى عليهم قبوله، حاولوا أن يأولوه بما يتفق مع عقلهم المحدود.

يقول الشيخ محمد عبده: "تفرقت السبل بأتباع واصل، وتناولوا من كتب اليونان ما راق بعقولهم، وظنوا أنه من التقوى أن تؤيد العقائد بما أثبته العلم بدون تفرقة بين ما كان منه راجعًا إلى أوليات العقل، ومما كان سرابًا في نظر الوهم، فخلطوا بمعارف الدين ما لا ينطبق حتى على أصل من أصول النظر"(١).

ومع أن واصل قد توفي عام ١٣١هـ نهاية العصر الأموي، إلا أن مذهبه قد نما وترعرع في العصر العباسي، عصر الانفتاح الفكري الذي انتقلت فيه الفلسفة والمنطق وترجمت سائر علوم اليونان، وبدأت المذاهب الوثنية تغزو عقول المسلمين، وراح الفرس واليهود والنصارى يستخدمون الفلسفة والمناهج العقلية في الهجوم على العقائد الإسلامية مما جعل المعتزلة يدرسون أساليب الخصوم ويتقنونها حتى يتمكنوا من الوقوف أمامها، وهذا أمر يحمد للمعتزلة لأنهم دافعوا عن الإسلام في وقت كان في أشد الحاجة إلى الوقوف أمام هذا الغزو الفكري الذي قام به أعداء الإسلام، وهكذا كان المعتزلة أول من تسلح بالعقل والمنطق في مواجهة أعداء الإسلام.

كما كان هناك سبب آخر أدى إلى تبني هذا المنهج وهو ظهور الحشوية، والمجسمة والمشبهة الذين راحوا يحشون أحاديث رسول الله ﷺ بالإسرائيليات، التي

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص١١.

تجسد الآله وتشبهه بمخلوقاته، وقد كان مقاتل بن سليمان وهو زعيم الحشوية والمفسر المشهور يزعم أن الله جسم من الأجسام، لحم ودم، وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه على صورة الإنسان[١] – تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا- "وكان منهج الحشوية هو الأخذ بظاهر الآيات فقط دون أدنى تدخل من العقل، بل آمنوا بظاهرها الذي لا يليق بالله سبحانه وتعالى، ونفوا أن يكون للعقل مدخلاً في التشريع والاجتهاد، ولا شك أن أصحاب هذا الاتجاه يمثلون اتجاهًا لا عقليًا يبتعد عن روح الإسلام ابتعادًا واضحًا"[٢].

وهذا ما جعل الجهمية يتجهون اتجاهًا مضادًا حيث اعتمدوا العقل وحده منهجًا للبحث، ورفضوا النص وأولوه وصرفوه عن ظاهره لحساب العقل، وجاء المعتزلة لكي يسيروا على نفس الدرب، وهكذا لم يكن منهجهم منهجًا طبيعيًا، بل كان خاضعًا لرد الفعل.

وهذا المنهج كان يحمد لهم لو أنهم اكتفوا به في مناقشة أعداء الإسلام والمنحرفين عن العقيدة الإسلامية، ولكنهم تعدوا هذه الحدود وراحوا يقومون على أساسه كل العقائد الإسلامية، وهنا وقعوا في أخطاء كثيرة، ففيما يتعلق بموضوعات نص عليها القرآن الكريم من غير المعقول أن يكون عقلهم وحده هو محط النقاش، بل كان عليهم أن يجمعوا بين العقل والنقل، وأن يسايروا منهج القرآن، لأنه منهج العقل الصحيح، ولذلك يقول ابن خلدون: "الأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حيث دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إيهاماته وإطلاقه"[٣]. أ.هـ[٤].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د/ النشار ص٢٩٠.

(٢) علم الكلام وبعض مشكلاته للشيخ أبو الوفا التفتازاني ص ١٥٨.

(٣) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث د/ سعد الدين صالح ص ٦٧.

(٤) نقلاً عن كتاب "الفرق والجماعات الاسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية" ص ١٣٢، ١٣٣.

"وإذا ما نظرنا إلى أفكار المعتزلة بصفة عامة وجدناهم أكثر الفرق الإسلامية أخذًا بلباب الفلسفة اليونانية والانتفاع بها، فلا نكاد نقرأ لواحد من أئمتهم حتى نلمس ظلال الفلسفة اليونانية متمشية في جنبات أفكاره، الفلسفة اليونانية بميتافيزيقيتها وجدلها ومنطقها، ولعل هذه الفلسفة كانت أوضح ما تكون عند أبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، والجاحظ.

ولمحة أخرى نلمسها في أفكار المعتزلة وهي تلك الثقافات الكثيرة العريضة المجتمعة في مناهجهم، فقد كانوا حينما يعمدون إلى الجدل يتسلحون بأسلحة مجادليهم وأعدائهم، سواء أكان هؤلاء المجادلون من أبناء الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج أم من الزنادقة والدهرية أم من النصارى واليهود. ومن الأمثلة الطريفة التي تصور لنا مقدرة المعتزلة على الجدل ذلك الحوار الذي جرى بين أبي الهذيل وتلميذه إبراهيم النظام المعتزلي من ناحية، وصالح بن عبد القدوس السفسطائي الشاك المنكر لحقائق الأشياء من ناحية أخرى[1].

كان صالح بن عبد القدوس قد مات له ولد، فمضى إليه أبو الهذيل العلاف يرافقه تلميذه النظام، وكان صالح حزينًا الحزن كله، جزعًا الجزع كله، فقال له أبو الهذيل: لا أدري لجزعك وجهًا إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال صالح: يا أبا الهذيل: إنما جزعت لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك؟ قال: كتاب وضعته، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه كان، فلما سمع النظام- وهو التلميذ- الصغير صالحًا يقول هذا القول أردف موجهًا الحديث لصالح: فشك أنت في موت ابنك، واعمل على أنه لم يمت وإن مات،

(١) إسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة ص ٣٩٩.

وشك أيضًا في أنه قرأ الكتاب وإن لم يكن قرأه.!!!![1].

ومهما كان الأمر فبالرغم من جنوح المعتزلة في كثير من الأحيان إلى الشطح في التفكير والتعبير، وبالرغم من انتهاج الشدة والاستعانة بالحكام والخلفاء في نشر مذهبهم، فقد كانوا يمثلون المدرسة الإسلامية المفكرة، فقد اتفقوا مع الشيعة في كثير من عقائدهم، واتفقوا مع أهل السنة في العبادات وإن اختلفوا في مسائل علم الكلام، كما أنهم دافعوا عن الإسلام دفاعًا مجيدًا ضد الزنادقة والمجسمة والرافضة وغيرهم ممن لو تركوا وشأنهم لكان خطرهم على المسلمين شديدًا. [2] أ.هـ

إن المعتزلة اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقدية الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

كما أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية، كما سنرى.

وقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد "واصل بن عطاء" كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، وهذه المقولات نوجزها مع أصحابها بما يلي:

- مقولة: أن الإنسان حر مختار بشكل مطلق، وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه، قالها: معبد الجهني، الذي خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحيم بن الأشعث.. وقد قتله الحجاج عام ٨٠هـ. وكذلك قالها غيلان الدمشقي في عهد عمر بن عبد العزيز، وقتله هشام بن عبد الملك.

- ومقولة: خلق القرآن، ونفي الصفات، قالها الجهم بن صفوان، وقد قتله

(١) ابن خلكان ج١ ص٤٨١ نقلاً عن د/ مصطفى الشكعة.

(٢) إسلام بلا مذاهب ص٤٠٢.

سالم بن أحوز في مرو عام ١٢٨هـ

وممن قال بنفي الصفات أيضًا، الجعد بن درهم الذي قتله "خالد بن عبد الله القسري" والي الكوفة.

وهكذا نجد أن المعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية عامة، وبالمنطق الصوري الأرسطي خاصة.

وما كان الإسلام ضد العقل يومًا ما، ولا خالف العقل منهج الإسلام أيضًا، وإن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفًا لصحيح النقل، وحتى لا يتوهم أحد أن الإسلام ضد العقل أو أنه يسعى للحجر عليه، ولكن في مجال استعمال العقل لابد من عدد من الضوابط، منها:

١- أن لا يتعارض استعمال العقل مع النصوص الصحيحة.

٢- أن لا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعتبر الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.

٣- أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها "وهي ما يعرف بالأمور التوقيفية".

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور[1].

سادسًا: الجذور الفكرية للفكر المعتزلي:

هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية،

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج١.ص٦٩: ٧٥ بتصرف.

فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت، وأخذها طالوت عن خالد لبيد بن الأعصم اليهودي.

وقيل: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية- وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ- قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات.

- إن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد موردًا من موارد الفكر الاعتزالي، إذ أنه كان يقول بالأصح، ونفي الصفات الأزلية، وحرية الإرادة الإنسانية.

- ونفي القدر عند المعتزلة الذي ظهر على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، قيل: أنهما أخذاه عن نصراني يدعي أبو يونس سنسويه، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني[(١)].

- تأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات، فمن ذلك قول أبناء دقليس الفيلسوف اليوناني: "إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضة وهو الجود والعزة، والقدرة والعدل الخير والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو، وهو هذه كلها"[(٢)].

وكذلك قول أرسطوطاليس في بعض كتبه: "إن الباري علم كله، قدرة كله، حياة كله، بصر كله". فأخذ العلاف- وهو من شيوخ المعتزلة- هذه الأفكار وقال: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته.

- وأخذ النظام من ملاحدة الفلاسفة قول بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة، أي أن الجسم يمكن أن يكون في مكان (أ) ثم يصبح في مكان (ج) دون أن يمر في (ب). وهذا من عجائبه حتى قيل: إن من عجائب الدنيا "طفرة

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج١ ص٧٦.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٥٨.

النظام وكسب الأشعري".

- وإن أحمد بن خابط والفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام قد طالعا كتب الفلاسفة، ومزجا الفكر الفلسفي مع الفكر النصراني مع الفكر الهندي، وقالا ما يلي:

١- إن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة.

٢- إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة.

٣- القول بالتناسخ.

٤- حملا كل من ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبتدع وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات.

- يؤكد العلماء تأثير الفلسفة اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم، فقد طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة وتمذهب بمذهبهم، حتى إنه خلط وروج كثيرًا من مقالاتهم بعباراته البليغة.

- ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق - حيث نشأة المعتزلة- الذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة، فبعضهم ينتهي إلى الكلدان، وبعضهم إلى الفرس، وبعضهم نصارى، وبعضهم يهود، وبعضهم مجوس، وقد دخل هؤلاء في الإسلام وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية[(١)].

سابعًا: الفكر الاعتزالي الحديث:

يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد

(١) الموسوعة الميسرة ج١ ص٧٦، ٧٧.

بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد، فألبسوه ثوبًا جديدًا، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل: العقلانية، أو التنوير، أو التجديد، أو التحرر الفكري، أو التطور، أو المعاصرة، أو التيار الديني المستنير، أو اليسار الإسلامي.

– وقد قوى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل الإنساني، فلجأوا إلى التأويل، كما لجأت المعتزلة من قبل، ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات المادية، وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل.. إلا من هذا القبيل.

– وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجدد هو ذاك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر.

– وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي.. محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة.. مثل عقوبة المرتد، وفريضة الجهاد، والحدود، وغير ذلك. فضلاً عن موضوع الحجاب، وتعدد الزوجات، والطلاق، والإرث.. الخ.

وطلب أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله.. وتحكيم العقل في هذه المواضيع، ومن الواضح أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر.

ومن دعاة الفكر الاعتزالي في العصر الحديث زعماء وأدباء ومفكرون ومصلحون وعلماء أضيفت عليهم ألقاب وأعطيت لهم رتب، وألقيت عليهم أضواء، وأفسح لهم المجال للكتابة والخطابة، للظهور واللمعان، فحاربوا شرع الله باسم الإصلاح، والتجديد والتنوير، وأدخلوا المسلمين في معارك كانوا أغنى الناس عنها، وجعلوا الدين شيعًا

وأحزابًا، وأجملنا القول في تلك القضية لأننا لا ندري من نكتب ومن نترك!!!

هذا ويتضح مما سبق أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون، وكانت هذه الحركة نوع من ردة الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقالاته العقائدية والفكرية بنفس الأفكار والمناهج الوافدة، وذلك دفاعًا عن الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه، ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيهًا لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين.

ومن الواضح أيضًا أن أتباع المعتزلة الجدد وقعوا فيما وقع فيه أسلافهم، وذلك أن ما يعرضون الآن من اجتهادات، وإنما الهدف منها أن يظهر الإسلام بالمظهر المقبول عند أتباع الحضارة الغربية والدفاع عن نظامه العام قولاً بأنه إن لم يكن أحسن من معطيات الحضارة الغربية، فهو ليس بأقل منها.

ولذا فلابد أن يتعلم الخلف من أخطاء سلفهم، ويعلموا أن عزة الإسلام وظهوره على الدين كله هي في تميز منهجه وتفرد شريعته واعتباره المرجع الذي تقاس عليه الفلسفات والحضارات في الإطار الذي يمثله الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح في شمولهما وكمالهما[1].

(١) الموسوعة الميسرة ج١ ص (٧٦: ٧٩) بتصرف.

خلاصة الوحدة الرابعة

- المعتزلة اسم أطلق على جماعة من المسلمين لهم أفكار خاصة خالفوا بها منهج أهل السنة والجماعة.

- وأطلق عليهم هذا الاسم حينما اعتزل شيخهم "واصل بن عطاء" شيخه "الحسن البصري" رحمه الله حين أفتى في حكم مرتكب الكبيرة بأنه في مترلة بين المترلتين، والمعتزلة في الأسماء والصفات (معطلة)، وفي القدر (قدرية).

- قامت المعتزلة على الأصول الخمسة المتفق عليها بينهم:

١- التوحيد. ٢- العدل. ٣- القول بالمترلة بين المترلتين.

٤- وجوب الوعد والوعيد. ٥- وجوب العلم والنظر.

- وفرعت المعتلة على هذا القول بوجوب الأمر بالعروف والنهي عن المنكر، والخروج على الإمام الجائر، وقتاله والقول بخلق القرآن الكريم، وأفعال العباد من خلق العباد، والقول بالصلاح والأصلح، ووجوب إرسال الرسل، ووجوب العوض، والقول باللطف، وبالمترلة بين المترلتين.

- وأهم فرق المعتزةل: الواصلية- الهذيلية- النظامية- الجاحظية وهناك فرق أخرى مثل: الخابطية- الحديثة- البشرية- المعمرية- المروادية- الثمامية- الهشامية- الخياطية- الكعبية- الجبائية، البهشمية.

- أهم أعلام المعتزلة: واصل بن عطاء- عمرو بن عبيد- أبو الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام- الجاحظ (عمرو بن بحر)- معمر بن عباد السلمي- بشر بن المعتمد- ثمامة بن الأشرس- أحمد ابن خابط- الفضل الحدثي- عيسى بن صبيح- هشام بن عمرو الفوطي- أبو

الحسين بن عمرو الخياط- أبو محمد بن عبد الوهاب الجبائي.

- المنهج الاعتزالي قدم العقل على الشرع، وتأثر بالجهمية والقدرية، وتفرقت به السبل، وضل الطريق، وأخذوا بالفلسفات اليونانية وغيرها.

- الجذور الفكرية والعقائدية للفكر الاعتزالي ترجع إلى أفكار غير إسلامية، ولها أصول يهودية، وفلسفية، ونصرانية، وفارسية مجوسية وغير ذلك في آرائهم المختلفة.

- هذا والفكر الاعتزالي القديم تحول إلى مدرسة عقلانية في العصر الحديث باسم العقلانية، أو التنوير، أو التجديد، أو التحرر الفكري أو التطور، أو المعاصرة، أو التيار الديني المستنير، أو اليسار الإسلامي.

وأخيرًا: أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على المعتزلة - قديمًا وحديثًا

- الملل والنحل للشهرستاني.
- الفرق بين الفرق للبغدادي.
- مقالات الإسلاميين للأشعري.
- الإبانة عن أصول الديانة للأشعري.
- القاضي عبد الجبار الهمداني د/ عبد الكريم عثمان.
- ابن تيمية للشيخ محمد أبي زهرة.
- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام بن تيمية.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- عقائد السلف د/ علي سامي النشار.
- المعتزلة بين القديم والحديث محمد العبده، وطارق عبد الحليم.
- الدعوة إلى التجديد في منهج النقد عصام البشير.
- غزو من الداخل جمال سلطان.
- المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة د/ ناصر العقل- العدد الثالث سنة ١٤٠٠هـ من مجلة كلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

اختبار الوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- يطلق اسم المعتزلة على جماعة من المفكرين المسلمين ظهرت في أواخر القرن الثاني الهجري. ( )

٢- يرى المعتزلة أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، كما يثبتون قدرة للعبد بها يوجد فعله. ( )

٣- لم ينف المعتزلة الصفات القديمة لله تعالى وأثبتوا زيادتها على الذات الإلهية. ( )

٤- القول بالصفات القديمة يؤدي إلى القول بآلهة كثيرة. ( )

٥- مذهب المعتزلة في أفعال العباد يلتقي مع قول القدرية "لا قدر والأمر أنف". ( )

٦- تقول المعتزلة إذا كان لشخص أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح، جاز في حق الله أن يترك الصلاح ويفعل الأصلح. ( )

٧- يرى المعتزلة أن إرسال الرسل من الواجبات على الله تعالى. ( )

٨- يقول المعتزلة بقول أهل السنة في اللطف من أنه تفضل من الله وليس وجوبًا. ( )

٩- ذهب المعتزلة إلى أن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح يجب معرفتهما بالشرع. ( )

١٠- تأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات. ( )

ثانيًا أسئلة الاختيار من متعدد

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- هل اسم المعتزلة:

- للمدح .
- أم للذم.
- لا هذا ولا ذاك.

٢- ترجع الشيعة في جذورها إلى :
- سعد بن أبي وقاص.
- محمد بن الحنفية.
- واصل بن عطاء

٣- يرى المعتزلة أن مرتكب الكبيرة
- ليس مؤمنًا وليس كافرًا.
- مؤمن فلا يضر مع الإيمان معصية،
- ما ليس فيه حد من الكبائر كالصلاة والفرار يكفر به صاحبه.

٤- استدل المعتزلة في إنكارهم رؤية الله تعالى بالأبصار:
- بأن ذلك يؤدي إلى التجسيم، والجسمية تؤدي إلى التركيب، وكلاهما منفي عن الله تعالى.
- بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٠٣]
- بالأمرين معًا.

٥- في عهد مَنْ مِن الخلفاء قُتل بعض معارضي فكرة خلق القرآن
- المأمون.
- المعتصم.
- الواثق.

ثالثًا: الأسئلة التحليلية

١- من هم المعتزلة؟ وما سبب التسمية؟ ومتى كانت النشأة؟

٢- ما هي الأصول الخمسة عند المعتزلة؟

٣- اذكر أهم فرق المعتزلة، وأهم أعلامهم؟

٤- قالت المعتزلة بخلق القرآن وأنه حادث. بماذا ترد عليهم؟

٥- ما هو موقف المعتزلة من أفعال العباد، ناقش في ضوء ما درست.

٦- ما المقصود باللطف والأعواض عند المعتزلة.

٧- اكتب بحثًا حول الجذور الفكرية والعقائدية للفكر الاعتزالي، مع الرد على الفكر الاعتزالي الحديث.

الوحدة الخامسة

الجبرية

الوحدة الخامسة: الجبرية

الأهداف التعليمية

يرجى منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- توضح معنى الجبرية.

٢- تشرح أصولها العقدية.

٣- تعدد مبادئ الجبرية.

٤- ترد على أهم مبادئها.

٥- تحدد أصناف الجبرية وفرقها.

٦- تذكر أعلام المذهب الجبري.

الوحدة الخامسة

الجبرية

- معنى الجبرية
- أصولها العقدية
- مبادئ الجبرية
- الرد على ما ذهب إليه الجبرية
- أصناف الجبرية
- فرق الجبرية
- أعلام الجبرية
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الخامسة: الجبرية

أولاً: معنى الجبرية:

الجبرية: ضد الاختيار وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية فرقة من الفرق المنسوبة إلى الإسلام، وقد نسبت إلا الجبر فقيل "جبرية" بسبب ما ذهبت إليه من آراء وما اعتنقت من عقائد.

وفرقة الجبرية تدين بعقائد كثيرة، ولها بدع وضلالات وفيرة، ولكنها نسبت إلى الجبر، وهو قولها: إن العبد مجبر في فعله، ليس له حرية ولا إرادة ولا اختيار، ولا قدرة له على فعل ما، وأن الله -تعالى- هو فاعل أفعال العباد.

فنُسبوا لهذه المقالة لأنها أشنع ما ذهبوا إليه، ولأن الضلال والزيغ فيها أوضح، ولأن المذاهب في أفعال العباد لها شهرتها وطنينها.

ثانياً: أصولها العقدية :

والقول بالجبر ليس وليد هذه الفرقة الضالة، وليست هي أول من ضل به، أو ضل فيه، فإن القول بالجبر اشتهر عن بعض أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى، حتى إن أول القائلين به في الإسلام وهو "الجعد بن درهم" قد تلقى هذه المقالة عن يهودي بالشام فاعتنقها ثم نشرها بين الناس بالبصرة، وقد سمعها عنه "الجهم بن صفوان" فصار من أكبر دعاتها، فاليهود قالوا بها، والنصارى كذلك.

وكذلك قال بها المشركون على عهد سيدنا رسول الله ﷺ، ولقد حكي القرآن المجيد مقالتهم هذه في أكثر من موضع من الكتاب العزيز، قال الله- سبحانه وتعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن

شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. فالمشركون يشركون بالله- سبحانه- ويحلون ويحرمون كما يشتهون، ثم يحتجون بالقدر زاعمين أنهم مجبرون على ما يفعلون من إثم وشرك، وأن ما يفعلونه إنما هو مشيئة الله- تعالى- فيهم.

فالقول بالجبرية قال به أهل الأديان السابقة، وكذلك قال به المشركون، ثم انتقل إلى البيئة الإسلامية، ولم يكن "الجعد بن درهم" أول القائلين به في الإسلام، فقد سبق الجعد إلى القول بالجبر بعض الناس على عهد "عمر بن الخطاب" و"عثمان ابن عفان"- رضي الله عنهما- ولكنا اعتبرنا "الجعد بن درهم" أول القائلين بالجبر، من حيث إنه أول من نظم القول به، ومهد له، ودعا إليه، ومن ثم جعل منه مذهبًا له مبادؤه وله أتباعه. ونحن لا نعتبر كل مقالة يقول بها فرد مذهبًا، أو نعد ذلك الفرد الذي قال بها فرقة من الفرق، إلا إذا كانت تلك المقالة لها دعاة، وللدعاة أتباع، وقد وضع أصحاب تلك المقالة لمقالتهم تلك قواعد ومبادئ تميز ما ذهبوا إليه عما ذهب إليه الآخرون، حينئذ تكون مقالتهم مذهبًا، ويكون القائلون بها فرقة. لذلك فنحن قد سمعنا القول بالجبر من بعض أفراد، ولم نعد ذلك مذهبًا[1].

إذًا هذه الفرقة كانت بدايتها على يد رجل يسمى "الجعد بن درهم" أخذ هذه المقالة الضالة وتتلمذ فيها على يد يهودي اسمه "طالوت بن أعصم" ثم نشر "الجعد" هذه المقالة في البصرة حيث اتبعه فيها أناس، ثم جاء تلميذه الأشهر "الجهم بن صفوان" فأخذ المذهب عن "الجعد"، وزاد فيه أمورًا، سنذكرها إن شاء الله في

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٦٥: ٦٨ بتصرف.

المبادئ، وقد اجتهد هذان الشقيقان في نشر المذهب الضال حتى قتلهم ولاة المسلمين "حدًا"(١).

ثالثًا: مبادئ الجبرية

للجبرية مبادئ كثيرة، سنشير- فيما يلي- إلى أهمها:

أولاً: وأهم هذه المبادئ وأشهرها عند القوم، وأجمعها لطوائف المذهب، إنما هو مبدؤهم الخاص بأفعال العباد، وأن العباد في أفعالهم مجبرون، وكل ما يصدر عنه إنما يصدر عنه اضطرارًا، فليس له إرادة أو قدرة أو اختيار.

فهو- كما يقولون- كالريشة المعلقة في الهواء يسيرها الهواء حيث يشاء، فكذلك العبد هو في يد القدر يسيره حيث يشاء، فجميع أفعال العباد اضطرارية، والله تعالى أوجد الفعل في العباد كما أوجده في الجمادات والنبات، وإذا نسبت الأفعال إلى العبد فإنما تنسب إليه مجازًا باعتبار المحل ولا تنسب إليه حقيقة. كما تنتسب الأفعال إلى النبات والجمادات، فقولنا: صلى فلان وصام، أو قتل وزنى، مثل قولنا: نبت الزرع، وأثمرت الشجرة، وسقط الحجر، كلها إسنادات مجازية من باب إسناد الشيء إلى محله.

وقالوا: إن التكليف جبر، والحساب جبر، والثواب جبر، والعقاب جبر، والعبد لا صلة له بهذه كلها سوى أنه محل لها، والفاعل والمريد هو الله- سبحانه عما يقولون-.

وقد صور شاعرهم تكليف الله- تعالى- العبد وهو مجبر لا اختيار له بقوله:

(١) المرجع السابق ص ٦٩، ٧٠ بتصرف.

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء[1]

يقول "الشهرستاني" مصورًا مذهب القوم: "ومنها قوله- يعني الجهم بن صفوان شيخ الجبرية- في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله- تعالى- الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت، إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر، قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا"[2]. غير أن الإمام الأشعري يقول: "إن "الجهم" يرى أن الله خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا بذلك، كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولونًا كان به متلونًا" وهو بهذا يقرب من مذهب المعتزلة[3].

ثانيًا: القول بأن القرآن حادث مخلوق، كما زعمت المعتزلة أيضًا.

ثالثًا: نفي الصفات الأزلية عن الله- سبحانه وتعالى- مشابهين المعتزلة في ذلك أيضًا.

رابعًا: لا يصفون الباري- تعالى- بصفة يوصف بها الخلق، لأن ذلك يقتضي تشبيه الله- تعالى- بالمخلوقين ولذلك نفوا وصف الله- تعالى- بأنه حي، عالم، سميع، بصير، غني، حكيم، رحيم، نفوا هذه الصفات عن الله تعالى، وما يماثلها مما

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٧٠، ٧١ بتصرف.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٧.

(٣) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١٧٦ بتصرف، ومحاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص ١٨.

يوصف به الخلق. فهم يثبتون لله- تعالى- الصفات بشرطين:

١- ألا تكون أزلية، ومن ثم فهم يصفون الله تعالى بالصفات الحادثة.

٢- ألا تكون من جنس ما يوصف به العباد.

فالعباد يوصفون بأنهم أحياء علماء، يسمعون ويبصرون، فهذه الصفات لا يجوز وصف الله تعالى بها عند الجبرية، لأن فيها تشبيهًا لله- سبحانه- بالمخلوقين.

ويرى أن "جهم بن صفوان" كان يخرج بأتباعه فيقف بهم على المجذومين، ويقول لهم: "انظروا، أرحم الراحمين يفعل هذا؟" ينكر رحمة الله تعالى، كما هو إنكار لحكمته سبحانه.

خامسًا: نفي رؤية المؤمنين ربهم- سبحانه- في الآخرة.

سادسًا: أن حركات أهل الخلدين- الجنة والنار- تنقطع، وأن الجنة والنار تفنيان بعد أن يتنعم أهل الجنة، ويتعذب أهل النار المدة التي قدرها الله- تعالى-، وقد استدلوا على فناء الجنة والنار، وفناء النعيم والجحيم بقوله تعالى: في أهل الجنة والنار: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨] فقد حمل الخلود في الآية الكريمة على المبالغة والتأكيد، أو على طول المدة، واستشهدوا على فناء الخلدين بأن الآية التي معنا اشتملت على شرط ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ واشتملت على استثناء ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ والخلود الدائم الذي لا ينقطع لا شرط فيه ولا استثناء.

ويستدل على ذلك بأنه تعالى حيث كان أولاً ولا شيء معه، فيجب أن يكون آخرًا ولا شيء معه.

سابعًا: أن الإيمان يتحقق بمجرد المعرفة، حتى ولو لم يقر اللسان، أو جحد اللسان، فمن عرف بقبله فهو مؤمن، حتى لو أنكر وكفر بلسانه، وعلى هذا يلزم القول بأن كفار مكة مؤمنون، لأنهم يعرفون صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر عن ربه، ولكنهم يكذبون بألسنتهم عنادًا واستكبارًا، قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤] فالقرآن أخبر أن المشركين كانوا يعرفون صدق رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا يكذبونه بألسنتهم، وحسب مبادئ الجبرية فهؤلاء المشركون مؤمنون، لأنهم حصلوا المعرفة وجحدوا بألسنتهم، وهذه مخالفة منهم لصريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

والإيمان- في نظره- لا يتبعض، بمعنى أنه لا ينقسم إلى عقيدة وقول وعمل، ولا يتفاضل الناس فيه.

ثامنًا: أن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع، إذ أن العقل يمكنه معرفة الخير والشر ويدركهما، ويمكنه أن يصل إلى معرفة ما وراء الطبيعة والبعث.

تاسعًا: ينكر "جهم" أن يكون الله تعالى على العرش، أو أن له كرسيًا، أو أن يكون في السماء دون الأرض، بل الله- في نظره- في كل مكان(١).

عاشرًا: ينسب إلى "جهم" إنكاره أو تأويله: للميزان، والصراط، وملك الموت، وعذاب القبر، ومنكر ونكير، والشفاعة، ينكر ما اقتصر وروده على

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٧٢، ٧٣ بتصرف، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٧، ٨٨، التنبيه والرد للملطي ص٩٧، ٩٨.

الحديث، ويؤول ما ورد ذكره في القرآن الكريم.!!!

ولكن هذا المذهب لم يستمر طويلاً، بل كتب الله له الفناء والانتهاء، وذلك لأنه مذهب لا يسير مع العقل، ولا يتفق مع الوارد في النقل[1]، فهو لم يتمسك بالنصوص الشرعية فيسلم بما ورد فيها من صفات الله تعالى، وإنما نفاها خوفًا من مشابهة الله لخلقه، ونفى كثيرًا مما ورد في أحوال الآخرة من الصراط والميزان والشفاعة وغيرها، لمخالفتها للعقل في نظره، ولم يساير العقل، ولم يمش على مقتضاه، فيثبت حرية العبد واختياره في تصرفاته، حتى يمكن محاسبته، ومجازاته على أفعاله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وإنما يذهب إلى أن العبد مجبور على الفعل وغير مختار فيه، فكيف يحاسبه الله تعالى على فعله؟

ولنا تعليق ورأي- كوجهة نظر- يبين عدم فناء هذا المذهب كما ذكر الشيخ، ولكن هناك آثار متبقية لهذا المذهب في كثير من المبادئ والآراء التي تبناها، ومن ذلك:

- وجود فكرة الجبر عند كثير من الناس يبررون بها أخطاءهم وتقصيرهم، ويقولون: قضاء وقدر!! أو المكتوب على الجبين، لابد وأن تراه العين!!، أو حتى يريد الله تعالى الهداية لنا، وما أشبه ذلك.

- ضلال كثير من الناس في مفهوم الصفات، أو تعطيلها على نحو ما ذهبت إليه الجبرية والمعتزلة، والزعم بأن الله تعالى في كل مكان، ونفي استواء الله تعالى على عرشه، ونفي العلو عنه- سبحانه.

---

(١)محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص١٩، والتنبيه والرد للملطي ص١٠٦ بتصرف، نقلاً عن: نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١٧٩.

- وجود طبقة مثقفة تقدم العقل على النص، وتؤول في كتاب الله تعالى، وتنكر السنة، فمنهم من أنكر الشفاعة، ومن أنكر عذاب القبر، ومن تأول الميزان والصراط على نحو ما ذهبت إليه الجبرية، ومن نحا نحوها.!!.. إلخ.

رابعًا: الرد على ما ذهب إليه الجبرية

للجبرية أدلة يستدلون بها على صحة مبادئهم التي قالوا بها، ونبدأ بأدلتهم على عقيدتهم في أفعال العباد، وأن العباد مجبرون في أفعالهم، ولهم على هذا المبدأ أدلة نقلية وأدلة عقلية.

أما الأدلة النقلية، فقد استدلوا بالآيات الدالة على عموم الخلق، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] وبالآيات الدالة على إثبات الإرادة والاختيار لله تعالى، ونفي ذلك عن العباد، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨] وقوله سبحانه ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الإنسان: ٣٠] واستدلوا كذلك بالآيات التي تسند الهداية والإضلال إلى الله- سبحانه- ومنها قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وأما الأدلة العقلية، فلا نكاد نجد لهم دليلاً يستحق الذكر، وأشهر دليل لديهم قولهم: إن فعل العبد إما أن يكون مقدورًا لله وحده، أو للعبد وحده، أو لله وللعبد، أو لا لله ولا للعبد، والرابع باطل لاستحالة وجود فعل بلا فاعل، والثالث باطل لما يلزم عليه من اجتماع قدرتين على مقدور واحد، أو فاعلين على فعل واحد، وهو محال، والثاني باطل لتضافر النقل والعقل على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله- سبحانه- وهو

باطل أيضًا لما يترتب عليه من إخراج بعض الأشياء عن قدرة الله تعالى، مع أن الله تعالى على كل شيء قدير. وإذا بطل الرابع، والثالث، والثاني، لم يبق إلا الأول، فيثبت أن الفاعل لأفعال العباد هو الله- سبحانه- وليس للعباد فيها قليل ولا كثير.

وبهذا يثبت أنه ليس للعبد تأثير في فعل ما، فيكون مضطرًا في جميع أفعاله.

تقويم المذهب:

ما من شك في أن هذا المذهب فاسد، وفساده ظاهر لا يحتاج إلى بيان، لأنه ينقض الدين من قواعده ويقوض الأخلاق ويزري بالسلوك والآداب، ونحن نشير إلى جملة من ضلالاته:

١- فالمذهب يؤدي إلى أنه لا معنى للتكليف وإرسال الرسل، والجزاء مثوبة وعقوبة، فكل ذلك لا فائدة منه، ولا حكمة وراءه، وبناء على المذهب يكون التكليف عبثًا، وكذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب والتشريعات، ثم البعث والحساب.

كل هذه الأمور الجوهرية في الدين، أو هي الدين في جملته وتفصيله يقرر المذهب أنها عبث لا حكمة وراءها، ولا فائدة فيها ولا معنى لها.

والمذهب بهذا: مكذب بالقرآن والسنة، معارض لإجماع الأمة. فالقرآن والسنة وإجماع الأمة كلها تقرر أن الدين حق، وأن الله تعالى حكيم في كل أفعاله، لا يفعل شيئًا عبثًا ولا لهوًا، ولا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

٢- اتفاق العقلاء- بداهة- على أن أفعال الإنسان تنقسم إلى أفعال اضطرارية وأخرى اختيارية، وهذا ما يحسه ويشعر به كل إنسان من أنه في أفعاله الاختيارية يستطيع أن يفعل الشيء أو يتركه، فالقدرة على الفعل والترك دليل الاختيار وحرية الإرادة.

٣- ما هو مقرر لدى جميع العقلاء من أن هناك فرقًا بين أفعال الإنسان الاختيارية وأفعال البهائم، والنباتات، وكذا الجمادات.

٤- القرآن الكريم والسنة النبوية يقرران حرية الإنسان في كل أفعاله الاختيارية وبالذات في قضايا الأفعال التي تمس الدين، ويكون عليها الجزاء مثوبة أو عقوبة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩] ويقول عز وجل: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ [النجم: ٣٩: ٤١].

ويقول ﷺ: "**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**" [(١)] أ. هـ[(٢)].

وأما نفيهم الصفات الأزلية عن الله تعالى، أو كل صفة يوصف بها الخلق، وقولهم بخلق القرآن ونفي رؤية المؤمنين ربهم سبحانه في الآخرة، فقد سبق الرد على ذلك عند الكلام عن المعتزلة، وكذلك قولهم بأن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع.

وأما الزعم بأن حركات أهل الخلدين تنقطع، وأن الجنة والنار تفنيان، فهذا أمر مردود ومرفوض لأن الجنة والنار خالدتان وباقيتان بإبقاء الله تعالى لهما، وكل ما ورد في القرآن والسنة يدل على ذلك. كما يدل على خلود أهلهما فيهما أبدا، فأهل الجنة خالدون فيها أبدًا، كما دل على ذلك القرآن، وأهل النار- باستثناء عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار بما بقي معهم من إيمان، كما دلت على ذلك السنة الصحيحة- هم كذلك خالدون فيها أبدًا، وأما ما جاء في الآيتين هنا بتعليق الخلود

(١) متفق عليه.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٧٣: ٧٧ بتصرف.

على دوام السماوات والأرض، والمشيئة كذلك، فهذا يحتاج إلى فهم صحيح، فإن قوله تعالى ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فمعناه ليست هذه السماوات، ولا تلك الأرض، وإلا فإنهما سيفنيان قبل يوم القيامة، يوم تنفطر السماوات، وتزلزل الأرض، وكذلك كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وأيضًا ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فليس المعنى إذًا هو هذه السماوات والأرض التي نعهدها في الدنيا، بل هناك سماوات غير السماوات، وأرض غير الأرض، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهذه السماوات والأرض تبقى وتدوم، ثم قول ربنا عز وجل ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ هو تعبير قرآني يناسب لغة العرب، الذين يعبرون عن ديمومة لاشيء بدوام السماوات فخاطبهم القرآن بلغتهم، كما أن معناها أيضًا: ما دامت السماوات سماوات، والأرض أرضًا، كما قيل: للك جنة سماء وأرض، فهي دائمة بدوام سمائها وأرضها.

وأما قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فكل شيء يقع في الكون إنما هو بمحض مشيئته وإرادته ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولا يجبر على شيء-سبحانه وتعالى.

ولذلك قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧] فهو على وجهه، لأن مشيئة الله تعالى اقتضت ألا يخلد في النار من

مات على التوحيد، فهم المستثنون من الخلود في النار، وهذا واضح.

وأما قوله ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ... ﴾ [هود: ١٠٨] أي خلود أهل الجنة في الجنة بمشيئة الله تعالى، لا بإجبار ولا إرغام، ولا بقهر أو إلزام، وإنما هي مشيئة الملك العلام، اقتضت خلودهم في الجنة بلا انقطاع أو انتهاء، ولذلك قال ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي غير مقطوع ولا منتهي، فدلت تلك الجملة على تأكد الخلود في الجنة. والله أعلم(١).

خامسًا: أصناف الجبرية:

والجبرية أصناف– كما يقول الشهرستاني–:

فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

والجبرية المتوسطة: هي التي لا تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً.

فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل، وسمي ذلك كسبًا، فليس بجبري. والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثرًا في الإبداع والإحداث استقلالاً: جبريًا، ويلزمهم أن يسموا من قال من أصحابهم بأن المتولدات أفعال لا فاعل لها جبريًا، إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثرًا.

والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية، وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية، والأشعرية سموهم تارة حشوية، وتارة جبرية.

ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من النجارية فعددناهم من الجبرية، ولم نسمع إقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية(٢).

---

(١) آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين د/ عمر عبد العزيز ج١ ص٢٣٦: ٢٣٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٨٥، ٨٦.

سادسًا: فرق الجبرية

١- الجهمية:

أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء: منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبيهًا، فنفى كونه حيًا عالمًا، وأثبت كونه: قادرًا، فاعلاً، خالقًا، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل، والخلق.

ومنها إثباته علومًا حادثة للباري تعالى لا في محل، قال: لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه، لأنه لو علم ثم خلق، أفيبقى علمه على ما كان أم لم يبق؟ فإن بقي فهو جهل، فإن العلم بأنه سيوجد، غير العلم بأن قد وجد، وإن لم يبق فقد تغير، والمتغير مخلوق ليس بقديم.

ووافق في هذا المذهب هشام بن الحكم كما تقرر. قال: وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو: إما أن يحدث في ذاته تعالى، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته، وأن يكون محلاً للحوادث، وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفًا به، لا الباري تعالى، فتعين أنه لا محل له، فأثبت علومًا حادثة بعدد الموجودات المعلومة.

ومنها قوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار[1].

ومنها قوله: إن حركات أهل الخلدين تنقطع، والجنة والنار تفنيان. إلى آخر ما ذكرناه عن مبادئ الفرقة تحت عنوان "مبادئ الجبرية".

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٨٥، ٨٦.

٣- النجارية:

أصحاب الحسين بن محمد النجار، وأكثر معتزلة الري وما حولها على مذهبه، وهم وإن اختلفوا أصنافًا إلا أنهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها أصولاً، وهم: برغوثية، زعفرانية، ومستدركة، ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم، والقدرة، والإرادة والحياة والسمع والبصر، ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال.

قال النجار: الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه. فأُلزم عموم التعلق، فالتزم. وقال: هو مريد الخير والشر والنفع والضر، وقال أيضًا معنى كونه مريدا أنه غير منتكره ولا مغلوب وقال هو خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، والعبد مكتسب لها، وأثبت تأثيرًا للقدرة الحادثة، وسمي ذلك كسبًا على حسب ما يثبته الأشعري ووافقه أيضا في أن الاستطاعة مع الفعل.

وأما في مسألة الرؤية فأنكر رؤية الله تعالى بالأبصار وأحالها، غير أنه قال: يجوز أن يحول الله تعالى القوة التي في القلب من المعرفة إلى العين، فيعرف الله تعالى بها فيكون ذلك رؤية، وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة بأشياء منها:

قوله: إن كلام الباري تعالى إذا قرئ فهو عرض، وإذا كتب فهو جسم، ومن العجب أن الزعفرانية، قالت كلام الله غيره، وكل ما هو غيره فهو مخلوق، ومع ذلك قالت: كل من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، ولعلهم أرادوا بذلك الاختلاف، وإلا فالتناقض ظاهر، والمستدركة منهم زعموا أن كلامه غيره، وهو مخلوق لكن النبي ﷺ قال: "**كلام الله غير مخلوق**" والسلف عن آخرهم أجمعوا على هذه العبارة، فوافقناهم،وحملنا قولهم غير مخلوق، أي على هذا الترتيب والنظم من الحروف والأصوات، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها، وهذه حكاية عنها.

وحكى الكعبي عن النجار أنه قال: الباري تعالى بكل مكان ذاتًا، ووجودًا لا معنى العلم والقدرة، وألزمه محالات على ذلك.

وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة، إنه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال.

وقال في الإيمان إنه عبارة عن التصديق، ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك، ويجب أن يخرج من النار، فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار في الخلود.

ومحمد بن عيسى الملقب ببرغوث، وبشر بن غياث المريس، والحسين النجار متقاربون في المذهب، وكلهم أثبتوا كونه تعالى مريدًا لم يزل لكل ما علم أنه سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وعامة المعتزلة يأبون ذلك[1].

٣- الضرارية:

أصحاب ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، واتفقا في التعطيل، وعلى أنهما قالا: الباري تعالى عالم قادر، على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وأثبتا لله سبحانه ماهيته لا يعلمها إلا هو، وقالا: إن هذه المقالة محكية عن أبي حنيفة رحمه الله، وجماعة من أصحابه، وأرادا بذلك أنه يعلم نفسه شهادة، لا بدليل ولا خبر، ونحن نعلمه بدليل وخبر.

وأثبتا حاسة سادسة للإنسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة.

وقالا: أفعال العباد مخلوق للباري تعالى حقيقة، والعبد مكتسبها حقيقة، وجوزا حصول فعل بين فاعلين، وقالا: يجوز أن يقلب الله تعالى الأعراض أجسامًا، والاستطاعة والعجز بعض الجسم، وهو جسم ولا محالة، بنفي زمانين.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٨: ٩٠.

وقالا: الحجة بعد رسول الله ﷺ في الإجماع فقط، فما ينقل عنه في أحكام الدين من طريق أخبار الآحاد فغير مقبول، ويحكي عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود، وحرف أبي بن كعب، ويقطع بأن الله تعالى لم يترله.

وقال في المفكر قبل ورود السمع إنه لا يجب عليه بعقله شيء حتى يأتيه الرسول ﷺ فيأمره وينهاه، ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل، وزعم ضرار أيضًا أن الإمامة تصلح في غير قريش، حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي، إذ هو أقل عددًا، وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة.

والمعتزلة وإن جوزوا الإمامة في غير قريش، إلا أنهم لا يجوزون تقديم النبطي على القرشي(١).

٤- البكرية:

أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد.

ظهر في أيام واصل بن عطاء، كما يقول البغدادي، وكان قد ذهب إلى ما ذهب إليه النظام من بعد، في دعواه أن الإنسان هو الروح دون الجسد.

ولم يكن يجوز أن يحدث الله في جماد شيئًا من الحياة.

كما ذهب إلى ما ذهبت إليه أهل السنة من إبطال القول بالتولد، وكان يزعم أن الله إذا طبع على قلب إنسان لم يكن مخلصًا أبدًا، وأنه مع ذلك مأمور بالإخلاص، وأن الطبع الحائل بينه وبين الإخلاص عقوبة له، وأنه مأمور بالإيمان مع الطبع الحائل.

وكان يزعم أن الله يرى يوم القيامة في صورة يخلقها، ويكلم عباده من تلك

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٩٠، ٩١.

الصورة. وكان يذهب إلى أن الله هو المخترع للألم عند الضربة، ويجوز أن يحدث الضربة، ولا يحدث الله ألمًا.

وكان يذهب إلى أن مرتكب الكبيرة- من أهل القبلة- منافق، مكذب لله جاحد له، مخلد في الدرك الأسفل من النار، إن مات مصرًا، وأن الإصرار على الصغائر من الكبائر.

وذهب إلى أن عليًا وطلحة والزبير كفروا وأشركوا- عياذًا بك اللهم- بقتالهم، لكنهم كان مغفورًا لهم لما في الحديث عن أهل بدر أنه "**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**"(١) أ.هـ(٢).

سابعًا: أعلام المذهب الجبري:

١- "الجعد بن درهم": نشأ "الجعد" في دمشق، وقيل إنه كان من خراسان وأنه كان من موالي بني مروان وكانت له شخصية قوية، ولذلك اختير لأن يكون مؤدبًا ومربيًا "لمروان بن محمد" أحد أمراء بني أمية وآخر خلفائهم، وقد كان من قوة الشخصية بحيث طبع "مروان بن محمد" بطباعه، حتى لقب مروان "بمروان الجعدي"، ويذكر "ابن تيمية" أن ما أصاب "مروان بن محمد" من مصائب ونكبات وانقراض حكم بني أمية على يديه، إنما كان بسبب انتسابه للجعد بن درهم المعطل.

كان "الجعد بن درهم" يقطن دمشق، وأخذ ينشر فيها آراءه التي منها أن العبد لا اختيار له في الفعل، وأنه مجبور عليه، وأن الله تعالى هو الخالق لفعل العبد، والعبد

---

(١) متفق عليه.

(٢) المقالات للأشعري ج١ ص٣١٨، والفرق بين الفرق للبغدادي ص٢١ نقلا عن/ نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم حسن فرغلي ص ١٨٢.

كالريشة المعلقة في الهواء تحركها الريح كيف تشاء.

ومن آرائه أنه ذهب إلى نفي الصفات عن الله تعالى، فكان يقول: ما كلم الله موسى تكليمًا، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وأنه أظهر القول بخلق القرآن، وهذا القول قد أوغر صدور الأمويين عليه فطلبوه، فهرب من دمشق، وذهب إلى الكوفة وعاش بها، فلقيه الجهم بن صفوان، وأخذ عنه هذا القول.

وهناك في مدينة "الكوفة" أخذ ينشر رأيه الذي آمن به، وهو نفي الصفات عن الله تعالى، والقول بالجبر وعدم قدرة العبد على الفعل، ولكن والي الكوفة في ذلك الوقت "خالد بن عبد الله القسري" تلقى الأمر من خليفة المؤمنين "هشام بن عبد الملك" بقتل الجعد، فحبسه "خالد" ولم يقتله، فجاءه كتاب آخر من "هشام بن عبد الملك" يؤكد فيه طلبه الأول بأن يقتله، وصادق ذلك أن جاء هذا الكتاب في أيام "عيد الأضحى" فلما صلى "خالد" العيد، قام فخطب الناس ثم قال في نهاية خطبته "انصرفوا وضحوا بضحاياكم، تقبل الله منا ومنكم، فإني اليوم أريد أن أضحي بالجعد بن درهم، فإنه يقول: ما كلم الله موسى تكليمًا، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا، ثم نزل وحز رأسه بالسكين في أصل المنبر.

وبهذا يكون "الجعد" هو أول من نفى الصفات عن الله تعالى، وعنه انتشرت مقالة الجهمية، قال الذهبي في المغني: الجعد بن درهم ضال مضل، زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً.

ويذكر ابن تيمية في الرسالة الحموية نصًا يقول فيه: أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وإن كان سمع أصلها في عصر التابعين، وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، فنسبت إليه.

ويذكر أيضًا أن أول من أظهر النفي للصفات والأفعال هو الجعد بن درهم

معلم مروان بن محمد. قال الإمام أحمد- وكان يقال أنه من أهل خراسان، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات.

والجعد بهذا أول من نادى بالتعطيل، والتعطيل اصطلاح خاص وضعه السلف وصمًا للمعتزلة ومن رأى رأيهم، ومعناه: إنكار الصفات القديمة القائمة بالذات، فالجعد من نفاة الصفات، وقد أداه القول بنفي الصفات عن الله تعالى إلى القول بخلق القرآن، ومعنى ذلك أنه ينكر كلام الله تعالى القديم(١).

٢- جهم بن صفوان: أما "جهم بن صوفان" فقد ولد في فارس، وظهرت بدعته في "ترمز" وقتله "سالم بن أحوز" المازيني "بمرو" في آخر حكم بني أمية سنة ١٢٨هـ، فقد نشأ في سمرقند بخراسان، ثم قضي فترة من حياته الأولى في "ترمذ"، ويبدو أنه دخل الكوفة، وهناك التقى بالجعد بن درهم، وأخذ عنه مذهبه، وهو منهج التأويل وعدم الاهتمام بعلم الحديث، يقول ابن حجر عنه "وما علمته روى شيئًا، ولكنه زرع شرًا عظيمًا" ثم رجع إلى ترمذ، وأخذ ينشر آراءه ويذيعها، وكان صاحب نظر وذكاء وفكر وجدال.

مذهبه: يتلخص مذهب "جهم" إجمالاً في أنه كان يقول بالجبر، وينفي الاختيار عن العبد، كما كان يقول بنفي الصفات.

ومذهب "جهم" هذا يعتبر رد فعل لمذهبين ظهرت بذورهما في الدولة الإسلامية حينذاك:

أحدهما: مذهب الاختيار، الذي كان يدعوا إليه "غيلان الدمشقي" فقال "جهم" بالجبر.

---

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية د/ عوض الله حجازي ص١٢: ١٤ بتصرف.

ثانيهما: إثبات "مقاتل بن سليمان" للصفات الإلهية إثباتًا يجعله في عداد المشبهة فقال "جهم" بنفي الصفات.

ويروى عن "أبي حنيفة" أنه قال: "أفرط "جهم" في التشبيه، حتى قال: إنه- تعالى- ليس بشيء، وأفرط "مقاتل" في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه".

وكما جادل جهم المشبه والقدرية جادل كذلك "السمنية" أتباع أحد المذاهب الهندية، روى الإمام "أحمد" أن "جهم" لقي بعض "السمنية" فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فوافق على ذلك، فقالوا له: ألست تزعم أن لك إلهًا؟ قال: بلى، فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا، فقالوا له: هل سمعت كلامه؟ قال: لا، فقالوا له: هل شممت له رائحة؟ قال: لا، هل وجدت له حسًا؟ قال: لا، فقالوا: هل وجدت له مجسًا؟ قال: لا، فقالوا له: فما يدريك أنه إله؟ فقال لهم الجهم: ألستم تزعمون أن فيكم روحًا؟ قالوا: بلى، فقال لهم: هل رأيتم روحكم؟ قالوا: لا، فقال لهم: أسمعتم كلامها؟ قالوا: لا، قال: فهل وجدتم لها حسًا أو مجسًا؟ قالوا: لا، قال: فكذلك الله. لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان(١).

(١) محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص ١٤: ١٦.

خلاصة الوحدة الخامسة

- الجبرية فرقة تدين بعقائد كثيرة أولها بدع وضلالات وفيرة، ولكنها نسبت إلى الجبر، وهو قولها: إن العبد مجبر في فعله، ليس له حرية ولا إرادة ولا اختيار، ولا قدرة له على فعل ما، وأن الله- تعالى- هو فاعل أفعال العباد.

- أصولها العقدية: أخذ القول بالجبر عن بعض أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى، وأول القائلين به في الإسلام "الجعد بن درهم" تلقى هذا عن يهودي بالشام كما قال بها المشركون على عهد رسول الله ﷺ، وحكاها القرآن عنهم.

- مبادئ الجبرية: أهمها القول بأفعال العباد الجبرية، وأن التكليف جبر، والحساب جبر، والثواب جبر، والعقاب جبر، والعبد لا صلة له بهذه كلها سوى أنه محل لها، والفاعل والمريد هو الله سبحانه وتعالى عما يقولن.

والقول بأن القرآن حادث مخلوق- كما قالت المعتزلة- والقول بنفي الصفات الأزلية عن الله.

ولا يصفون الله تعالى بصفة يوصف بها الخلق، ونفي رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأن حركات أهل الجنة والنار تنقطع، وأن الجنة والنار تفنيان.

وأن الإيمان يتحقق بمجرد المعرفة، ولا يقر باللسان، وأن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع.

وإنكار أن الله على العرش، ونفي الكرسي، وتأويل الميزان والصراط، وإنكار عذب القبر ونعيمه،والشفاعة وغير ذلك.

وهو مذهب مضطرب في آرائه وقواعده، وباطل في عقائده وأصوله.

- أصناف الجبرية: الجبرية الخالصة- الجبرية المتوسطة.

- فرق الجبرية: الجهمية- النجارية- البكرية- الضرارية.

اختبار الوحدة الخامسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- الجبر هو نسبة الفعل إلى العبد بتأثير رب العالمين. ( )

٢- تقول الجبرية بأن القرآن حادث مخلوق كالمعتزلة. ( )

٣- تثبت الجبرية لله تعالى الصفات الحادثة، لذا فهم لا ينفون رؤية المؤمنين ربهم في الجنة. ( )

٤- لا يعترض كثير من الجبرية على تقسيم أفعال العباد إلى اضطرارية واختيارية. ( )

٥- ينفي القرآن الأبدية عن أهل الخلدين بالشرط والاستثناء. ( )

ثانياً أسئلة الاختيار من متعدد

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- الإنسان:

- مسير.
- مخير.
- مسير ومخير في نفس الوقت.

٢- كان أول القائلين بالجبر في الإسلام:

- الجعد بن درهم.
- جهم بن صفوان.
- الحسين بن محمد النجار.

٣- يذهب الجبرية في نفي الصفات الأزلية مذهب:

- الأشاعرة.

- الماتريدية.

- المعتزلة

٤- تثبت الجبرية الصفات لله تعالى بشرطين:

أولهما: ألا تكون أزلية، والثاني:

- أن تكون من جنس ما يوصف به العباد.

- ألا تكون من جنس ما يوصف به العباد.

- لا هذا ولا ذاك.

٥- هل القدر :

- ملزم.

- يمنع من الأسباب.

- أم هو علم الله تعالى الانكشافي.

ثالثًا الأسئلة التحليلية

١- من هم الجبرية، وما هي أصولهم العقدية؟

٢- اذكر مبادئ الجبرية مع الرد عليها.

٣- اذكر أصناف الجبرية، وأهم فرقها، وأعلامها.

٤- اكتب بحثًا في الرد على الجبرية، وبيان بطلان المذهب، وما يترتب عليه من آثار سيئة على العالم عند الأخذ به.

الوحدة السادسة

القدرية

الوحدة السادسة: القدرية

الأهداف التعليمية

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تعرف القدر وتوضح اختلاف الناس حوله.

٢- تبين سبب تسمية الفرقة بالقدرية.

٣- تتحدث عن نشأة الفرقة.

٤- تناقش أدلة القدرية.

٥- ترد على القدرية.

الوحدة السادسة

القدرية

- مدخل يشتمل على تعريف القدر واختلاف الناس حوله
- وجه التسمية
- نشأة الفرقة
- أدلة القدرية
- الرد على القدرية
- بين القدرية والمعتزلة
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة السادسة القدرية

أولاً: مدخل يشتمل على تعريف القدر، واختلاف الناس حوله:

من العقائد الإيمانية في الإسلام والتي لا يتحقق الإيمان إلا بها "الإيمان بالقدر" والإيمان بالقدر يعني: الإيمان بأن الله- سبحانه وتعالى- قد علم كل شيء، وقدر كل شيء قبل أن يخلق شيئًا، فكل شيء حدث ويحدث وسوف يحدث في هذا الوجود في الأرض والسماوات وما بينهما، كل ذلك علمه الله- تعالى- وقدره أزلاً، ثم خلق الله السماوات والأرض وما بينهما على مقتضى ما علم وقدر أزلاً، وكل ما يقع فيهما إنما يقع مطابقًا لما علم الله- تعالى- وقدر أزلا.

يقول الله- تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ويقول عز وجل: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

هذا هو معنى القدر، وهذه منزلة الإيمان به في الدين، ولكن الحديث عن القدر- بعيدًا عن المنهج الصحيح- كثيرًا ما يثير الخلاف والشقاق، أو مؤديًا إلى الهلاك والضلال، ومن هنا ضلت القدرية كما ضلت الجبرية في مفهوم القدر. حيث صعب على أناس التوفيق بين قدر الله تعالى السابق في العباد أو على العباد، وبين مسئولية العباد عن أعمالهم من جانب آخر، وكانت تثار المشكلة على هذا النحو:

كيف يحاسب الله- تعالى- الإنسان على عمل قدره الله عليه أزلاً؟ أو: إذا كان الله- سبحانه- قد قدر على العبد عمله من خير وشر، وكان قدر الله في العبد نافذًا، فكيف يحاسبه الله على هذا العمل؟ وعلى أي أساس يكون الجزاء مثوبة أو

عقوبة؟

وبسبب هذه المشكلة نشأت فرق كثيرة، وحتى الفرق التي لم تنشأ بسبب القدر مباشرة، كان للقدر حظ كبير بين مبادئها، ففرقة أثبتت القدر ونفت مسئولية العبد عن عمله، كفرقة "الجبرية"، وفرقة أخرى نفت القدر وأثبتت مسئولية الفرد عن عمله، وذلك كفرقة "القدرية" وبين هاتين الفرقتين فرق كثيرة تميل هذه هنا، وتميل الأخرى هناك. وهذا بسب البحث في القدر، أو بمعنى أدق بسبب الفهم الخاطئ للقدر، والبحث في القدر ليس مشكلة في الإسلام فقط، بل هو من أمهات المشاكل أيضًا في اليهودية والنصرانية، والأديان كلها بصورة عامة، وكما بينا ليس القدر هو السبب في اختلاف الناس حوله وضلالهم فيه، ولكن السبب يتمثل في فهمهم الخاطئ لقدر الله تعالى في عباده، ذلك الفهم الذي جعل فريقًا يفهم القدر بما يتوافق مع هواه وما يشتهي، ولأن الناس لا يتفقون في فهم القدر، ولأن البحث فيه يؤدي إلى اختلافهم وتفرقهم، فقد نهى رسول الله ﷺ عن البحث في القدر، وحذر منه، وهدد الناس بأن البحث في القدر أهلك من قبلهم، وقد يهلكهم بسبب ضلالهم فيه، روى الترمذي بسنده إلى رسول الله ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: "**أبهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم من قبلكم**"(١) ولكن الأمة لم تأخذ بنهي رسول الله ﷺ، وبحث فرقاء منها في القدر، فكان حظهم الاختلاف، ثم التفرق والتحزب(٢).

وكما حدث للأمم السابقة حدث لأمة محمد ﷺ على ما أخبر- عليه الصلاة

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية ص٤٢: ٤٤ بتصرف.

والسلام- حيث قال: **"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموهم"**[1].

فخاض المسلمون في القدر، وكانت البذرة في عصر الخلفاء الراشدين، إذ احتج أناس لمعاصيهم بالقدر. ومثاله الرجل الذي سرق على عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" ﷺ ولما سأله عمر: لم سرقت؟ قال الرجل: قدر الله علي، فقطع الخليفة يده، حد السرقة، وجلده لبدعته في القدر. ومن هنا استمر الغلو في القدر من أمثال ذلك الرجل حتى صار اتجاهًا ومذهبًا، قامت عليه فرقة "الجبرية" التي ادعت أن العبد مجبر في كل شيء ولا اختيار له في شيء من فعله، وأن جميع أفعال العباد اضطرارية، وأن العبد ليس له إرادة ولا قدرة على فعل شيء، وأنه كالريشة في مهب الريح يحركها القدر حيث شاء، وأن فاعل أفعال العباد هو الله- تعالى الله عما يقولون- على نحو ما بينا في الكلام عن "الجبرية".

وكان لابد لهذا الاتجاه الجبري الضال من رد فعل قوي، فنشأ عن القول بالجبر وبسببه اتجاه مضاد تمامًا ذهب أصحابه إلى أن العبد ليس مجبرًا فيما يصدر عنه من أفعال كما زعمت الجبرية، بل العبد حر في أفعاله، ليس هذا فحسب، وإنما غلت هذه الفرقة أيضًا، وجاء غلوها في الاتجاه المضاد للجبرية، فإذا كانت الجبرية قد غلت فنفت إرادة العبد وقدرته على فعله، وأثبتت فقط إرادة الله تعالى وقدرته، فإن الفرقة الجديدة "القدرية" قد غلت أيضًا فنفت إرادة الله- تعالى- وقدرته على فعل العبد، وأن يكون لله- تعالى- أدنى تأثير على فعل العبد، وأثبتت للعبد حرية وإرادة وقدرة على فعله مستقلة تمامًا عن إرادة الله- سبحانه- وقدرته.

---

(١) رواه البخاري.

لم يقف "القدرية" عند هذا الحد، ولكنهم غلوا وضلوا حتى نفوا "القدر" أي علم الله الأزلي بالأشياء قبل وقوعها، وتقديره تعالى إياها، فقد روي أن "معبد بن خالد الجهني" رأس هذه الطائفة سمع رجلاً يعلل معصيته بأن الله- تعالى- قدرها عليه، فقال "معبد" قولته الشهيرة" "لا قدر والأمر أنف" يعني بذلك أن الله- سبحانه- لم يعلم الأشياء أزلاً، و لم يقدرها و لم يردها، وإنما يعلم الله الأشياء بعد وقوعها مثل علمنا نحن بها ولا فرق، فقوله: "لا قدر" ينفي قدر الله وعلمه بالأشياء قبل وقوعها، وقوله "والأمر أنف" يقصد أن الأشياء يستأنف العلم بها، ويستأنف تقديرها، أي أن علم الله بالأشياء وتقديره إياها إنما هو مستأنف بعد وقوعها وليس في الأزل، وبهذا نفى علم الله وإرادته- سبحانه وتعالى عما يصفون-[1].

ثانيًا: وجه التسمية:

إذا كان هؤلاء قد أقاموا نحلتهم هذه على نفي قدر الله الأزلي وعلمه- سبحانه- فكيف أطلق عليهم اسم "القدرية"، إنهم نفاة القدر فكيف ينسبون إليه ويتسمون باسمه وهم كافرون به؟!

قال بعض المؤرخين للفرق: إن تسميتهم "قدرية" مأخوذة من قولتهم الشهيرة "لا قدر" فسموا قدرية نسبة إلى هذه الكلمة.

وقال بعض المؤرخين: إنهم سموا "قدرية" بالنظر إلى العبد، وليس بالنظر إلى الله- سبحانه- فإنهم قد نفوا القدر عن الله- تعالى- وأثبتوه للعبد، فجعلوا قدرة العبد هي المرجع في أفعاله، فسموا لذلك "قدرية" نسبة إلى إثباتهم قدرة العبد، وليس نسبة إلى نفيهم قدر الله- سبحانه وتعالى-.

(١) المرجع السابق ص٨١، ٨٢ بتصرف.

وذهب البعض إلى أن هذه تسمية بالضد، تهكمًا وسخرية بهم، وفي اللغة تسمى الأشياء بأضدادها أحيانًا، فلا مانع من أن يكون أعداؤهم أطلقوا عليهم هذه التسمية تهكمًا بهم وسخرية.

وقال البعض: إن أعداءهم أطلقوا عليهم هذه التسمية ليصدق فيهم حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "**القدرية مجوس هذه الأمة**"(١)، وقد شبهوا بالمجوس، لما أن المجوس يثبتون للوجود فاعلين، فاعلاً للخير، لا يفعل الشر ولا صلة له به، وفاعلاً للشر، ومن عقائدهم أن للوجود إلهين: إلهًا للخير أو النور، وإلهًا للشر أو الظلمة، وكذلك "القدرية" لأنهم يثبتون أفعالاً للعبد لا صلة لله- تعالى- بها، لم يعلمها ولم يردها ولم يقدرها، وإنما ذلك للعبد، فكأنهم شابهوا المجوس في إثباتهم فاعلين ومؤثرين في الوجود: الله- سبحانه-، والعبد(٢).

ثالثًا: نشأة الفرقة:

يذكر المؤرخون أن أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق، كان نصرانيًا ثم أسلم، ثم ارتد وتنصر، وقد أخذ عن هذا الرجل ضلالته في القدر رجلان يدعي أحدهما "معبد الجهني" والثاني "غيلان الدمشقي" ويبدو أن "معبد الجهني" كان أسبق إلى هذه الضلالة من صاحبه "غيلان" ويبدو كذلك أنه كان أشهر من صاحبه وأكثر نشاطًا في الدعوة إلى ذلك المذهب الفاسد.

وقد ورد في الترمذي "حديث صحيح يسند هذه الفرية إلى "معبد الجهني" فقد

---

(١) الحديث ليس صحيحًا، وبعض العلماء ذكروا له شواهد، واستشهدوا به في الباب، حيث إن معناه صحيح.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٢، ٨٣.

روى بسنده عن يحيى بن يعمر قال: "أول من تكلم في القدر معبد الجهني، قال: فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة، فقلنا: لو لقينا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما أحدث هؤلاء القوم، قال: فلقيناه- يعني عبد الله بن عمر- وهو خارج من المسجد، قال: فاكتنفته أنا وصاحبي، قال: فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن إن قومًا يقرأون القرآن، ويتقفرون العلم- أي يطلبون غامضه، أو يتقعرون- أي يطلبون قعره ويتتبعونه- ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف- أي مبتدأ من غير تقدير سابق، لم يعلم الله به إلا بعد وقوعه- قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برءاء، والذي يحلف به عبد الله لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبًا ما قبل ذلك منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.. ثم ساق الحديث المعروف بحديث جبريل عليه السلام.

فنحن نرى أن "معبد الجهني" هو الذي تولى كبر هذا الضلال، ومعه صاحبه في الضلال "غيلان الدمشقي"، فأما "معبد" فقد تولى الدعوة إلى المذهب في العراق، ويكاد يجمع المؤرخون على أن أول ظهور هذه النحلة كان في "البصرة" بالعراق.. والعراق في ذلك الوقت- وفي كل وقت- ميدان للفتن وتناحر الآراء وانتشار البدع. وأما "غيلان" فقد تولى الدعوة للمذهب في "دمشق".

أما "معبد" فقد انضم لبعض من خرجوا على الحجاج الثقفي، فحاربهم الحجاج وهزمهم وقتل منهم الكثير، وكان "معبد" ضمن من قتل على يد الحجاج.

وأما "غيلان" فقد استمر يدعو إلى ضلالته هذه في الشام، ويروى أنه كان بينه وبين الخليفة الخامس "عمر بن عبد العزيز" اتصالات ومناظرات، وأنه قد رجع عن ضلالته، وأعلن توبته عنها، ثم عاد بعد وفاة "عمر" يدعو إلى نحلته ثانية، حتى انتشرت الفرية في فارس وخراسان، قد خشي "هشام بن عبد الملك"- الذي جاء بعد عمر بن

عبد العزيز- على الدولة من هذه الفتنة، فأمر "هشام" بضرب عنق "غيلان" وأراح الله الأمة من رأس الضلال هذا، كما أراحها قبلاً من صاحبه "معبد الجهني"[(1)].

رابعًا: أدلة القدرية:

للقدرية على صحة مذهبهم أدلة عقلية ونقلية:

أما الأدلة العقلية، فتقوم كلها على أن مسئولية العبد عن عمله تقتضي أن يكون هو الفاعل للفعل، وأن يكون هو الذي أراده واختاره وفعله، فلو تدخلت في الفعل إرادة الله أو قدرته، أو أن الله- تعالى- هو الذي قدر الفعل على العبد، فإن العبد في هذه الحالة لا يكون مسئولاً عن فعله، وتسقط بالتالي قضية الحساب، والجزاء والجنة والنار، لأنه- كما يقولون- كيف يحاسب العبد على فعل قدره الله- تعالى- عليه، وأراده له، ومكنه منه؟ ويقولون: إن الله- تعالى- إذا قدر المعصية على العبد- وقدره لابد واقع- فكيف يحاسبه على هذه المعصية؟

وأما أدلتهم النقلية، فتقوم على النصوص القرآنية التي تسند الفعل إلى العبد وحده، ثم تجعله محاسبًا عليه، فيقولون: إن الله- تعالى- قد أضاف العمل إلى العباد بأنواع الإضافات عامة وخاصة، فقد أضاف الله- تعالى- الأفعال إلى العباد تارة بالاستطاعة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء: ٢٥] وتارة بالإرادة، قال تعالى على لسان العبد الصالح: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩] وتارة بالمشيئة، قال سبحانه: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] فهذه الآيات كلها تثبت

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٣: ٨٦ بتصرف، محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية ص٧: ١١ بتصرف.

للعبد الاستطاعة، والإرادة والمشيئة.

كما أن الأفعال الأخرى مثل القتل والسرقة، وأيضًا الشرور كلها تعرف -بداهة- أن إضافتها إلى العبد أمر لا مفر منه، إذ من المحال إضافتها إلى الله عز وجل[1].

فقالوا: كيف يفعل الله القبيح وهو ينهى عنه ويحرمه، وهذا هو أساس شبهتهم التي بنوا عليها مذهبهم في كون الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ولم يقدرها لهم وعليهم، وإنما العبد وحده هو الخالق لأفعاله.

وبذا لزمهم أن العبد ما دام يستقل بخلق أفعاله فقد أصبح ربًا يخلق ما أراد أن يخلق من الأفعال، وبطل بذلك التوحيد الذي هو أصل الدين وأساسه، ومن هنا سمو بمجوس هذه الأمة، لتعدد الخالقين بحسب مذهبهم في أن الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعلمه، لا بمقتضى قدرة الله وعلمه[2].

خامسًا: الرد على القدرية:

عرفنا أن المذهب يقوم على إنكار القدر، ويقرر المذهب أن الله تعالى لم يعلم الأشياء قبل وقوعها أزلاً، وبالتالي لم يردها، وأن علمه بالأحداث والأشياء هو مثل علومنا نحن، فكما أننا لا نعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وقبل وقوعها نحن نجهلها، وكذلك يقولون بالنسبة لله- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا- وهذا معنى عبارتهم "والأمر أنف" أي أن الله تعالى يأتي علمه بالأشياء بعد وقوعها.

وإذن فهؤلاء الذين ابتدعوا هذه المذهب الفاسد، وكذلك الذين اتبعوهم، كل هؤلاء كافرون بالقدر، لأن الإيمان بالقدر يعني: أن نؤمن بأن الله تعالى علم وأراد

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٦، ٨٧.

(٢) حقيقة الإيمان ص ٣٧٨، ٣٧٩ بتصرف.

وقدر كل شيء قبل أن يخلق شيئًا، وأن الأشياء تأتي في هذا الوجود على حسب ما علم الله- سبحانه- أزلاً، وأنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد الله- تعالى- وإذًا فيكون علم الله تعالى وإرادته وقدره علة في وجود الأشياء وسببًا لها، وليس العكس كما يزعم هؤلاء الضالون من أصحاب هذا المذهب، فهم يجعلون علم الله- تعالى- معلولاً للأشياء وتابعًا لها.

يبقى بعد ذلك سؤال: ما حكم من يكفر بالقدر؟

وقد علم أن الكافر بالقدر أو منكره هو كافر بأصل من أصول الدين، وهو منكر لما علم من الدين بالضرورة، ثم إنه كافر بالكتاب والسنة، وخارج على إجماع الأمة.

والدليل على ذلك من القرآن الكريم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨] وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

وأما السنة فقد بين النبي ﷺ مترلة القدر من الإيمان، وذلك في الحديث المتفق عليه المتواتر وفيه "**قال ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**"(١) فمن كفر بالقدر فقد كفر بالإيمان ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وقد بين ﷺ أن علم الله بالأشياء كان أزلاً، حيث قدره وكتبه قبل أن يخلق شيئًا، وقد قال ﷺ: "**إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر**

---

(١) متفق عليه.

يكتب أربع كلمات: رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد"[1] فهذه الأحاديث- وغيرها في معناها كثير- توضح أن الله- تعالى- قد علم وقدر وكتب عنده كل شيء يحدث في الوجود، قبل أن يخلق شيئًا منه.

وقد أجمعت الأمة على ما ورد في الكتاب والسنة من أن الإيمان لا يتحقق لعبد إلا إذا آمن بأن الله سبحانه قد قدر كل شيء في الأزل، وأن كل شيء يقع إنما هو مسجل عند الله ومسطر في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

ومما تقدم يتضح أن منكر القدر كافر خارج عن ملة الإسلام- عياذًا بك اللهم[2].

إن الإيمان بالقدر يعني إيمان بعلم الله القديم، وبمشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، وأن الله تعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، على صفات مخصوصة، فهي تقع حسب ما قدرها.

فالقدر هو علم الله تعالى الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق، وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ، كما هو حين يقضي بوجوده في كميته وكيفيته، وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه، ومقدماته ونتائجه، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن إبانة ولا يتقدم عما حدد له من زمان، ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان، ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال، وذلك لسعة علم الله تعالى، وعظيم قدرته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولربطه تعالى الوجود كله بقانون السنن الذي يحكم كل أجزاء الكون علوية وسفلية على حد سواء، وأن القدر نوعان: مسلم به أو مبرم، وقدر مختلف عليه، أو معلق. فالأول: مرتبط بنظام الكون وسننه، والثاني: مرتبط بأفعال العباد.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية ص٨٧: ٩١ بتصرف.

وأن مراتب القدر أربعة: العلم، والكتابة، والمشيئة, والخلق.

وحيث ضل القدرية في مفهوم القدر فجفوا، وضل الجبرية كذلك فغلوا، نجد أن الله تعالى وفق أهل السنة والجماعة وهداهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فسلكوا مسلكًا وسطًا، بعيدًا عن الغلو والتسيب، والإفراط والتفريط، لقد هدى الله السلف الصالح لمعرفة الحق والصراط المستقيم، ووفقهم الله تعالى للتوفيق بين كون الإنسان فاعلاً لأفعاله، مريدًا لها، مختارًا فيها، مهيأ للثواب عليها إن كانت خيرًا، وللعقاب عليها إن كانت شرًا، وبين كون الله تعالى هو خالقه وخالق أفعاله خيرها وشرها، مع اعتقاد عدل الله وتنزيهه عن الظلم.

وقد قام هذا المذهب على الدليل الشرعي من القرآن والسنة، مع الفهم الصحيح للنصوص، حيث آمن هؤلاء الموفقون بالقضاء والقدر، والعدل والإرادة، والمشيئة، والحكمة، ولم يصعب عليهم- كما صعب على غيرهم- التوفيق بين كون فعل العبد قد قدره الله تعالى، وكتبه عليه وسبق به علمه قبل التقدير والقضاء، وبين كون العبد فاعلاً لفعله، مريدًا له مختارًا في فعله وفي تركه، يحاسب به، ويجزى عليه، ولا بين كون الله يقضي للعبد ما شاء من قضاء، ثم يأمره وينهاه ويجزيه حسب عمله الذي قدر له، وكتبه له أو عليه.

فقالوا: إن الله تعالى لما قدر ما للعبد وما عليه من خير أو شر، وسعادة أو شقاء، قد قدره مربوطًا بأسبابه، فللخير أسبابه، وللشر أسبابه، كما قدر أن العبد يأتي تلك الأسباب ويعمل بها بمحض إرادته التي قدرها له، وحرية اختياره الذي قضى له به فلا يصل العبد إلى ما كتب عليه وقدر له من سعادة أو شقاء إلا بواسطة

تلك الأسباب التي يفعلها غير مكره عليها، ولا مجبورًا على فعلها[1].

فإن الإنسان يعرف الفرق بين ما يقع اختيارًا، وبين ما يقع منه اضطرارًا، والإنسان يترل من السطح على السلم نزولاً اختياريًا فيعرف أنه مختار، أو يسقط هاويًا من السطح فيعرف أنه ليس مختارًا في ذلك. ويعرف الفرق بين الفعلين، وأن الثاني إجبار، والأول اختيار، وكل إنسان يعرف ذلك.

وهكذا جميع ما يقع من العبد يعرف فيه الفرق بين ما يقع اختيارًا، وبين ما يقع اضطرارًا وإجبارًا، بل إن من رحمة الله عز وجل أن من الأفعال ما هو اختيار العبد ولكن لا يلحقه منه شيء كما في فعل الناسي والنائم والمكره، لا اختيار له ولا يؤاخذ بفعله[2].

ولكن قد يشكل على الإنسان كيف يصح أن نقول في فعلنا وقولنا الاختياري إنه مخلوق لله عز وجل؟ وذلك لأنهما ناتجان عن القدرة والإرادة التي خلقها الله، وجعل الإنسان قابلاً للإرادة، وخلق فيه القدرة، فالله هو الذي خلق السبب التام الذي يتولد عنه المسبب، فهو خالق الأثر والمؤثر، حيث إن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين، الإرادة والقدرة، ولولاهما لم يفعل، وبهذا ندرك كيف أن الله خالق لفعل العبد، وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة، فهو المتطهر وهو المصلي، وهو المزكي.. وهو العاصي وهو المطيع.

هذا وقد علم أن الإنسان ما بين التسيير والتخيير، فهو مسير فيما لا دخل له فيه مثل ولادته وموته، ولونه، وحركته، وإحساسه، ونموه، ونحو ذلك، أي ما فيه من جمادية ونباتية وحيوانية. ولكنه مخير بما أودع الله فيه من عقل فكرمه به على

(١) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٤٠٣: ٤٣٢ بتصرف.

(٢) القضاء والقدر لابن عثيمين ص ٩٢٨ بتصرف.

سائر المخلوقات الأرضية، ولذلك هو يختار أكله وشربه ولبسه، وتعليمه، وسفره، وكذا يختار عمله ومعتقده.

وعلم الله تعالى قد سبق بذلك، ولا يجبر العبد على فعل، لأنه علم انكشاف، لا علم إجبار، ولو أجبره لكان مجبولاً على الطاعة كالملائكة، أو مسخرًا كالحيوانات، ولكنه منحه نعمة العقل التي هي مناط التكليف، وعن طريقها يختار، وحسب اختياره يكون الجزاء، وكل ذلك في علم الله من الأزل، ومن هنا كان القضاء والقدر لا يتنافى مع عدل الله تعالى، كما أنه لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب، لأن الأسباب هي أيضًا من قدر الله تعالى، ولذلك يحتج بالقدر في المصائب، ولا يحتج به في الذنوب والمعائب، كما أن الهداية والضلالة قد ارتبطا بأسبابهما، وكل مطلق في الآيات مقيد بغيره، فالهداية لمن أناب، والضلال للظالمين والفاسقين والكافرين.

هذا ومشيئة الرب- سبحانه- لا تحول دون مشيئة العبد ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]. كما ينبغي التفرقة بين الأمر الكوني والأمر الشرعي، وبين الحسنة الكونية والحسنة الشرعية، والسيئة الكونية والسيئة الشرعية، ومعرفة الحكمة في القضاء والقدر، مع اعتقاد وجوبه، وأنه ركن الإيمان السادس والأخير(١).

سادسًا: بين القدرية والمعتزلة:

يرى كثير من المؤرخين للفرق أن المعتزلة هم القدرية، أو هم والقدرية سواء أو هم القدرية الثانية، كما يطلق بعض المؤرخين هذه التسمية عليهم.

وقد جرى الخلط بين القدرية والمعتزلة إلى حد أن بعض المؤرخين للفرق لا

---

(١) راجع بتوسع كتاب: حقيقة الإيمان ج٢ ص٣٧١: ٤٢٨.

يعني بالحديث عن فرقة القدرية، اكتفاء بالكلام على المعتزلة، باعتبار أن المعتزلة هم القدرية، وكذا فعل الشهرستاني.

ونرى من جانبنا أن ذلك خطأ، لما بينهما من فروق، وإن كان بينهما عموم وخصوص.

فالعموم هو أن كلا منها قد ضل في عقيدة القضاء والقدر، وكذا في أمور أخرى، وأما الخصوص، فالمعتزلة قد آمنوا بالقدر، وأما القدرية فقد كفروا به، وذلك حين قرر المعتزلة أن العبد حر في أفعاله، وأنه هو فاعل أفعاله وخالقها دون تدخل من قدرة الله تعالى، في فعله، حين قرروا ذلك، فإنهم أقروا بأن العبد يفعل أفعاله بالقدرة التي أودعها الله فيه، ولولا تلك القدرة التي أودعها الله- تعالى- في العباد ما استطاع العباد أن يفعلوا شيئًا، وإذا انتزع الله تعالى تلك القدرة من العبد فإنه يعجز عن إتمام فعله، أو القيام به أصلاً.

أما القدرية فينكرون تلك القدرة التي يمنحها الله تعالى للعبد، ويقررون أن العبد يقوم بفعلة منفصلاً تمامًا عن الله عز وجل، الذي لا يدري عن فعل العبد شيئًا إلا بعد وقوعه.

وهذا يقرر لنا الفرق بين القدرية والمعتزلة، ويبقى بينهما عموم وخصوص، أو هم القدرية الثانية، أو يقال عنهم قدرية مع ذكر قيود تمنع الخلط بينهما[1].

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٩٣، ٩٤ بتصرف، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١٦٧: ١٧٤ بتصرف.

خلاصة الوحدة السادسة

- القدرية نحلة قامت على نفي قدر الله الأزلي وعلمه- سبحانه- فهم نفاة القدر، والقائلون: "لا قدر والأمر أنف".

- أخذ أصل المذهب عن رجل نصراني من أهل العراق، ثم أخذها عنه "معبد الجهني" و"غيلان الدمشقي".

- زعمت القدرية أن إثبات القدر ظلم، يجب رفعه، والرد على هذا الزعم بأن القدر علم وليس إجبارًا، وأنه مشيئة وليست قهرًا، ومشيئة الله تعالى لا تمنع مشيئة العبد وأخذه بالأسباب.

- القدرية فكرة منبثقة عن المعتزلة كفرقة كبيرة.

اختبار الوحدة السادسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- يعني الإيمان بالقدر الإيمان بأن الله قد علم كل شيء وقدر كل شيء قبل أن يخلق شيئًا. ( )

٢- تقول القدرية أن علم الله تعالى بالأشياء وتقديره إياها مستأنف بعد وقوعها وليس في الأزل. ( )

٣- صح في السنة النبوية قوله ﷺ: "القدرية مجوس هذه الأمة". ( )

٤- دل قوله تعالى ﴿ فأردت أن أعيبها﴾ على عدم تدخل إرادة الله في أفعال العباد. ( )

٥- حذت القدرية حذو المعتزلة في الكفر بالقدر. ( )

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- بدأت البذور الأولى للخوض في القدر في عصر:

- الصحابة. - التابعين. - تابعي التابعين.

٢- سمي القدريون بهذا الاسم لأنهم:

- نفاته. - مثبتوه. - واضعوا ضوابط النظر فيه.

- أي الفرق التالية تسمى بالقدرية الثانية:

- الخوارج. - الجبرية. - المعتزلة.

ثالثًا: الأسئلة التحليلية

- اذكر آراء العلماء في وجه تسمية القدرية بهذا الاسم.
- اكتب مذكرة مختصرة في نشأة القدرية وأشهر دعاتها.
- كيف تناقش وترد أدلة القدرية العقلية والنقلية في قضية القدر.
- ما مدى صحة الخلط الحادث من بعض المؤرخين من جعلهم المعتزلة هم القدرية.

الوحدة السابعة

المرجئة

الوحدة السابعة: المرجئة

الأهداف التعليمية

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تعرف المرجئة وتوجه تسميتها.

٢- تذكر الجذور التاريخية.

٣- تحدد مبادئ المرجئة.

٤- تعدد فرق المرجئة.

الوحدة السابعة

المرجئة

- التعريف والتسمية
- الجذور التاريخية للإرجاء
- مبادئ المرجئة
- فرق المرجئة
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة السابعة: المرجئة

أولاً: التعريف والتسمية:

قال الشهرستاني في الملل والنحل:

الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان.

وقيل الإرجاء: تأخير علي ﷺ عن الدرجة الأولى إلى الرابعة، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان.

والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة ومحمد بن شبيب، والصالحي، والخالدي من مرجئة القدرية، وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي، أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء، ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة منهم[1].

ثانياً: الجذور التاريخية للإرجاء

مع ذكر التدرج التاريخي، والتطور العقدي:

يقول الدكتور/ محمود محمد مزروعة: يطلق هذا الاسم "المرجئة" ويراد به

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٣٩.

نوعين من الفرق أو الطوائف:

الطائفة الأولى: جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ تأثرت بالأحداث السياسية- أي التي تتصل بالخلافة والإمامة- التي وقعت في أواخر عهد الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ فقد شغب الغوغاء عليه ﷺ وانتشرت الفتنة في كثير من الإمارات الإسلامية، ثم ما لبث الفتنة أن انتقلت في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ من الجدال باللسان إلى الجلاد بالحسام، هذه الفتنة وما نجم عنها من الأحداث المؤسفة التي راح ضحيتها الخليفة الوقور الحيي ذو النورين عثمان ابن عفان ﷺ أدت إلى انقسام الناس إزاءها إلى طوائف أو جماعات ثلاث:

- إما جماعة، قد رأت الحق مع علي بن أبي طالب ﷺ فأدلت بدلوها معه، وسلت سيوفها تحارب في صفه، وتنصر حزبه.

- وإما جماعة، رأت الحق بجانب معاوية ﷺ فانتظمت في صفوف المحاربين معه، ضد الإمام المبشر بالجنة، زوج الزهراء، ووالد السبطين "علي بين أبي طالب" رضي الله عن الجميع.

- وأما الجماعة الثالثة، فقد تكافأت عندها الأدلة، وتساوت لديها البراهين، فلم يعرفوا وجه الحق في ظلام هذه الفتنة، هل الحق مع علي؟ أم أن الحق مع معاوية؟- رضي الله عن الجميع- ولما لم يعرفوا وجه الحق مع من، و لم يدركوا أي الفريقين على صواب، وأيهما على خطأ، اعتزلوا الفريقين، وتوقفوا عن الحكم على كل منهما، وأغمدوا سيوفهم عن كل من الطائفتين، وأرجأوا الحكم على كل من الفريقين إلى الله- سبحانه وتعالى- قائلين: نعتزل الفريقين ونرجئ أمرهما إلى الله- سبحانه-.

من ذلك أطلق كثير من المؤرخين على هذه الطائفة الثالثة اسم "المرجئة" وقد دفع هؤلاء إلى اعتزال الفتنة والابتعاد عن الفريقين المتحاربين حديث لرسول الله ﷺ

فيما صح عنه، عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فيلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، فقال رجل: يا رسول الله من لم يكن له إبل ولاغنم ولا أرض؟ فقال ﷺ يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إذا استطاع النجاة"**.

وقد كان من هذه الطائفة عدد من كبار الصحابة- رضوان الله عليهم- منهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وراوي الحديث السابق: أبو بكرة، وعمران ابن حصين ﷺ.

أما الطائفة الثانية: ممن يطلق عليهم اسم "المرجئة" فهي طائفة نشأت على أساس من الخلافات العقدية، والقضايا الكلامية، فليس السبب في نشأتها الخلافة أو الإمامة ولكنها نشأت على خلافات عقدية مثل الحكم على مرتكب الكبيرة وغير ذلك.

وهذه الطائفة هي التي نقصد إليها عند الحديث عن "المرجئة" أي هي موضوع حديثنا هنا: وهذه الفرقة قد أخذت أطوارًا.

فهي- في البداية- عرفت بهذا الاسم لأنها كانت تؤخر العمل عن العقيدة، حين تقول: إن ترك العمل لا يضر ما دامت العقيدة صحيحة، فهي تهتم بالعقيدة، وتهمل العمل أي تؤخره، أو لأنها كانت تؤخر الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة حيث ينفذ فيه الله ما يريد، إما أن يعفو عنه، أو يعاقبه على قدر معصيته، وهذا على رأي المتقدمين من هذه الفرقة، وليس على رأي المتأخرين منهم الذين أهملوا العمل تمامًا، وقالوا: "لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة". وقرروا أن مرتكب الكبيرة ناج ولا ضرر عليه، وإن ارتكب من الكبائر ما شاء، لأن العمل عندهم لا صلة له بالإيمان، وقالوا قولتهم الشهيرة الخطيرة- التي

ذكرناها آنفًا- ثم مبادئهم التي ارتبطت بقضية الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة[1].

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٩٧: ١٠٠ بتصرف.

ثالثًا: مبادئ المرجئة:

أولاً: الحكم على مرتكب الكبيرة: بدأ- كما بينا- بإرجاء حكمه إلى الله تعالى، حيث إن مرتكب الكبيرة مؤمن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فليس هو كافرًا ولا مشركًا، ولسنا نستطيع أن نفتش عن حقيقة ما في قلبه حتى نعرف إن كان صادقًا أو منافقًا، فنحن نرجئ أمره إلى الله- سبحانه- فهو الذي يعرف سرائر القلوب، وهو الذي سيحاسبهم عليها.

- وهم في هذا الحكم يتفقون مع أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، ولكن سرعان ما اندفعوا في اتجاه آخر، كان منعطفًا خطيرًا بالنسبة لآراء الفرقة وعقائدها، فقرروا أن مرتكب الكبيرة ناج ولا ضرر عليه، وإن ارتكب من الكبائر ما شاء، لأنه "لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة".

ثانيًا: أن الإيمان هو المعرفة بالله، والإقرار، وأن العمل منفصل عن الإيمان، وأن الاعتقاد وحده كاف في نجاة العبد يوم القيامة، وأن العبد مهما ارتكب من ذنوب أن اجترح من سيئات فلن يضره ذلك شيئًا، وهو ناج يوم القيامة، ومخلد في الجنة.

- وقد ذهب بعضهم إلى أن الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له، وترك الاستكبار عليه، ومحبته، كل ذلك كاف فيه أن يكون بالقلب وحده، ولا صلة له بالعمل.

- وقد زعم هؤلاء أن إبليس كان عارفًا بربه، ولكنه لعن وطرد من رحمة الله- تعالى- بسبب أنه استكبر على ربه- تعالى-، وبسبب أنه لم يحب الله- سبحانه-، ولذا فقد قالوا: إن شرط الإيمان مع المعرفة عدم الاستكبار، والمحبة لله تعالى.

- ومنهم من ذهب إلى أن الإيمان يكفي فيه الاعتقاد بالقلب فقط، ولا يلزم فيه الإقرار باللسان، بل ذهبوا إلى أنه لو نطق الكفر بلسانه و لم يعتقده لم يكن كافرًا

ولم يضره ذلك.

- ومنهم من غلا فوق ذلك، فزعم أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وليس يهم بعد ذلك شيء من الأعمال والأفعال، حتى لو عبد الأصنام، أو ثلّث وأشرك، فإن كل هذه الأفعال لا تضره، وهو ناج يوم القيامة.

هذه أهم مبادئ "المرجئة" رأينا من خلالها أن الفرقة بدأت معتدلة، ولكنها ما لبثت أن أحدثت من البدع والمكفرات ما لا يختلف حوله اثنان، ويكفي في فضح الباطل عرضه، وإن ضلالهم واضح، وفساد معتقداتهم بيِّن، بصورة تجعلنا نغض الطرف عن كلامهم، برد أو تقويم ونقد، فإن الأمر لا يحتاج، فقد اتضح لكل ذي عينين ضلال مبادئها، وانفلاتها وزيغها، وخروجها على ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع(١).

أولاً: فرق المرجئة:

وهم على الجملة: اليونسية- العبيدية- الغسانية- الثوبانية- التومنية- الصالحية.

ونلقي الضوء على كل فرقة، على جناح السرعة - بإذن الله.

١- **اليونسية**: أصحاب يونس بن عون النميري، ذهبوا إلى أن الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له، وترك الإستكبار عليه، والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصًا، واليقين صادقًا.

٢- **العبيدية**: أصحاب عبيد المكتئب، وقد ذهب بهم إلى أن ما دون الشرك مغفور لا محالة، وأن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام، واجترح من السيئات.

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص١٠١: ١٠٣ بتصرف.

٣- **الغسانية:** أصحاب غسان الكوفي، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله، والإقرار بما أنزل الله، وبما جاء به الرسول ﷺ في الجملة دون التفصيل، والإيمان لا يزيد ولا ينقص. كما أن أبا حنيفة كان يذهب إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ومن هنا ذهب قوم إلى الحكم عليه بالإرجاء، أو هو من مرجئة الفقهاء، وعند التحقيق نجد أن الخلاف بينه وبين أهل السنة لفظًا فقط.

٤- **الثوبنية:** أصحاب أبي ثوبان، زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله وبرسله، وربطوا بين الإيمان والعقل ربطًا محكمًا إذ أضافوا إلى الإيمان بما تقدم، الإيمان بما كان لا يجوز في العقل إلا أن يفعله، وأما ما كان جائزًا في العقل ألا يفعله فليس ذلك من الإيمان وهو ربط يبدو فيه علو شأن العقل.

٥- **التومنية:** أصحاب أبي معاذ التومني، زعم أن الإيمان اسم لخصال إذا تركها التارك كفر،وهذه الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والإخلاص والإقرار بما جاء به الرسول، وهذه الخصال جميعًا هي الإيمان، ولا يقال للخصلة الواحدة منها إيمان، ولو ترك خصلة واحدة كفر. وكل طاعة لم يجمع المسلمون على أن تركها كفر فتلك من شرع الإيمان، وليس من الإيمان، يقال للتارك لها فسق، ولا يقال فاسق. وهذا في أخذه العمل في الاعتبار ضمنًا يشبه ما ذهب إليه اليونسية.

٦- **الصالحية:** أصحاب صالح بن عمر الصالحي، والصالحي ومحمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والإرجاء.

ونحن وإن شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة إلا أنه لابد لنا في هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة بأشياء.

فأما الصالحي فقال: الإيمان هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق، وهو أن للعالم

صانعًا فقط.

والكفر هو الجهل به على الإطلاق، قال: وقول القائل: ثالث ثلاثة، ليس بكفر، لكنه لا يظهر إلا من كافر، وزعم أن معرفة الله تعالى هي المحبة والخضوع له، ويصح ذلك مع حجة الرسول ﷺ ويصح في العقل أن يؤمن بالله، ولا يؤمن برسوله، غير أن الرسول ﷺ قد قال: "**من لا يؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى**" وزعم أن الصلاة ليست بعبادة لله تعالى، وأنه لا عبادة له إلا الإيمان به، وهو معرفته، وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا نقص، وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص. وأما أبو شمر المرجئي القدري، فإنه زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله عز وجل، والمحبة والخضوع له بالقلب والإقرار به أنه واحد ليس كمثله شيء، ما لم تقم عليه حجة الأنبياء عليهم السلام، فإذا قامت الحجة فالإقرار بهم وتصديقهم من الإيمان والمعرفة والإقرار بما جاءوا به من عند الله غير داخل في الإيمان الأصلي، وليست كل خصلة من خصال الإيمان إيمانًا ولا بعض إيمان، فإذا اجتمعت كانت كلها إيمانًا، وشرط في خصال الإيمان معرفة العدل، يريد به القدر خيره وشره من العبد، من غير أن يضاف إلى الباري تعالى منه شيء.

وأما غيلان بن مروان من القدرية المرجئ، فإنه زعم أن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة والخضوع له، والإقرار بما جاء به الرسول، وبما جاء من عند الله، والمعرفة الأولى فطرية ضرورية، فالمعرفة على أصله نوعان: فطرية، وهي علمه بأن للعالم صانعًا، ولنفسه خالقًا، وهذه المعرفة لا تسمى إيمانًا، إنما الإيمان هو المعرفة الثانية المكتسبة.

هذا، وقد نسب إلى الإرجاء: أبو حنيفة- كما أشرت- وهو أمة وحده، وهو أستاذ متكلمي السنة، وقد ذكرنا مقاله في الإيمان.

ونسب إلى الإرجاء من أهل الحديث كثير: سفيان بن سعيد الثوري، وشريك ابن عبد الله، وابن أبي ليلى، ومحمد بن إدريس الشافعي، ومالك بن أنس.

كما نسب إليه: الحسن بن محمد بن الحنفية، وسعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، ومقاتل بن سليمان، وحماد ابن أبي سليمان، وأبو يوسف، وإبراهيم بن طهمان المحدث الصدوق، وعمرو بن مرة، ومحارب بن زياد، ودر، وعمرو بن در، ومحمد بن الحسن، وقدير بن جعفر.

وهؤلاء كلهم أئمة الحديث، لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة، ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافًا للخوارج والقدرية[1].

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١٤٠: ١٤٦ بتصرف، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية د/ يحيى هاشم فرغلي ص٢٥٨: ٢٦٠ بتصرف.

خلاصة الوحدة السابعة

– المرجئة فرقة قامت على هذا المبدأ "لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

– المرجئة أصناف: مرجئة الخوارج- مرجئة القدرية- مرجئة الجبرية- المرجئة الخالصة.

– الجذور التاريخية للإرجاء تعود إلى الخلافات التي وقعت بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما.

– مبادئ المرجئة:

١- الحكم على مرتكب الكبيرة بإرجاء حكمه، ثم الحكم بنجاته، ولا ضرر عليه.

٢- الإيمان هو المعرفة بالله، والإقرار، والعمل منفصل عن الإيمان، والاعتقاد كاف في نجاة العبد.

– أهم فرق المرجئة: اليونسية- العبيدية- الغسانية- الثوبانية- التومنية- الصالحية.

اختبار الوحدة السابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

- المرجئة والوعيدية متقابلتان في حكم صاحب الكبيرة، والمرجئة والشيعة متقابلتان في درجة علي ﷺ. (   )
- تنتسب فرقة المرجئة إلى جملة الصحابة الذين اتخذوا بعيدًا عن الخلاف بين علي ومعاوية ﷺ جميعًا. (   )
- ضلت المرجئة لأنها لم تدخل العمل في مسمى الإيمان. (   )
- يعد أبو حنيفة رحمة الله من مرجئة الفقهاء. (   )
- ذهبت المرجئة إلى التفويض في حكم مرتكب الكبيرة. (   )

ثانيًا: الأسئلة التحليلية

١- من هم المرجئة؟ وما معنى هذه التسمية، وما جذورها التاريخية؟

٢- اذكر مبادئ المرجئة، مع الرد عليها.

٣- اذكر فرق المرجئة؟ وأنواعها؟

٤- ناقش علميًا قول المرجئة: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

الوحدة الثامنة

الأشاعرة

الوحدة الثامنة: الأشاعرة

الأهداف التعليمية

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تحدد تعريف الأشاعرة.

٢- توضح من هو أبو الحسن الأشعري؟

٣- تبين منهج الإمام الأشعري

٤- تذكر أبرز أئمة المذهب الأشعري.

٥- تحدد مبادئ الدعوة.

٦- تشرح الجذور الفكرية والعقائدية.

٧- تبرز مواطن الانتشار ومواقع النفوذ.

الوحدة الثامنة

الأشاعرة

- التعريف والتسمية
- مبادئ الأشاعرة
- الأشاعرة بين الجرح والتعديل
- الانتشار ومواقع النفوذ
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الثامنة: الأشاعرة

أولاً: التعريف والتسمية

الأشاعرة: تنسب هذه الفرقة إلى "أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري "الذي يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل "أبي موسى الأشعري ﷺ، فمن هو أبو الحسن الأشعري؟

ولد أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري بالبصرة سنة ٢٦٠ للهجرة وقيل سنة ٢٧٠هـ وتوفي سنة ٣٢٤هـ، وقد تلقى علومه في مدرسة الاعتزال، وتتلمذ على يد شيخ المعتزلة في عصره "أبي علي الجبائي"، وقد ظهر ذكاؤه وبراعته وقوة عارضته في الجدل والمناظرة منذ حداثته، حتى إن شيخه الجبائي كان ينيبه عنه في كثير من مواقف الجدل والمناظرة مع خصوم المعتزلة.

وكانت البيئة التي نشأ فيها "أبو الحسن الأشعري" ذات طابع معاد للمعتزلة، وكان العداء للمعتزلة لا يختص بفئة بعينها، بل كان طابعًا عامًا، وسمة غالبة لدى جميع الفئات، سوى بعض الذين هم على خط فكري واحد مع المعتزلة من الفلاسفة ومن نحا نحوهم.

ومن المعلوم أن المعتزلة منذ عهد "المأمون" الذي اعتنق فكر المعتزلة، ووضع سلطانه وجبروته في خدمة المعتزلة، حتى إنه اعتبر الفكر الاعتزالي دينًا يجب إلزام الناس به، ومن ثم فقد كان يحمل الناس حملاً على اعتناق مبادئ المعتزلة، ويمتحنهم فيها، ويعاقب كل رافض لها من الفقهاء وأهل الحديث وسلف الأمة بالحبس والضرب والتعذيب حتى الموت، وليس بخاف ما فعله بالأئمة الأجلاء من أمثال" الإمام أحمد بن حنبل" وحينما مات "المأمون" انتقل منهجه في امتحان القوم وابتلائهم إلى خلفه "المعتصم" وذلك من خلال وصية تركها "المأمون" للمعتصم

يوصيه فيها بالتمسك برأي المعتزلة في القول بخلق القرآن، وأن يحمل الناس على ذلك بقوة السلطان، ولم تنقطع المحنة بوفاة المأمون، بل ظلت تأخذ بحجز السلف، ولما مات المعتصم انتقل الأمر إلى "الواثق بن المعتصم" الذي سار على منهج أبيه وعمه في ابتلاء الناس، حتى انتقل الأمر إلى "المتوكل" الذي نزع عن نفسه قميص الاعتزال، وأبعد المعتزلة عن السلطة وأدنى خصومهم من أهل الفقه والحديث، وحدث ما كان متوقعًا، وما هو من طبيعة الأشياء، مما يطلق عليه "رد الفعل" حيث قام ضحايا المعتزلة من أهل الفقه والحديث ورجال السلف ومن نحا نحوهم بمنازلة المعتزلة وعقد المناظرات، وتأليف الكتب ضد المعتزلة ومبادئهم، وكان الكثيرون من هؤلاء قد أتقنوا أساليب المعتزلة العقلية والفلسفية في الجدل والمناظرة، فنازلوهم بها، وتوالى سقوط المعتزلة، وسعد الناس بذلك، وبخاصة أن إغراق المعتزلة ومعهم السلطة في عهد "المأمون والمعتصم والواثق" في الظلم والعدوان على سلف الأمة قد جر جماهير المسلمين إلى جانب السلف، وملأ قلوب الناس حقدًا وكراهية على المعتزلة.

في هذا الجو المليء بالمناظرات والجدل والمعارك الكلامية والفلسفية بين المعتزلة من جانب، وسلف الأمة ومن ورائهم جماهير الأمة من جانب آخر، ولد "أبو الحسن الأشعري" وقد أمضى سني تلمذته وطلبه العلم في رحاب المعتزلة حتى برع في الكلام على طريقتهم، نبذ غيره من المعتزلة أنفسهم حتى كان شيخ المعتزلة "أبو علي الجبائي" ينيبه عنه في كثير من مواقف الجدل عن المذهب، وكأن شيخ المعتزلة كان يعد أبا الحسن ليكون خلفه على المعتزلة، ولكن الله سبحانه وتعالى كان قدر لأبي الحسن الأشعري شأنًا آخر، وإذا شاء الله أمرًا يسر له أسبابه، وكما قال الرسول ﷺ "كل ميسر لما خلقه له" فقد يسر الله لأبي الحسن الأشعري أن يخرج من بطن المعتزلة وقد كشف خباياهم، واطلع على كافة أحوالهم، ليكون حربًا عليهم، وبنفس

أسلحتهم التي طالما علموه إياها، ودربوه عليها، لقد أحس "الأشعري" نفورًا من عقائد الاعتزال، وميلاً عن المعتزلة إلى أهل الفقه والحديث وسلف الأمة، ولم يكن هذا النفور من عقائد المعتزلة وتاريخهم المخزي مع سلف الأمة، وميله إلى عقائد السلف، أمرًا طارئًا أو فجائيًا كما قد يبدو لأول وهلة، وكما يصوره بعض المؤرخين- ولكن بما إن أبا الحسن قد عاش طويلاً في كنف المعتزلة، وخبر أحوالهم، وعرف خباياهم، كان ذلك قد زرع الشك في قلب الأشعري، ولابد أن يكون شكه في عقائد المعتزلة قد بدأ في وقت مبكر قبل أن يعلن انقلابه عليهم بوقت ليس بالقصير، وهذا الشك قد دفع بأبي الحسن إلى طلب الحق وتحريه، حتى جاءت اللحظة التي كان على أبي الحسن أن يواجه نفسه فيها، وأن يقف من عقائد أساتذته المعتزلة موقفًا فاصلاً، يختار فيه بين المعتزلة وخصومهم.

ولابد أيضًا أن يكون "أبو الحسن" قد قضى وقتًا طويلاً كي تكتمل في قلبه وعقله ويستقر على تلك المبادئ التي سوف يقيم مذهبه عليها بعد ذلك(١)، ولكن أبا الحسن مرت به مرحلة ثانية بين الاعتزال واعتقاده عقيدة السلف الصالح لجأ فيها إلى التأويل وأثبت فيها الصفات السبع عن طريق العقل "الحياة والعلم والإرادة، والقدرة والسمع والبصر والكلام، وتأييد الصفات الخبرية بما يتفق مع العقل، وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها(٢)؛ هذا ولقد اعتكف الأشعري في بيته أيامًا لا يخرج إلى الناس، ولعله كان في ذلك يعد للقائه بالناس، ويستهدي الله تعالى- ويستعينه في معرفة الحق والالتزام به، والدعوة إليه، ثم في تسجيل ما استقر عليه في كتب دفعها بعد ذلك إلى الناس ليعرفوا منها مذهبه وعقيدته.

(١) تاريخ الفرقة الإسلامية ص (١٥١، ١٥٤) بتصرف.

(٢) الموسوعة الميسرة ج (١) ص (٨٧، ٨٨) بتصرف.

ولما انتهى من كل ذلك، واطمأن قلبه إلى الحق الذي هداه الله- تعالى- إليه، خرج على الناس في يوم جمعة ورقى المنبر بالمسجد الجامع بمدينة البصرة، وقد اجتمع عليه الناس ينتظرون ما يكون من أمره، فقام "أبو الحسن الأشعري" فوق المنبر وألقي في الناس خطبته التي أعلن فيها انتقاده للمعتزلة وخروجه عليها، وبيَّن عقيدته التي هداه الله تعالى إليها، فقال:

أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا علي بن إسماعيل الأشعري، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع عن ذلك، متصد للرد على المعتزلة، مخرج لفضائحهم.

معاشر الناس: إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت- الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد، كما انخلع من ثوبي هذا "وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به من فوق المنبر، ثم دفع إلى الناس كتبه التي كتبها مضمنًا إياها ما استقر عليه يقينه، والذي وافق فيه السلف من أهل الفقه والحديث، ونقض جميع ما كان عليه من عقائد الاعتزال، وكان هذا يمثل المرحلة الثالثة والأخيرة في حياة أبي الحسن الأشعري.

وفي كتابه "الإبانة" أبان الأشعري عن أصول مذهبه، كما أبان عن جملة مآخذه على المعتزلة، حيث قال: فإن كثيرًا من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم، ومن مضى بهم من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطانًا، ولا أوضح به برهانًا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين، فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله محمد ﷺ في رؤيته تعالى

بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة، وتواترت الآثار، وتتابعت الأخبار، وأنكروا شفاعة الرسول ﷺ وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين، وجحدوا عذاب القبر، وأنكروا أن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون، ودانوا بخلق القرآن، نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فزعموا أن القرآن؛ كقول البشر، وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر، نظيرًا لقول المجوس الذين يثبتون خالقين أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، وزعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون، وأنه يكون ما لا يشاء، خلافًا لما أجمع عليه المسلمون من أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وردا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الإنسان: ٣٠] ولقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] ولذلك سماهم رسول الله ﷺ مجوس هذه الأمة لأنهم دانوا بديانات المجوس، وضاهوا أقوالهم وزعموا أن للشر والخير خالقين كما زعمت المجوس، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس، وزعموا أنهم يملكون النفع والضر لأنفسهم، ردًا لقول الله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَـْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] وانحرافًا عن القرآن، وما أجمع عليه المسلمون، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله تعالى بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل، فكانوا مجوس هذه الأمة لأنهم دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقوالهم، ومالوا إلى أضاليلهم.

وقنطوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها، خلافًا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها، خلافًا لما جاءت به الرواية عن الرسول ﷺ **"إن الله عز وجل يخرج من النار قومًا بعدما امتحشوا فيها وصاروا حممًا".**

ونفوا أن يكون لله- عز وجل- وجه، مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٧] ونفوا ما روي عن الرسول ﷺ **"إن الله ينزل إلى السماء الدنيا"**[(١)].

وبعد أن ذكر أبو الحسن الأشعري مآخذه على المعتزلة، سالكًا معهم نفس المسلك الذي سلكوه مع مخالفيهم من الرمي بالزندقة والفسق والكفر والمجوسية، وغير ذلك،وبعد ما بين ما رآه ضلالاً في مذهبهم وفسوقًا، انتقل ليبين لنا عقيدته هو، ويقرر لنا قواعد مذهبه، فقال:

"فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول، وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه "أحمد بن حنبل" نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- مستمسكون، وعمن خالف قوله مجانبون، فإنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمه الله- تعالى- من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفخم ورحمته على جميع المسلمين.

---

(١) رواه البخاري.

وبعد أن بين أن منهجه هو منهج السلف، وهم- كما ذكر- الصحابة والتابعون، وأئمة الحديث، ثم خص بالذكر الإمام "المبتلى" "أحمد بن حنبل" وما وقع له على أيدي المعتزلة وسلطانهم المأمون ومن بعده، بدأ بعد ذلك يفصل عقيدته التي بها يدين فقال:

"وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء رواية من عند الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله استوى على العرش كما قال سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] وأن لله تعالى وجها، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وأن له سبحانه يدًا، كما أخبر بذلك فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له سبحانه- عينًا بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٤].

ونثبت لله تعالى علمًا.... ونثبت له قوة، كما قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] ونثبت لله تعالى السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية.

ونقول إن كلامه غير مخلوق، ولم يخلق شيئًا إلا وقد قال له كن فيكون، وأنه لا يكون في الأرض شيء من شر ولا خير إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله- وأننا لا نستغني عن الله، ولا نقدر على الخروج من علم الله، أنه لا خالق إلا

الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله ومقدرة، كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

وإن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا، وهم يخلقون، وهذا في كتاب الله كثير.

وأنا نؤمن بقضائه وقدره خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال بخلق القرآن كان كافرًا به.

وندين بأن الله تعالى- يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ ونقول إن الكافرين عنه محجوبون، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥].

ونرى ألا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنى والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من الكبائر مستحلاً لها كان كافرًا إن كان غير معتقد تحريمها، ونؤمن بأن الله يخرج من النار قومًا بعدما امتحشوا، بشفاعة النبي محمد ﷺ- ونؤمن بعذاب القبر، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله تعالى- لصحبة نبيه ﷺ ونثني عليهم بما أثنى الله تعالى به عليهم، ونقول إن الإمام بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر ﷺ أعز به الدين، وأظهره على المرتدين، ثم عمر بن الخطاب ﷺ ثم عثمان- نضر الله وجهه- قتله قاتلوه عدوانًا وظلمًا، ثم علي بن أبي طالب ﷺ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ، وخلافتهم خلافة النبوة، ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ، ونكف عما شجر بينهم- وندين لله سبحانه- بأن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلاء، لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل المعروفون لأئمة المسلمين بالصلاح.

ونقر بخروج الدجال، ونقر بعذاب القبر ومنكر ونكير، ونصدق بحديث المعراج.

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين، والدعاء لهم، ونؤمن أن ذلك- بفضل الله- ينفعهم.

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآياته..." [1].

هذا بيان أبي الحسن الأشعري عن قواعد عقيدته، وأصول مذهبه"[2].

الذي ضمنه كتابه "الإبانة عن أصول الديانة" الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم، والذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل، ولم يقتصر على ذلك، بل خلف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة، وشرح العقيدة، تقدر بثمانية وستين مؤلفًا، توفي- رحمه الله تعالى- سنة ٣٢٤ أو ٣٣٤هـ، ودفن في بغداد، ونودي على جنازته "اليوم مات ناصر السنة".

بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، وعلى يد أئمة المذهب وواضعي أصوله وأركانه أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده، وما ذلك إلا أن المذهب لم يبن في البداية على منهج مؤصل، واضحة أصوله الإعتقادية، ولا كيفية التعامل مع النصوص الشرعية، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة السلف واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة، ومن مظاهر ذلك التطور:

* القرب من أهل الكلام والاعتزال.

* الدخول في التصوف والتصاق المذهب الأشعري به.

---

(١) الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (المقدمة).

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٥٤- ١٦٠) بتصرف.

* الدخول في الفلسفة وجعلها جزءًا من المذهب[1].

وقال القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي صاحب كتاب "المواقف في علم الكلام" في ختام كتابه، بعد أن عدد الفرق غير الناجية:

"... وأما الفرقة الناجية المستثناه الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: **"هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي"**.

فهم الأشاعرة والسلف[*] من المحدثين وأهل السنة والجماعة.

ومذهبهم خال عن بدع هؤلاء. يشير إلى الفرق الأخرى غير الأشاعرة، وقد أجمعوا على حدوث العالم، ووجود الباري- سبحانه وتعالى- وأنه لا خالق سواه، وأنه سبحانه قديم متصف بالعلم والقدرة وسائر صفات الجلال، لا شبيه له،ولا ضد، ولا ند، ولا يحل في شيء، ولا يقوم بذاته حادث، ليس في حيز ولا جهة[◆]، ولا

---

(١) الموسوعة الميسرة ج١ ص (٨٧، ٨٨) بتصرف.

(*) الأشاعرة الذين هم على مذهب أبي الحسن الأشعري وهو في آخر أمره، حيث رجع إلى عقيدة السلف جملة وتفصيلاً، وليس الأشاعرة الذين خالفوا إمامهم في كثير من المسائل على نحو ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(◆) قوله: ليس في حيز ولا جهة. نقول: قد ثبت في عقيدة السلف صفة العلو لله عز وجل، وهل العلو يعني الجهة؟ معلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق- سبحانه وتعالى- ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء مخلوق؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات. وكذلك يقال لمن قال: الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل، فالله تعالى فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته. وكذلك لفظ التحيز، إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات: أي مباين لها

يصح عليه الحركة والانتقال(*)، ولا الجهل ولا الكذب، ولا شيء من صفات النقص، مرئي للمؤمنين في الآخرة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، غني لا يحتاج إلى شيء، ولا يجب عليه شيء، وإن أثاب فبفضله، وإن عاقب فبعدله، لا غرض لفعله، ولا حاكم سواه، لا يوصف فيما يفعل أو يحكم بجور ولا ظلم، وهو غير متبعض، ولا له حد ولا نهاية(*)، وله الزيادة والنقصان في مخلوقاته.

منفصل عنها ليس حالاً فيها، فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وذلك بالكيفية التي يعلمها الله جل شأنه عن نفسه. فالله تعالى منفصل عن خلقه ومتميز عليهم.

(*) وقوله: ولا يصح عليه الحركة والانتقال، إن أراد به عدم مشابهة المخلوقات فهو حق، وإن أراد به نفي المجيء والنزول، فهو باطل لثبوت ذلك بالقرآن والسنة على نحو ما يعتقد السلف.

(*) قوله ولا حد له ولا نهاية: هذا كلام يحتاج إلى بيان، حيث هو يحتمل معاني، منها ما يصح، وما لا يصح، فإن أراد بذلك نفي المشابهة للمخلوقات، ونفي اتصاله بالمخلوقات، أو حلوله في شيء منها- سبحانه- فقد قال السلف في ذلك: الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، وبائن لغة اسم فاعل من بان إذا افترق وظهر، ومنه البين وهو الفراق، ومعناه عندهم أن الله سبحانه وتعالى منفصل عن خلقه ومتميز عليهم. ومن كلام العلماء في هذه المسألة ما ذكره ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى- عند شرحه قول الطحاوي "وتعالى عن الحدود والغايات" فقد بين- رحمه الله- أن الناس على ثلاث طوائف في هذه المسألة، فمنهم من ينفي ذلك، ومنهم من يثبته ومنهم من يفصل في ذلك، وهذا لأن هذا الكلام مجمل، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة. ومن هنا يعلم أن مراد الطحاوي- رحمه الله تعالى- من هذا الكلام: أن الله تعالى عن أن يحيط أحد بحده، لأن المعنى أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم، مباين لهم، كما سئل عبد الله بن المبارك، بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش بائن من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد. ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء، ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء فيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته. قلت: وفي هذا عين مباينة الله لخلقه، وفيه رد على أهل الحلول الذين يقولون بحلول الله في خلقه. أو في بعض خلقه كما تقول النصارى بأنه يحل في عيسى عليه السلام، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وإن أراد بكلامه هذا ما ينفي عن الله تعالى صفة العلو، أو ما يدل على الحلول، فهو مرفوض، وإن كان ذلك بعيدًا.

والمعاد حق، وكذا المجازاة، والمحاسبة، والصراط، والميزان، وخلق الجنة والنار، وخلود أهل الجنة فيها، وخلود الكفار في النار، ويجوز العفو، والشفاعة حق، وبعثه الرسل بالمعجزات حق من آدم إلى محمد، وأهل بيعة الرضوان، وأهل بدر من أهل الجنة.

والإمام يجب نصبه على المكلفين، والإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان: ثم علي، والأفضلية بهذا الترتيب.

ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع(●) القادر العليم، أو شرك، أو إنكار للنبوة، أو ما علم مجيئه عليه السلام به ضرورة، أو لمجمع عليه كاستحلال المحرمات، وأما ما عداه فالقائل به مبتدع غير كافر[1].

منهج الإمام الأشعري:

نهج أبو الحسن الأشعري منهجًا وسطًا بين دعاة العقل المطلق وبين الجامدين عند حدود النص بظاهره، دون أي إعمال للعقل، فجمع الأشعري بين العقل والنص، ومع أنه قدم النص على العقل إلا أنه جعل للعقل مدخلاً في فهم النص كما أشارت إلى ذلك الآيات الكثيرة التي وجهت إلى التعقل والتفكير والتدبر، فهو يثبت كل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من صفات لله، واليوم الآخر ومراحله، ثم يسمح للعقل بأن يفهم النص ويحاول إقامة الأدلة عليه دون محاولة لصرفه عن مراده الذي ساقه الله لأجله أو تعطيله أو إجرائه على غير ما يليق بذات الله سبحانه وتعالى، فهو لا يتخذ من العقل حاكمًا يقدمه ويقدسه أكثر من قداسته للنص.

(●) قوله: إلا بما فيه نفي للصانع: حيث ذكر من أسماء الله تعالى: الصانع وهذا لم يثبت في القرآن أو السنة، كما لم يذكره أحد من السلف، بل هم أنكروا على الأشاعرة ذكرهم اسم: القديم، والصانع، ونحوهما.

(١) المواقف في علم الكلام. للقاضي عبد الرحمن أحمد الإيجي ص (٤٣٠) نقلاً عن/ تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٦١) بتصرف.

وهذا هو المنهج الوسط. فالعقل نعمة من الله سبحانه وتعالى، والنص من عند الله أيضًا، ومن هنا فلا يمكن أن يقع بينهما التناقض، لأن المصدر واحد وهو الله.

وهكذا فالأشاعرة قد جمعوا بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وتحققوا من أنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول.

ومن هنا فمنهجهم هو منهج الإسلام، وهو طريق الرشاد والنجاة.

يقول الإمام الغزالي: وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر أو يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتضى محصنة العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟

وقد أعلن أبو الحسن الأشعري تمسكه بمذهب الإمام أحمد بن حنبل- كما سبق بيانه.

إلا أن أساتذة المذهب الأشعري بعد ذلك قد غيروا بعض الشيء في منهجه، وخصوصًا الإمام الغزالي الذي أعطى للعقل مجالاً أوسع في الأدلة والبراهين. وعدم التقيد بالمقدمات التي تمسك بها الأشعري والباقلاني، ثم تطور المذهب بعد ذلك على يد الإمام الرازي وسعد الدين التفتازاني، والشريف الجرجاني، الذين مالوا إلى نوع من التأويل العقلي في الصفات مخالفين بذلك منهج الإمام أبي الحسن الأشعري، حيث خلطوا المسائل الكلامية بالمسائل الفلسفية.

مذهب الأشعري: ذهب الأشعري مذهبًا وسطًا بين تطرف ومغالاة الفرق الأخرى، فهو في التوحيد يتوسط بين المعتزلة والجهمية الذين أثبتوا ذاتا بلا صفات، وبين الحشوية والمجسمة الذين شبهوا صفات الله بصفات الحوادث، فجاء الأشعري لكي يثبت كل ما أثبته الله لنفسه من صفات سواء كانت صفات سلبية أو معنوية،

أو خبرية، أو صفات أفعال، وقرر أنها صفات تليق بذات الله ولا تشبه صفات الحوادث التي تسمى باسمها، وهي ليست عين الذات في الماهية والحقيقة ولا غيرها في الوجود، لأنها قائمة بالذات ولها أحكامها وماهيتها.

– وفي قضية العدل: يثبت للعبد كسبًا يكون هو مناط الصواب والعقاب، ويرد الخلق إلى الله تعالى في كل شيء فلا يقع في الكون شيء من خير أو شر إلا بإرادته.

– وأما مسألة الإيمان والكفر، فقد قال الإمام الأشعري: إن الإيمان هو التصديق القلبي(*)، ومن هنا فالأعمال ليست ركنا في الإيمان، بل هي شرط كمال للإيمان، ولكنه لا يفقد بفقدها.

وبالتالي فمرتكب الكبيرة هو مؤمن(**) عاص، وهو غير مخلد في النار، كما زعمت المعتزلة، بل أمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، وإن عاقبه فإنه يقضي فترة عقابه على قدر ذنبه ثم يخرج من النار ويدخل الجنة، وقد لا يدخل النار أصلاً بشفاعة رسول الله ﷺ الذي يقول: "**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**" وحديث البطاقة شاهد لذلك.

وهكذا فالإيمان هو التصديق القلبي، والعمل هو شرط كماله وثمرته، والإيمان يزيد وينقص، فهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والله لا يجب عليه فعل شيء، فإذا أدخل الطائعين الجنة فبفضله، وإن عاقب العاصين فبعدله.

ودعا الإمام الأشعري إلى طاعة الإمام العادل، وعدم الخروج عليه حتى وإن ظهر فسقه.

(*) هذا غير مسلم به عند السلف لأن الإيمان تصديق بالجنان،وتلفظ باللسان، وعمل بالأركان، يزداد بالطاعات، وينقص بالعصيان.

(**) والصواب أنه مسلم عاص.

- والأئمة بعد رسول الله ﷺ هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم في الفضل على هذا الترتيب وخلافتهم خلافة النبوة، ودعا إلى عدم الخوض فيما شجر بين صحابة رسول الله ﷺ، وفوض الأمر في خلافهم إلى الله سبحانه وتعالى"(١).

٢- ومن أبرز أئمة المذهب الأشعري أيضًا "القاضي أبو بكر الباقلاني: (٣٢٨- ٤٠٣هـ/ ٩٥٠- ١٠١٣م) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر من كبار علماء الكلام، هذب بحوث الأشعري، وتكلم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالى فيها كثيرًا إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة.

ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة، وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤولة، وذلك في كتابه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل.

ولد في البصرة، وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين ملكها.

من كتبه/ إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، وكشف أسرار الباطنية.

٣- أبو إسحاق الشيرازي: (٢٩٣- ٤٧٦هـ/ ١٠٠٣- ١٠٨٣م) وهو: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس، وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة، ومنها إلى بغداد، سنة (٤١٥هـ)، وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام، فكان مرجعًا للطلاب ومفتيًا للأمة في عصره، وقد اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة، بنى له الوزير نظام الملك، المدرسة

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٥٥)، الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية ص (١٥١، ١٥٥) بتصرف.

النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.

عاش فقيرًا صابرًا، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحًا، مناظرًا، ينظم الشعر، مات ببغداد وصلى عليه المقتدى العباسي.

من مصنفاته: التنبيه، والمهذب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه وشرحه، والملخص، والمعونة في الجدل.

٤- أبو حامد الغزالي الطوسي/ لقب بحجة الإسلام. ولد في الطابران، قصبة طوس بخراسان، وتوفي بها، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، ثم عاد إلى بلدته.

لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام، وبين أن أدلته لا تفيد اليقين، كما في كتابه المنقذ من الضلال، وكتاب "التفرقة بين الإيمان والزندقة".

وحرم الخوض فيه فقال: "لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام".

اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة، وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.

٥- أبو إسحاق الإسفراييني: (ت٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول، وكان يلقب بركن الدين، وهو أول من لقب به من الفقهاء، نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي.

ألف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه "الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين" قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات، توفي أبو إسحاق

الإسفراييني- يرحمه الله تعالى- في يوم عاشوراء، ثمان عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها، وكان قد نيف على الثمانين.

٦- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: (٤١٩- ٤٧٨هـ/ ١٠٢٨- ١٠٨٥م)

وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي، ولد في بلد جوين (من نواحي نيسابور، ثم رحل إلى بغداد، فمكة، حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرس، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، وبقي على ذلك قريبًا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف، وقد قال في رسالته: "النظامية" والذي نرتضيه رأيًا وندين لله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة، ويعضد ذلك، ما ذهب إليه في كتابه "غياث الأمم في التياث الظلم" فالبرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي، فقد قال فيه: "والذي أذكره الآن لائقًا بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذهب السلف السابقين، قبل أن نبعت الأهواء، وزاغت الآراء، وكانوا ﷺ ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات...".

نقل النووي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به".

توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذ أربعمائة.

ومن مصنفاته: "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، والبرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين.

٧- الإمام الفخر الرازي (٥٤٤هـ- ١١٤٨م/ ت٦٠٦هـ- ١٢١٠م).

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، قال عنه صاحب "وفيات الأعيان" إنه فريد عصره، ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات".

وهو المعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية.

قال فيه الحافظ ابن حجر في "لسان الميزان" (٤/٤٢٦- ٤٢٩). كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن "إلا أنه أدرك عجز العقل فأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده، فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج السلف، وعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرق علم الكلام، فقال: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، قرأ في الأثبات ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] وقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠] ثم قال في حسرة وندامة: "ومن جرب تجربتي عرف معرفتي" (الحموية الكبرى لابن تيمية) ومن أشهر كتبه في علم الكلام: أساس التقديس في علم الكلام، شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا، واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى

والصفات، البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال كافية العقول..." [1].

ثانيًا: مبادئ الأشاعرة:

من خلال النصوص التي نقلناها عن أبي الحسن الأشعري متحدثًا عن مذهبه، ثم عن عضد الدين الإيجي صاحب المواقف، وهو من أشهر المؤلفات التي قوبلت بالقبول من الأشاعرة حتى يومنا، نرى أصول المذهب لم يطرأ عليها تغير يذكر، وبعد مضي أربعة قرون تقريبًا بين مقالة الأشعري صاحب "الإبانة" ومقالة عضد الدين الإيجي صاحب المواقف".

ومن خلال هذه النصوص نستطيع أن نلخص مبادئ الأشاعرة فيما يلي:

١- أن الإمام أبا الحسن الأشعري قد جاء لإحياء عقيدة السلف الذين رآهم ممثلين في أهل الفقه وأهل الحديث، وبالذات في آراء الإمام أحمد بن حنبل ﷺ.

٢- يأخذ عقيدته من الكتاب والسنة أما الكتاب فيأخذ محكمه، ويؤمن بالمتشابه منه على ما هو عليه دون تأويل. وأما السنة فيأخذ صحيحها، يستوي في ذلك ما تواتر، وما كان خبر آحاد، فهو يقبل هذا كله، ولا يرد شيئًا منه.

٣- يرفض عقائد الاعتزال، وينقضها، ويحمل على أصحابها إلى حد رميه إياهم بأنهم يدينون بالمجوسية، وأنهم كافرون بالقرآن لقولهم بأنه مخلوق.

٤- أنه يؤمن بما يؤمن به السلف:

أ - فيثبت لله تعالى صفات الكمال التي أثبتها الله تعالى لذاته، دون تمثيل، وينفي ما نفى الله تعالى عن ذاته دون تعطيل.

ب- ويؤمن بأن الله- تعالى- خالق كل شيء، ومريد لكل شيء ومقدر كل شيء

(١) الموسوعة الميسرة ج١ ص (٨٨- ٩٠) بتصرف.

يقع في الوجود، فلا يكون في ملك الله تعالى إلا ما يريد.

ج- ويؤمن بأن الإيمان هو التصديق فمن صدق بقلبه برسالة محمد ﷺ فهو مؤمن(*)، فإن ارتكب من الكبائر شيئًا ثم خرج من الدنيا على غير توبة، فهو تحت رحمة الله تعالى، إن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار إلى الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ابتداء، وارتكاب المؤمن الكبيرة لا يخرجه عن وصف الإيمان.

د- ويؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كما يرى الإنسان القمر ليلة البدر، كما جاء في الأحاديث الشريفة.

هـ- ويؤمن بالمعجزات للأنبياء، وبالكرامات للأولياء.

و- ويؤمن بأن خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين حق، وأنهم أفضل الأمة، حسب توليهم الخلافة، فأفضلهم جميعًا أبو بكر، وهو أفضل الأمة على الإطلاق، ثم يليه في الفضل عمر، ثم عثمان، وآخرهم فضلاً آخرهم خلافة وهو الإمام علي ﷺ أجمعين.

٥- يؤمن بفضل الفريقين المتحاربين، لا يفسق واحدًا من الصحابة أو التابعين الذين كان لهم نصيب في هذه الفتنة، ويمسك عن الحكم عليهم، ويفوض أمرهم إلى الله سبحانه وتعالى- هذا كله مع الإيمان بصلاحهم وتقواهم وإحسان الظن بهم جميعًا.

٦- القرآن كلام الله غير مخلوق، وأما فعل الإنسان بالقرآن فهو مخلوق، فإن يقرأ الإنسان القرآن بصوته، فالصوت مخلوق، وإن يكتب الإنسان القرآن بالقلم، فالكتابة مخلوقة حادثة، أما القرآن ذاته فهو كلام الله تعالى غير مخلوق.

قضية الصفات: فقد ذهبت بعض الفرق كالجهمية والمعتزلة إلى نفي الصفات،

(*) الزعم بأن الإيمان هو التصديق القلبي ليس هذا معتقد السلف في الإيمان الذي عرفوه بقولهم: الإيمان تصديق بالجنان وتلفظ باللسان وعمل بالأركان، يزداد بالطاعات وينقص بالعصيان. وبذلك خالفت الأشاعرة معتقد السلف في مفهوم الإيمان.

تحت أسباب وعلل باطلة، فمرة يقولون: عالم بعلم، وعلمه ذاته، ومرة يقولون: عالم بذاته، كما بينا قبل ذلك.

وذهبت فرق أخرى إلى نقيض اتجاه المعتزلة، وكما نفى المعتزلة الصفات ذهبت الحشوية والكرامية وفرق أخرى إلى إثبات الصفات مشابهة لصفات الحوادث فشبهوا وجسموا- عياذًا بالله- ووصفوا الذات الإلهية بصفات المخلوقين.

فجاء الأشعري وتوسط بين هؤلاء وأولئك، فأثبت الصفات التي أثبتها الله تعالى لذاته، دون تشبيه أو تمثيل، وكان قاعدته التي أخذها- حقا- عن السلف "انه يثبت لله- تعالى- ما أثبت الله ورسوله دون تمثيل، وينفي عن الله تعالى، ما نفى الله ورسوله دون تعطيل" فجاء مذهبه وسطًا بين المعطلة نفاة الصفات وبين المشبهة والمجسمة.

فالأشعري أقر عقيدة السلف التي تقوم على الإيمان بهذه النصوص، وتثبتها لله تعالى كما هي دون تمثيل أو تأويل، وتفوض العلم بالمراد منها إلى الله سبحانه وتعالى، وقد عبر "الشهرستاني" عن مسلك الأشعري بقوله" .... ومنهم من توقف في التأويل – يقصد الأشعري".

وقال: عرفنا بمقتضى العقل- والنقل أيضًا- أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبه شيئًا من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها، وقطعنا بذلك، إلا أننا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه(•) مثل قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥]. إلى غير ذلك، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه تعالى لا شريك له، وليس كمثله شيء،

(•) فرق السلف بين معرفة معنى اللفظ، وبين الكيف، فقالوا أما المعنى فنحن نعرفه لأن الله تعالى لا يتعبدنا بشيء لا يمكن معرفته، وأما الكيف فهذا الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وليس في قدرة العبد أن يتوصل إلى حقيقته، ومعرفة كنهه.

وذلك قد أثبتناه يقينًا". فجاءت عقيدته وسطًا بين المؤولة والمجسمة.

قضية الإيمان والعمل: فبعض الفرق ذهبت إلى أن العمل من الإيمان، ولا يتحقق الإيمان بلا عمل، ومرتكب الكبيرة عندهم كافر أو في منزلة بين المنزلتين، وفي كلا الحالتين هو مخلد في جهنم.

وفرق المرجئة ومن اعتقد عقائدها لا ترى للعمل قيمة ولا أثرًا يوم القيامة، ويقولون، لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفرة طاعة، ومرتكب الكبيرة على مذهبهم مؤمن ولا ضرر عليه من ارتكاب الكبيرة وهو ناج يوم القيامة.

أما الأشعري فقد ركن إلى عقيدة السلف، في أن الكبيرة لا تخرج صاحبها عن الإيمان فهو مؤمن(●) وأما شأنه في الآخرة فهو بين يدي الله سبحانه وتحت رحمته، إن شاء عفا عنه ابتداء وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بقدر معصيته ثم أدخله الجنة.

وبذلك كانت عقيدته وسطًا بين هؤلاء وأولئك.

- قضية خلق القرآن المجيد فقد اختلفت الفرق حولها.

حيث ذهب المعتزلة إلى أن القرآن المجيد مخلوق بألفاظه ومعانيه وأحكامه، ليس شيء منه قديمًا، فهو كله مخلوق محدث.

أما الحشوية فقد ذهبوا إلى أن القرآن الكريم قديم بألفاظه ومعانيه وأحكامه، وبحروفه المكتوبة، والحبر الذي يكتب به، والألوان التي يكتب بها، والأجسام التي يكتب عليها من ورق وعظم وجلد وغير ذلك، والأصوات التي يقرأ بها ويسمع بها، فكل ذلك قديم؟

أما الأشعري فقد توسط، حيث ذهب إلى أن كلام الله تعالى قديم، وأن المعاني

(●) وقد علم في معتقد السلف أن مرتكب الكبيرة هو مسلم عاص؛ فذكر الإمام أحمد في أصحاب الكبائر مثل الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب، كما في الحديث فقال: فأقول عنه مسلمًا ولا أقول مؤمنًا.

التي يتضمنها القرآن قديمة، وأما الحروف والألفاظ الدالة على المعاني فحادثة، فالحروف دالة على الكلام الأزلي والعبارات والألفاظ المترلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام- دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة، والمدلول قديم أزلي، والفرق بين القراءة والمقروء، والتلاوة والمتلو، كالفرق بين الذكر والمذكور، فالذكر محدث، والمذكور قديم. فالمذهب هنا متوسط بين تفريط المعتزلة وإفراط الحشوية.

- **قضية أفعال العباد:** فقد وقع فيها الغلو من كلا طرفي الإفراط والتفريط، فقط غلا الجبرية في إعفاء العبد من مسئولية الفعل، وذهبوا إلى أن العبد لا يفعل شيئًا من أفعاله، وأنه في يد القدر مثل الريشة في مهب الريح، وأن إسناد الأفعال إليه إسناد مجازي، وأنه مجبر في كل أفعاله، وأن الحساب جبر،والثواب جبر، والعقاب جبر.

وفي المقابل ذهب القدرية إلى الوجه المضاد، فقالوا إن العبد يفعل أفعاله بحرية وإرادة كاملين، وأنه لا صلة لله تعالى بأفعال العباد من قريب أو بعيد، بل ذهبوا إلى نفي علم الله الأزلي بأفعال العباد، وتقديره إياها، وقالوا قولتهم الشهيرة "لا قدر والأمر أنف".

أما الأشعري فقد توسط بين القدرية والجبرية، وأثبت أن الله هو فاعل كل شيء، لكنه لم يعف العبد من المسئولية، استنادًا إلى ما أسماه "الكسب" وقد عرف "الكسب" بأنه مقارنة فعل العبد لفعل الله- سبحانه- ورغم أن الأشعري قد توسط هنا، إلا أن الكثيرين- حتى من الأشاعرة أنفسهم- لم يقتنعوا بهذه النظرية في "الكسب" ورأوا أنها أخت الجبر أو قريبة منه، وذلك مثل الإمام "ابن حزم" الذي يضع الأشعري ضمن الجبرية.

مما تقدم نرى الأشعري في جملة مذهبه قد قرر عقائد السلف، وأن عقيدته

وقواعد مذهبه وسط بين غلاة الفرق من كلا طرفي الغلو.

ولكنا- أيضاً- لا نعفيه من أمور نرى نحن أو غيرنا أنها لم تصب العقيدة الحقة، ولم يكن- من وجهة نظرنا أو أنظار مخالفيه- موفقًا فيها.

وأوضح مثال على ذلك مذهبه في أفعال العباد، ونظريته في "الكسب" التي خفيت حتى على بعض رجالات الأشعرية، حتى ضرب بها المثل في الخفاء والغموض، فقيل: أخفي من كسب الأشعري[1].

الأشاعرة (بين الجرح والتعديل)

الأفكار والمعتقدات:

مصدر التلقي عند الأشاعرة: الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام، ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في أساس التقديس، والآمدي، وابن فورك وغيرهم. وهذا خلاف ما كان عليه أبو الحسن في آخر أمره.

عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، لأنها تفيد العلم اليقيني، ولا مانع من الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي.

والمتواتر منها يجب تأويله، ولا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ومن سار على منهجهم حيث كان النبي ﷺ: يرسل الرسل فرادى لتبليغ الإسلام كما أرسل معاذًا إلى أهل اليمن ولقوله ﷺ "**نضر الله امرءًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها...**" الحديث، وحديث تحويل القبلة وغير ذلك من الأدلة.

(١) تاريخ الفرق الإسلامية د/ محمود مزروعة ص (١٥١- ١٧٠) بتصرف.

- مذهب طائفة منهم وهم: صوفيتهم كالغزالي والجويني في مصدر التلقي، تقديم الكشف والذوق على النص، وتأويل النص ليوافقه، ويسمون هذا "العلم اللدني" جريًا على قاعدة الصوفية "حدثني قلبي عن ربي"[1]. وكما وضح ذلك في الرسالة اللدنية ١/١١٤- ١١٨ من مجموعة القصور العوالي، وكبرى اليقينيات لمحمد سعيد رمضان البوطي (الإهداء-٣٢- ٣٥).

ولا يخفى ما في هذا من البطلان والمخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وإلا فما الفائدة من إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

* يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام:

- قسم مصدره العقل وحده، وهو معظم الأبواب، ومنه باب الصفات، ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل (عقلية) وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي عندهم، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسنة فإنهم يؤولونها.

- قسم مصدره العقل والنقل معًا كالرؤية- على خلاف بينهم فيها.

- قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان وهو مما لا يحكم العقل باستحالته، فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكمًا، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً، وفي الرؤية جعلوه مساويًا.

أما في مذهب أهل السنة والجماعة فلا منافاة بين العقل والنقل أصلاً، ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب آخر وإنما يبدأ بتقديم النقل على العقل.

---

(١) انظر كتاب "شبهات التصوف" للمؤلف ص (١٠٠- ١٠٧).

* خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولابد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث وعدم حلوله فيها، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسم ولا في جهة ولا في مكان.

وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل: إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

* التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة. وفي ذلك يقولون: إن الله واحدًا في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له، ولذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم.

وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة من سلف الأمة ومن تبعهم.

وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته، وتأويل بعض صفاته.

وهكذا خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد حيث يعتقد أهل السنة والجماعة أن التوحيد الذي هو أول واجب على العبيد: إفراد الله تعالى بربوبيته وأولهيته وأسمائه وصفاته على نحو ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسول الله

ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسول الله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

- إن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر أو القصد إلى النظر ثم الإيمان، ولا تكفي المعرفة الفطرية، ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره.

بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، توحيد الألوهية بدليل الكتاب والسنة والإجماع، وأن معرفة الله تعالى أمر فطري مركوز في النفوس.

- يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع، وكذلك صفتي العلو والاستواء. وقد ذهب المتأخرون منهم إلى تفويض معانيها إلى الله تعالى على أن ذلك واجب يقتضيه التتريه، ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات، بل توسعوا في باب التأويل، حيث شمل أكثر نصوص الإيمان، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء.

أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معنى النص- بمعنى تحريفه_ أو تفويضه سواء أكان في نصوص الصفات أو غيرها.

* الأشاعرة في الإيمان بين: المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق القلبي، ورجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين في كتابه تبسيط العقائد الإسلامية (٢٩- ٣٢) أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بالشهادتين، ومال إليه البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات ١٩٦).

وفي هذا مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومخالفة لنصوص القرآن الكريم الكثيرة، ومنها: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وعليه يكون إبليس من الناجين من النار، لأنه من المصدقين بقلوبهم، وكذلك أبو طالب عم النبي ﷺ، ولم يكن هناك داع لحرص النبي ﷺ على قوله لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وغير ذلك كثير.

* الأشاعرة مضطربون في قضية التكفير، فتارة يقولون لا نكفر أحدًا، وتارة يقولون لا نكفر إلا من كفرنا، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع، فمثلاً يكفرون من يثبت علو الله الذاتي، أو من يأخذ بظواهر النصوص حيث يقولون: إن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر.

أما أهل السنة والجماعة فيرون أن التكفير حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعًا، ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع.

* قولهم بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة، يقول صاحب الجوهرة: "يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم" وذلك في محاولة لم يحالفها النجاح للتوفيق بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة.

أما مذهب أهل السنة والجماعة فهو: أن القرآن كلام غير مخلوق وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى عليه السلام ويسمعه الخلائق يوم القيامة يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى

يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

* والإيمان والطاعة بتوفيق الله، والكفر والمعصية بخذلانه، والتوفيق عند الأشعري خلق القدرة على الطاعة، والخذلان عنده! خلق القدرة على المعصية، وعند بعض أصحاب الأشعري، تيسير أسباب الخير هو التوفيق، وضده الخذلان.

* كل موجود يصح أن يرى، والله موجود يصح أن يرى، وقد ورد في القرآن أن المؤمنين يرونه في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

ولكن الأشاعرة يرون أنه لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع فإن كل ذلك مستحيل، وفي ذلك نفي لعلو الله تعالى والجهة، بل ونفي للرؤية نفسها.

ويقترب الرازي كثيرًا من قول المعتزلة في تفسيره للرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي.

* حصر الأشاعرة دلائل النبوة بالمعجزات التي هي الخوارق، موافقة للمعتزلة وإن اختلفوا معهم في كيفية دلالتها على صدق النبي، بينما يرى جمهور أهل السنة أن دلائل ثبوت النبوة للأنبياء كثيرة ومنها المعجزات.

* صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا بغير توبة حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي ﷺ موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة.

* يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنًا لها، فيكون الفعل خلقًا

من الله وكسبًا من العبد لوقوعه مقارنًا لقدرته.

ولقد عد المحققون "الكسب" هذا من محالات الكلام، وضربوا له المثل في الخفاء والغموض، فقالوا: أخفى من كسب الأشعري".

وقد خرج إمام الحرمين وهو من تلاميذ الأشعري عن هذا الرأي، وقال بقول أهل السنة والجماعة، بل والأشعري نفسه في كتاب "الإبانة" رجع عن هذا الرأي.

* قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقًا، ولكنهم قالوا إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل إثبات صدق النبي فتناقضوا في ذلك بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض وبين إثبات الله للرسول المعجزة تفريقًا بينه وبين المتنبئ.

* وافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ، وأمور الآخرة من الحشر والنشر، والميزان والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق ﷺ وأيدتها نصوص الكتاب والسنة، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية.

* كما وافقوهم في القول في الصحابة على ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأ وعن اجتهاد منهم، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم، لأن الطعن فيهم إما كفر، أو بدعة، أو فسق، كما يرون الخلافة في قريش وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر، ولا يجوز الخروج على أئمة الجور، بالإضافة إلى موافقة أهل السنة في أمور العبادات والمعاملات.

* فضلاً عن تصدي الأشعري للمعتزلة ومحاجتهم بنفس أسلوبهم الكلامي ليقطع شبهاتهم ويرد حجتهم عليهم، تصدى أيضًا للرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية، والروافض وغيرهم من أهل الأهواء الفاسدة والنحل الباطلة.

* والأشعري في كتاب "الإبانة عن أصول الديانة "الذي هو آخر ما ألف من الكتب على أصح الأقوال: رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الإثبات وعدم التأويل.

يقول رحمه الله: "وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل- نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به ضلال الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفخم".

* إن مدرسة الأشعري الفكرية لا تزال مهيمنة على الحياة الدينية في العالم الإسلامي، ولكنها كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "فقدت حيويتها ونشاطها الفكري، وضعف إنتاجها في الزمن الأخير ضعفًا شديدًا وبدت فيها آثار الهرم والإعياء "لماذا؟

- لأن التقليد طغى على تلاميذ هذه المدرسة وأصبح علم الكلام لديهم علمًا متناقلاً بدون تجديد في الأسلوب.

- لإدخال مصطلحات الفلسفة وأسلوبها في الاستدلال في علم الكلام، فكان لهذا أثر سيء في الفكر الإسلامي، لأن هذا الأسلوب لا يفيد العلم القطعي .. ولهذا لم يتمثل الأشاعرة بعد ذلك مذهب أهل السنة والجماعة ومسلك السلف تمثلاً صحيحًا، لتأثرهم بالفلاسفة وإن هم أنكروا ذلك.. حتى الغزالي نفسه الذي حارب الفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة" يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي "شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر".

- تصدى الإمام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة- ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرة منهم- في كتابه القيم: "درء تعارض العقل والنقل" وفند آراءهم الكلامية، وبين أخطاءهم، وأكد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

* كما رأينا في آراء أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية، أن العقيدة الإسلامية، كما هي في الكتاب والسنة، على منهج ابن كلاب هي الأساس في آرائه الكلامية وفق ما يتفق مع أحكام العقل.

* تأثر أئمة المذهب بعد أبي الحسن الأشعري ببعض أفكار ومعتقدات الجهمية من الإرجاء والتعطيل، وكذلك بالمعتزلة والفلاسفة في بعض الصفات وتحريف نصوصها، ونفي الصفات الخبرية كما تأثروا بالجبرية في مسألة القدر.

* لا ينفي ذلك تأثرهم بعقيدة أهل السنة والجماعة فيما وافقوهم فيها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشر المذهب الأشعري في عهد وزارة نظام الملك الذي كان أشعري العقيدة، وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية، وكذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة.

وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية، ومدرسة نيسابور النظامية، وكان يقوم عليها رواد المذهب الأشعري، وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها، كما تبنى المذهب وعمل على نشره المهدي ابن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، وبالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين، ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله، ولا زال المذهب الأشعري سائدًا في أكثر البلاد الإسلامية وله جامعاته ومعاهده المتعددة.

يتضح مما سبق:

أن الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة ودعى فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة على طريقة ابن كلاب، وهي تثبت بالعقل الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) واختلفوا في صفة البقاء.

أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها، بينما يأولون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها.

ويؤمن متأخرو الأشاعرة ببعض الأفكار المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة التي تصدى لها ولغيرها شيخ الإسلام "ابن تيمية" لاسيما في مجال العقيدة، حيث أكد أن أسلوب القرآن والسنة بفهم السلف الصالح هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة والدين.

وعمومًا فإن عقيدة الأشاعرة تنسب إلى عقيدة أهل السنة والجماعة بالمعنى العام في مقابل الخوارج والشيعة والمعتزلة، وأن الأشاعرة وبخاصة أشاعرة العراق الأوائل أمثال أبي الحسن الأشعري، والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني وغيرهم، أقرب إلى السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، بل ومن أشاعرة خراسان كأبي بكر بن فورك وغيره، وإنهم ليحمدوا على مواقفهم في الدفاع عن السنة والحق في وجه الباطنية والرافضة والفلاسفة، فكان لهم جهدهم المحمود في هتك أستار الباطنية وكشف أسرارهم، بل وكان لهم جهادهم المشكور في الرد على المعتزلة والجهمية.

وعلى ذلك فإن حسناتهم على نوعين- كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية: "إما موافقة السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم".

ويقول أيضًا: "ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخير الأمور وسطها"[1].

---

(١) درء التعارض (١٠٢/٢، ١٠٣).

ويقول في كتاب النبوات: "حيث إن خطؤهم بعد اجتهادهم مغفور".

وأخيرًا يقول في درء التعارض: "... فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصرة ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول. فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله وإظهار العلم الصحيح... وما من أحد من هؤلاء ومن هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع" ٢٧٥/٨[1].

(١) الموسوعة الميسرة ج١ ص (٩٠- ٩٧).

خلاصة الوحدة الثامنة

- الأشاعرة: فرقة تنسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.

- المراحل التي مر بها الإمام الأشعري من المعتزلة إلى الأشعرية إلى السلفية.

- بيان أعلام الأشاعرة:

١- الإمام أبو الحسن الأشعري. ٢- القاضي أبو بكر الباقلاني.

٣- أبو إسحاق الشيرازي. ٤- أبو حامد الغزالي.

٥- أبو إسحاق الإسفراييني. ٦- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني.

٧- الإمام الفخر الرازي.

- مبادئ الأشاعرة: حول قضية الإيمان والعمل، وقضية الصفات، وقضية أفعال العباد.. إلخ.

- نظرة حول الأشاعرة بين الجرح والتعديل، فيما وافقوا فيه أهل السنة والجماعة وما خالفوهم فيه.

- الجذور الفكرية والعقائدية تعود إلى منهج ابن كلاب في آرائه الكلامية وفق ما يتفق مع أحكام العقل.

- الانتشار ومواقع النفوذ: في كثير من بلاد العالم الإسلامي وجامعاته.

اختبار الوحدة الثامنة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة(✓)أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- ترجع فرقة الأشاعرة في أصولها إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري. ( )

٢- ذهب أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة إلى عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. ( )

٣- أقر الأشعري بحديث المعراج، وعذاب القبر ومنكر ونكير، لكنه لم يقر بخروج الدجال. ( )

٤- ذهب الأشعري مذهب المرجئة في مسألة الإيمان، حيث قال الإيمان هو التصديق القلبي. ( )

٥- حرم الباقلاني الخوض في علم الكلام، وذم تعلمه وتعليمه. ( )

٦- رجع إمام الحرمين أبو المعالي الجويني في أخريات حياته إلى مذهب السلف. ( )

٧- خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على ذلك. ( )

٨- ذهب الأشعري إلى أن القرآن قديم بألفاظه ومعانيه وأحكامه، وحروفه وأصواته وأحباره وألوانه. ( )

٩- لم يقتنع كثير من الأشاعرة بمذهب الأشعري في أفعال العباد، فيما يعرف بنظرية الكسب. ( )

١٠- التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات، ونفي الكمية المتصلة والمنفصلة. ( )

١١- لم يتبن مذهب الأشاعرة على قربه من منهج السلف إلا فئات قليلة على مر التاريخ الإسلامي. ( )

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- أبو الحسن الأشعري:

- يتفق مع الأشاعرة.
- يختلف مع الأشاعرة.
- كان اعتزاليا ثم أشعريًا، ثم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

٢- التفرقة بين الإيمان والزندقة، ألفه من أئمة الأشاعرة:

- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني.
- أبو حامد الغزالي.
- الإمام الفخر الرازي.

٣- يبدو واضحًا في تاريخ أئمة الأشاعرة أن جلهم في نهاية حياته:

- يزداد إخلاصًا لمذهبه.
- يرجع وينيب إلى مذهب السلف.

- يقوم بتنقيحه وتحقيقه.

٤- ذهب الأشعري في قضية الصفات إلى:

- إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه دون تشبيه أو تمثيل.

- إثبات الصفات مشابهة لصفات الحوادث.

- نفي الصفات.

٥- تعد أقرب طبقات الأشاعرة لعقيدة أهل السنة والجماعة:

- أشاعرة خراسان.

- أشاعرة العراق الأوئل.

- متأخري الأشاعرة.

ثالثًا الأسئلة التحليلية

١- من هو الأشعري؟ ومن هم الأشعرية؟

٢- اذكر أهم المراحل التي مر بها أبو الحسن الأشعري، مع بيان منهجه، وما انتهى إليه.

٣- ما وجوه الاتفاق والاختلاف بين الأشاعرة وأهل السنة والجماعة.

٤- اكتب بحثًا حول الجذور الفكرية والعقائدية للأشاعرة، مع بيان مواقع الانتشار والنفوذ.

٥- اذكر أهم ما تناوله كتاب (الإبانة عن أصول الديانة).

٦- من هم أهم أعلام المذهب الأشعري؟

الوحدة التاسعة

الماتريدية

الوحدة التاسعة: الماتريدية

الأهداف التعليمية

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تعرف الماتريدية.

٢- توضح ظروف التأسيس وأبرز الشخصيات.

٣- تبين أهم الأفكار والمعتقدات.

٤- تشرح الجذور الفكرية والعقائدية.

٥- تظهر مواطن الانتشار ومواقع النفوذ.

الوحدة التاسعة

الماتريدية

- التعريف
- التأسيس وأهم الشخصيات
- أهم الأفكار والمعتقدات
- الجذور الفكرية والعقائدية
- الانتشار ومواقع النفوذ
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة التاسعة: الماتريدية

أولاً: التعريف: الماتريدية: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية، في محاجة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

ثانيًا: التأسيس وأبرز الشخصيات: مرت الماتريدية كفرقة كلامية بعدة مراحل، ولم تعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها.

كما لم تعرف الأشعرية وتنتشر إلا بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، ولذلك فإنه يمكن إجمالها في أربع مراحل رئيسية كالتالي:

* مرحلة التأسيس (- ٣٣٣هـ) والتي اتسمت بشدة المناظرات مع المعتزلة، وصاحب هذه المرحلة:

- أبو منصور الماتريدي (-٣٣٣هـ): هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، نسبة إلى (ماتريد) وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر، ولد بها، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، بل لم يذكر من ترجم له كثيرًا عن حياته، أو كيف نشأ وتعلم، أو بمن تأثر. ولم يذكروا من شيوخه إلا العدد القليل مثل: نصير بن يحيى البلخي، وقيل نصر، وتلقى عنه علوم الفقه الحنفي وعلوم الكلام.

- أطلق عليه الماتريدية، ومن وافقهم عدة ألقاب تدل على قدرة وعلة منزلته عندهم مثل "إمام الهدى" و"إمام المتكلمين".

قال عبد الله المرائي في كتابه (الفتح المبين في طبقات الأصوليين) "كان أبو منصور قوي الحجة، فحما في الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين" (١/١٩٣، ١٩٤).

وقال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة): "جهبذ من جهابذة الفكر الإنساني، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة ص (١٣٩)، بل كان يرجحه على أبي الحسن الأشعري في كتابه (تاريخ الدعوة والعزيمة)، (١/١١٤، ١١٥).

- عاصر أبا الحسن الأشعري، وعاش الملحمة بين أهل الحديث وأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، فكانت له جولاته ضد المعتزلة وغيرهم، ولكن بمنهاج غير منهاج الأشعري، وإن التقيا في كثير من النتائج غير أن المصادر التاريخية لا تثبت لهما لقاء أو مراسلات بينهما، أو اطلاع على كتب بعضهما.

- توفي رحمه الله تعالى، عام ٣٣٣هـ، ودفن بسمرقند، وله مؤلفات كثيرة: في أصول الفقه، والتفسير.

ومن أشهرها: "تأويلات أهل السنة أو تأويلات القرآن" وفيه تناول نصوص القرآن الكريم، ولاسيما آيات الصفات، فأولها تأويلات جهمية.

ومن أشهر كتبه في علم الكلام "كتاب التوحيد" وفيه حرر نظرياته وبين معتقده من أهم المسائل الاعتقادية ويقصد بالتوحيد: توحيد الخالقية والربوبية، وشيء من توحيد الأسماء والصفات، ولكن على طريقة الجهمية بتعطيل كثير من الصفات بحجة التتريه ونفي التشبيه، مخالفًا طريقة السلف الصالح.

كما ينسب إليه شرح كتاب "الفقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة- وفي ذلك نظر- وله في الردود على المعتزلة "رد الأصول الخمسة" وأيضًا في الرد على الروافض "رد كتاب الإمامة لبعض الروافض" وفي الرد على القرامطة" الرد على فروع مذهب القرامطة".

* مرحلة التكوين (٣٣٣هـ- ٥٠٠هـ): وهي مرحلة تلامذة الماتريدي ومن

تأثر به من بعده، وفيه أصبحت فرقة كلامية ظهرت أولاً في سمرقند، وعملت على نشر أفكار شيخهم وإمامهم، ودافعوا عنها، وصنفوا التصانيف متبعين مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع (الأحكام)، فراجت العقيدة الماتريدية في تلك البلاد أكثر من غيرها.

ومن أشهر أصحاب هذه المرحلة: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندي (٣٤٢هـ-٩، عرف بأبي القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي (٣٩٠هـ).

* ثم تلي ذلك مرحلة أخرى تعتبر امتدادًات للمرحلة السابقة. ومن أهم وأبرز شخصياتها:

- أبو اليسر البزدوي (٤٢١- ٤٩٣هـ): هو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، والبزدوي نسبه إلى بزدوة، ويقال: بزدة، ولقب بالقاضي الصدر، وهو شيخ الحنفية بعد أخيه الكبير "علي البزدوي" ولد عام (٤٢١هـ).

- تلقى العلم على يد أبيه، الذي أخذه عن جده عبد الكريم تلميذ أبي منصور الماتريدي، قرأ كتب الفلاسفة أمثال الكندي، وغيره، وكذلك كتب المعتزلة أمثال الجبائي، والكعبي، والنظام، وغيرهم، قال فيها: "لا يجوز إمساك تلك الكتب والنظر فيها، لكي لا تحدث الشكوك، وتوهن الاعتقاد ولكنه لا يرى نسبةَ الممسك بها إلى البدعة، كما اطلع على كتب الأشعري، وتعمق فيها، وقال بجواز النظر فيها بعد معرفة أوجه الخطأ فيها، كما اطلع على كتابي "التأويلات، والتوحيد" للماتريدي، فوجد في كتاب "التوحيد" قليل انغلاق وتطويل، وفي ترتيبه نوع تعسير، فعمد إلى إعادة تربيته وتبسيطه مع ذكر بعض الإضافات عليه في كتابه "أصول الدين".

- أخذ عن الشيخ "أبي اليسر البزدوي" جم غفير من التلاميذ، من أشهرهم:

ولده القاضي أبو المعالي أحمد، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية، وغيرها.

- توفي رحمه الله تعالى في بخارى في التاسع من رجب سنة ثلاثة وتسعين وأربعمائة.

* مرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة الماتريدية: (٥٠٠- ٧٠٠هـ): وامتازت بكثرة التأليف وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية، ولذا فهي أكبر الأدوار السابقة في تأسيس العقيدة.

ومن أهم أعيان هذه المرحلة: أبو المعين النسفي (٤٣٨- ٥٠٨هـ): هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد النسفي المكحولي. والنسفي نسبه إلى نسف وهي مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، والمكحولي نسبة إلى جده الأكبر، ولكن نسبه إلى بلده غلبت نسبه إلى جده، وله ألقاب عده من أشهرها: سيف الحق والدين.

ويعد من أشهر علماء الماتريدية، إلا أن من ترجم له لم يذكر أحدًا من شيوخه، أو كيفية تلقيه العلم، يقول الدكتور فتح الله خليف: "ويعتبر الإمام أبو المعين النسفي من أكبر من قام بنصرة مذهب الماتريدي، وهو بين الماتريدية كالباقلاني والغزالي بين الأشاعرة، ومن أهم كتبه "تبصرة الأدلة" ويعد من أهم المراجع في معرفة عقيدة الماتريدية بعد كتاب "التوحيد" للماتريدي. بل هو أوسع مرجع في عقيدة الماتريدية على الإطلاق، وقد اختصره في كتابه "التمهيد" له أيضًا كتاب "بحر الكلام" وهو من الكتب المختصرة التي تناول فيها أهم القضايا الكلامية.

- توفي رحمه الله تعالى في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسمائة، وله سبعون سنة.

- نجم الدين عمر النسفي (٤٦٢- ٥٣٧هـ) هو أبو حفص نجم الدين عمر ابن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان الحنفي النسفي السمرقندي، وله ألقاب عدة أشهرها: نجم الدين، ولد في نسف سنة إحدى أو اثنين وستين وأربعمائة.

- كان من المكثرين من الشيوخ، فقد بلغ عدد شيوخه خمسمائة، ومن أشهرهم: أبو اليسر البزدوي، وعبد الله بن علي بن عيسى النسفي، وأخذ عنه خلق كثير، وله مؤلفات بلغت المائة منها: مجمع العلوم، والتيسير في تفسير القرآن، النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح في شرح البخاري، وكتاب العقائد المشهور بالعقائد النسفية، والذي يعد من أهم المتون في العقيدة الماتريدية، وهو عبارة عن مختصر لتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي، قال فيه السمعاني في ترجمته له: "كان إمامًا فاضلاً متقنًا، صنف في كل نوع من التفسير والحديث.... فلما وافيت سمرقند استعرت عدة كتب من تصانيفه، فرأيت فيها أوهامًا كثيرة خارجة عن الحد، فعرفت أنه كان ممن أحب الحديث، ولم يرزق فهمه".

- توفي رحمه الله تعالى بسمرقند ليلة الخميس ثاني عشر من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

* مرحلة التوسع والانتشار: (٧٠٠- ١٣٠٠هـ): وتعد من أهم مراحل الماتريدية حيث بلغت أوج توسعها وانتشارها في هذه المرحلة، وما ذلك إلا لمناصرة سلاطين الدولة العثمانية، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية، فانتشرت في: شرق الأرض، وغربها، وبلاد العرب، والعجم، والهند، والترك، وفارس، والروم،

وبرز فيها أمثال: الكمال بن الهمام صاحب "المسايرة في العقائد المنجية في

الآخرة. والذي مازال يدرس في بعض الجامعات الإسلامية، وفي هذا الدور كثرت فيها تأليف الكتب الكلامية من: المتون، والشروح، والشروح على الشروح والحواشي على الشروح.

وهناك مدارس مازالت تتبنى الدعوة الماتريدية في شبه القارة الهندية، وتتمثل في:

- مدرسة ديوبند، والندوية (١٢٨٣هـ- ....) وفيها كثر الاهتمام بالتأليف في علم الحديث وشرحه، فالديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية، إلا أنهم متصوفة محضة، وعند كثير منهم بدع قبورية، كما يشهد عليهم كتابهم "المهند على المفند" لـ"الشيخ خليل أحمد السهارنفوري"، أحد أئمتهم، وهو من أهم كتب الديوبندية في العقيدة، ولا تختلف عنها المدرسة الندوية في كونها ماتريدية العقيدة.

- مدرسة البريلوي (١٢٧٢ هـ...) نسبة إلى زعيمهم "أحمد رضاخان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي الملقب بعبد المصفطى (١٣٤٠هـ) وفي هذا الدور يظهر الإشراك الصريح، والدعوة إلى عبادة القبور، وشدة العداوة للديوبندية، وتكفيرهم فضلاً عن تكفير أهل السنة.

- مدرسة الكوثري (١٢٩٦هـ....) وتنسب إلى الشيخ محمد زاهد الكوثري الجركسي الحنفي الماتريدي (١٣٧١هـ) ويظهر فيها شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، وجعل كتب السلف ككتب:

التوحيد، والإبانة، والشريعة، والصفات، والعلو، وغيرها من كتب أئمة السنة؛ كتب وثنية وتجسيم وتشبيه، كما يظهر فيها أيضًا شدة الدعوة إلى البدع الشركية وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل، انظر تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي وكتاب مقالات الكوثري.

ثالثًا: أهم الأفكار والمعتقدات: من حيث مصدر التلقي: قسم الماتريدية أصول

الدين حسب مصدر التلقي إلى:

- الإلهيات (العقليات): وهي ما يستقل العقل بإثباتها والنقل تابع له، وتشمل أبواب التوحيد والصفات.

- الشريعات (السمعيات): وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتًا ونفيًا، ولا طريق للعقل إليها مثل: النبوات. وعذاب القبر، وأمور الآخرة، علمًا بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات.

* ولا يخفى ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، حيث إن القرآن والسنة وإجماع الصحابة هم مصادر التلقي عندهم، فضلاً عن مخالفتهم في بدعة تقسم أصول الدين إلى: عقليات وسمعيات، والتي قامت على فكرة باطلة أصلها الفلاسفة من: أن نصوص الدين متعارضة مع العقل، فعملوا على التوسط بين العقل والنقل، مما اضطرهم إلى إقحام العقل في غير مجالات بحثه، فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلى التأويل والتفويض، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل السليم الصريح والنقل الصحيح.

* بناءً على التقسيم السابق فإن موقفهم من الأدلة النقلية في مسائل الإلهيات (العقليات) كالتالي:

- إن كان من نصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة مما هي قطعي الثبوت قطعي الدلالة عندهم، أي مقبولاً عقلاً، خاليًا من التعارض مع عقولهم، فإنهم يحتجون به في تقرير العقيدة.

وأما إن كان قطعي الثبوت ظني الدلالة عندهم، أي: مخالفًا لعقولهم، فإنه لا يفيد اليقين، ولذلك تؤول الأدلة النقلية بما يوافق الأدلة العقلية، أو نفوض معانيها إلى

الله عز وجل.

وهم في ذلك مضطربون، فليست عندهم قاعدة مستقيمة في التأويل والتفويض، فمنهم من رجح التأويل على التفويض، ومنهم من رجح التفويض، ومنهم من أجاز الأمرين، وبعضهم رأى أن التأويل لأهل النظر والاستدلال، والتفويض أليق للعوام.

والملاحظ أن القول بالتأويل لم يكن على عهد النبي ﷺ ولا أصحاب القرون المفضلة، وإنما هي بدعة دخلت على الجهمية والمعتزلة من اليهود والنصارى، وإلى التأويل يرجع ما أحدث في الإسلام من بدع فرقت شمل الأمة وهو أشر من التعطيل، حيث يستلزم التشبيه والتعطيل، واتهامًا للرسول ﷺ بالجهل، أو كتمان بيان ما أنزل الله. وأما القول بالتفويض فهو من أشر أقوال أهل البدع لمناقضته ومعارضته نصوص التدبر للقرآن، واستلزام تجهيل الأنبياء والمرسلين برب العالمين.

- وإن كان من أحاديث الآحاد فإنها عندهم تفيد الظن، ولا تفيد العلم اليقيني، ولا يعمل بها في الأحكام الشرعية مطلقًا بل وفق قواعدهم وأصولهم التي قرروها، وأما في العقائد فإنه لا يحتج بها، ولا تثبت بها عقيدة، وإن اشتملت على جميع الشروط المذكورة في أصول الفقه، وإن وردت مخالفة للعقل، ولا تحتمل التأويل ردت بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كانت ظاهرة فظاهرها غير مراد، وهذا موقف الماتريدية قديمًا وحديثًا، حتى إن الكوثري ومن وافقه من الديوبندية طعنوا في كتب السنة بما فيها الصحيحين، وفي عقيدة أئمة السنة مثل: حماد بن سلمة راوي أحاديث الصفات، والإمام الدارمي عثمان بن سعيد صاحب السنن. وهذا قول مبتدع محدث ابتدعته القدرية، والمعتزلة، لأن الأحاديث حجة عليهم وهو مخالف لفعل النبي ﷺ حيث كان يبعث الرسول إلى الملوك والرؤساء فرادى يدعوهم إلى الإسلام.

وكذلك فإن تقسيم ما ورد عن النبي ﷺ إلى متواتر وآحاد. لم يكن معروفًا في عصر الصحابة والتابعين.

- كما رتبوا على ذلك وجوب معرفة الله تعالى بالعقل قبل ورود السمع، واعتبروه أول واجب على المكلف، ولا يعذر بتركه ذلك بل يعاقب عليه ولو قبل بعثة الأنبياء والرسل. وبهذا وافقوا قول المعتزلة: وهو قول ظاهر البطلان، تعارضه الأدلة من الكتاب والسنة والتي تبين أن معرفة الله تعالى يوجبها العقل، ويذم من يتركها، ولكن العقاب على الترك لا يكون إلا بعد ورود الشرع، يقول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

وأن أول واجب على المكلف، وبه يكون مسلمًا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والبراءة من كل دين يخالف دين الإسلام على الإجمال، ولهذا لما أرسل رسول الله ﷺ معاذًا بن جبل إلى اليمن لم يأمره بغير ذلك، وكذلك الأنبياء لم يدعوا أقوامهم إلا بقول "اعبدوا الله ما لكم من إليه غيره".

- وقالا أيضًا بالتحسين والتقبيح العقليين، حيث يدرك العقل حسن الأشياء وقبحها، إلا أنهم اختلفوا في حكم الله تعالى بمجرد إدراك العقل للحسن والقبح، فمنهم من قال: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسول، كما سبق، ومنهم من قال بعكس ذلك.

- وذهبت كذلك الماتريدية كغيرها من الفرق الكلامية إلى أن المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث، ويقصدون بالمجاز بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، وهو قسيم الحقيقة عندهم،ولذلك اعتمدوا عليه في تأويل النصوص دفعًا- في ظنهم- لشبه التجسيم والتشبيه، وهو بهذا المعنى: قول مبتدع، محدث لا أصل له في اللغة ولا في الشرع.

ولم يتكلم فيه أئمة اللغة كالخليل بن أحمد، وسيبويه، فضلاً عن أئمة الفقهاء

والأصوليين المتقدمين.

- مفهوم التوحيد عند الماتريدية هو: إثبات أن الله تعالى في ذاته، لا قسيم له، ولا جزء له، واحد في صفاته، لا شبيه له، واحد في أفعاله، لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات، ولذلك بذلوا غاية جهدهم في إثبات هذا النوع من التوحيد باعتبار أن الإله عندهم هو: القادر على الاختراع، مستخدمين في ذلك الأدلة والمقاييس العقلية والفلسفية التي أحدثها المعتزلة والجهمية، مثل دليل حدوث الجواهر والأعراض، وهي أدلة طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم وأساطين الكلام والفلسفة وبينوا أن الطرق التي دل عليها القرآن أصح.

بين ذلك أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر، وابن رشد الحفيد في "مناهج الأدلة".

وشيخ الإسلام ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل".

وأيضًا خالفوا أهل السنة والجماعة بتسويتهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالإله عند أهل السنة: المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وما أرسلت الرسل إلا لتقرير ذلك الأمر، ودعوة البشرية إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

- أثبتوا لله تعالى أسماءه الحسنى،وقالوا: لا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه وجاء به الشرع.

وفي ذلك وافقوا أهل السنة والجماعة على القول بالتوقيف في أسمائه تعالى، إلا أنهم خالفوهم فيما أدخلوه في أسمائه تعالى، كالصانع، والقديم، والذات.... حيث لم يفرقوا بين باب الإخبار عن الله تعالى وباب التسمية.

- وقالوا بإثبات ثماني صفات لله تعالى فقط، على خلاف بينهم وهي: الحياة

القدرة العلم الإرادة، والسمع، البصر، الكلام، والتكوين.

وعلى أن جميع الأفعال المتعدية ترجع إلى التكوين، أما ما عدا ذلك من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة (الصفات الخبرية) من صفات ذاتية، أو صفات فعلية، فإنها لا تدخل في نطاق العقل، ولذلك قالوا بنفيها جميعًا.

أما أهل السنة والجماعة فهم كما يعتقدون في الأسماء يعتقدون في الصفات، وأنها جميعًا توقيفية، ويؤمنون بها، "بإثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، مع تفويض الكيفية وإثبات المعنى اللائق بالله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

- قولهم بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالى على الحقيقة، وإنما هو كلام الله تعالى النفسي، لا يسمع، وإنما يسمع ما هو عبارة عنه، ولذلك فإن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة، وهو قول مبتدع محدث لم يدل عليه الكتاب ولا السنة، ولم يرد عن سلف الأمة، وأول من ابتدعه ابن كلاب، فالله تعالى يتكلم إذا شاء متى شاء بما شاء، ولا يزال يتكلم كما كلم موسى، ويكلم عباده يوم القيامة، والقرآن كلام الله تعالى على الحقيقة، غير مخلوق، وكذلك التوراة والإنجيل والزبور. وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة من سلف الأمة الصالح ومن تبعهم بإحسان.

- تقول الماتريدية في الإيمان إنه التصديق بالقلب فقط، وأضاف بعضهم الإقرار باللسان، ومنعوا زيادته ونقصانه، وقالوا بتحريم الاستثناء فيه، وأن الإسلام والإيمان مترادفان، لا فرق بينهما، فوافقوا المرجئة في ذلك، وخالفوا أهل السنة والجماعة، حيث إن الإيمان عندهم: اعتقاد بالجنان، وقول اللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، ويجوز الاستثناء فيه (والمقصود عدم تزكية النفس، بادعاء حقيقة الإيمان أو كمال الإيمان) والإيمان والإسلام متلازمان، إذا اجتمعا

افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

* وافقت الماتريدية أهل السنة والجماعة في الإيمان بالسمعيات، مثل: أحوال البرزخ، وأمور الآخرة من؛ الحشر، والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار، لأنهم جعلوا مصدر التلقي فيها السمع، لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة.

- وبالتالي فإنهم يثبتون رؤية الله تعالى في الآخرة، ولكن مع نفي الجهة والمقابلة. وهذا قول متناقض حيث أثبتوا ما لا يمكن رؤيته، ولا يخفى مخالفته لما عليه أهل السنة والجماعة.

* كما وافقت الماتريدية أهل السنة والجماعة في القول في الصحابة على ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأ عن اجتهاد منهم، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم، لأن الطعن فيهم إما كفر، أو بدعة، أو فسق.

كما يرون أن الخلافة في قريش وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر، ولا يجوز الخروج على الإمام الجائر.

* وأيضًا وافقوا أهل السنة والجماعة في القول بالقدر، والقدرة، والاستطاعة، على أن كل ما يقع في الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته، وأن أفعال العباد من خير وشر من خلق الله تعالى، وأن للعباد أفعالاً اختيارية، يثابون عليها، ويعاقبون عليها، وأن العبد مختار في الأفعال التكليفية غير مجبور على فعلها.

قالت الماتريدية بعدم جواز التكليف بما لا يطاق، موافقة المعتزلة في ذلك، والذي عليه أهل السنة والجماعة هو التفصيل، وعدم إطلاق القول بالجواز أو بالمنع.

رابعًا: الجذور الفكرية والعقائدية: (نظرة تقويم)

يتبين للباحث أن عقيدة الماتريدية فيها حق وباطل، فالحق قد أخذوه عن أهل السنة من الحنفية السلفية، وغيرهم، لأن المستقرئ للتاريخ يجد أن الحنفية بعد الإمام أبي حنيفة- رحمه الله- تفرقوا فرقًا شتى في وقت مبكر، ولم يسر على سيرة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه إلا من وفقه الله عز وجل.

وقد كانت الغلبة في ذلك للأصناف المنتسبين للفرق المبتدعة من جهمية، ومعتزلة.

ولأن المصادر التاريخية لم تشر إلى كيفية تلقي أبي منصور الماتريدي العلم أو من تأثر بهم من العلماء، نستطيع ترجيح الآتي: -تأثر أبو منصور الماتريدي مباشرة أو بواسطة شيوخه بعقائد الجهمية من الإرجاء والتعطيل، وكذلك المعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية ظنا منه أنها عقيدة أهل السنة.

- تأثر بابن كلاب (٢٤٠هـ) أول من ابتدع القول بالكلام النفسي لله عز وجل في بدعته هذه، وإن لم يثبت بينهما لقاء، حيث توفي ابن كلاب قبل مولده، بل صرح شيخ الإسلام ابن تيمية أن منصور الماتريدي تابع ابن كلاب في عدة مسائل: الصفات، وما يتعلق بها، كمسألة القرآن هل سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته؟ ومسألة الاستثناء في الإيمان.

(مجموع الفتاوى ٧/٤٣٣، ومنهاج السنة ٢/٣٦٢)

خامسًا: الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت الماتريدية، وكثر أتباعها في بلاد الهند وما جاورها من البلاد الشرقية: كالصين، وبنغلاديش، وباكستان، وأفغانستان، كما انتشرت في بلاد تركيا، والروم، وفارس، وبلاد ما وراء النهر، والمغرب حسب انتشار الحنفية وسلطانهم، وما زال لهم

وجود قوي في هذه البلاد، وذلك لأسباب كثيرة منها:

١- المناصرة والتأييد من الملوك والسلاطين لعلماء المذاهب، وبخاصة سلاطين الدولة العثمانية.

٢- للمدارس الماتريدية دور كبير في نشر العقدية الماتريدية، وأوضح مثال على ذلك: المداري الديوبندية بالهند وباكستان وغيرها، حيث لا زال يدرس فيها كتب الماتريدية في العقدية على أنها عقيدة أهل السنة والجماعة.

٣- النشاط البالغ في ميدان التصنيف في علم الكلام، وردهم على الفرق المبتدعة الأخرى مثل الجهمية الأولى والمعتزلة والروافض.

٤- انتسابهم للإمام أبي حنيفة ومذهبه في الفروع.

*** يتضح مما سبق:**

أن الماتريدية فرقة كلامية نشأت بسمرقند في القرن الرابع الهجري، وتنسب إلى أبي منصور الماتريدي، مستخدمة الأدلة والبراهين العقلية والفلسفية في مواجهة خصومها من المعتزلة، والجهمية وغيرهما من الفرق الباطنية في محاولة لم يحالفها التوفيق للتوسط بين مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ومذاهب المعتزلة والجهمية وأهل الكلام، فأعلوا شأن العقل مقابل النقل، وقالوا ببدعة تقسيم أصول الدين إلى عقليات وسمعيات مما اضطرهم إلى القول بالتأويل والتفويض، وكذا القول بالمجاز في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد، وبالقول بخلق الكتب، ومنها: القرآن الكريم، وعلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى النفسي، مما قربهم إلى المعتزلة والجهمية في هذا الباب، وإلى المرجئة في أبواب الإيمان، وأهل السنة والجماعة في مسائل: القدر وأمور الآخرة وأحوال البرزخ، وفي القول بالإمامة، والصحابة ﷺ.

ولما كان مفهومهم للتوحيد أنه يقتصر على توحيد الخالقية، والربوبية، مما

مكن التصوف الفلسفي بالتغلغل في أوساطهم، فغلب على كبار منتسبيهم وقوى بقوة نفوذ وانتشار المذهب، لوجود أكثر من دولة تحميه وتؤيده، مثل الدولة العثمانية، فضلاً عن وجود جامعات ومدارس مشهورة تعمل على نشره، وانتسابهم لمذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع أثره البالغ في انتشار المذهب الماتريدي إلى اليوم.

* ومع هذا فإن للماتريدية خدمات جليلة في الرد على: المعتزلة والباطنية والفلاسفة الملحدين والرافض، ولهم جهود مشكورة في خدمة كتب الحديث[1].

- لقد تأثر الماتريدي بمذهب المعتزلة فأعطى للعقل سلطانًا على النص، وذهب إلى أن معرفة الله واجبة بالعقل، لكنه خالف المعتزلة بقوله: إن العقل لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية، بينما قال الأشعري بأن معرفة الله واجبة بالشرع لا بالعقل، وأنه لولا الرسل والأنبياء لما كلف الله أحدًا بمعرفته.

وبهذا وقف الماتريدية موقفًا وسطًا بين المعتزلة والأشاعرة.

كما قال الماتريدي أيضًا: بأن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها، كما قال المعتزلة تمامًا إلا أنه افترق عنهم بقوله: مع أن العقل يدرك الحسن والقبح إلا أنه لا تكليف إلا بالشارع الحكيم، فالعقل لا يستقل بالتكليف الديني، بينما قال المعتزلة: إن ما أدرك العقل حسنه واجب الفعل بتكليف العقل.

بينما ذهب الأشعري إلى أن الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه أو نهى عنه الشرع، فليس للأشياء حسنًا أو قبحًا ذاتيًا.

وفي قضية أفعال العباد يقول بالكسب كما قال الأشعري، إلا أنه يضع له مفهومًا يقربه من المعتزلة، فإنه يكون لقدرة أودعها الله في العبد.

وفي قضية الصفات الموهمة للتشبيه يميل إلى رأي المعتزلة في التأويل.

* وهكذا كان المذهب الماتريدي محاولة للتوفيق بين المعتزلة والأشاعرة، إلا أنها

(١) الموسوعة الميسرة ١/ ٩٩- ١٠٩.

محاولة لم يكتب لها النجاح، فقد كان الفرق شاسعًا، والبون بعيدًا بين منهج الأشعري، ومنهج المعتزلة، ما يجعل أي محاولة للتوفيق هي مجرد تلفيق ولعب بالألفاظ"[1].

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٦٧) وما بعدها، بتصرف، نقلاً عن "الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية" ص (١٥٦) بتصرف.

خلاصة الوحدة التاسعة

الماتريدية: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية.

- التأسيس: مرت الماتريدية كفرقة كلامية بعدة مراحل، ولم تعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها.

- أبرز الشخصيات:

١- أبو منصور الماتريدي. ٢- أبو اليسر البزدوي.

٣- أبو المعين النسفي. ٤- نجم الدين عمر النسفي.

- مرحلة التوسع والانتشار، انتشرت الماتريدية في شرق الأرض وغربها، وبلاد العرب والعجم والهند والترك وفارس والروم ومن مدارسها: مدرسة ديوبند- الندوية- البريلوي- الكوثري.

- أهم الأفكار والمعتقدات، تنقسم أصول الدين إلى الإلهيات والنبوات والسمعيات وعدم الأخذ بالأحاديث الآحاد لأنها تفيد الظن في العقائد والأحكام، ووجوب معرفة الله تعالى بالعقل قبل ورود السمع، وهو أول وجب على المكلف، وقالوا بالتحسين والتقبيح العقليين.

ومفهوم التوحيد هو إثبات أن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسيم له، ولا جزء له، واحد في صفاته، لا شبيه له، واحد في أفعاله، لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات. وقولهم بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالى على الحقيقة ويقولون في الإيمان إنه التصديق بالقلب فقط، وقالوا برؤية الله تعالى في الآخرة، وبين أهل السنة والجماعة والماتريدية عموم وخصوص، ونقاط التقاء، ونقاط اختلاف.

- الجذور الفكرية والعقائدية ترجع إلى تأثر الماتريدي إلى المذاهب التي كانت في عصره، من أهل السنة والجهمية والإرجاء والتعطيل والمعتزلة والفلاسفة ومنهج ابن كلاب.

- الانتشار ومواقع النفوذ في البلاد الشرقية كالصين وبنجلاديش وباكستان وأفغانستان، وتركيا والروم والفارس وبلاد ما وراء النهر، والمغرب.

اختبار الوحدة التاسعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- قامت الماتريدية معتمدة على استخدام الأثر في إثبات حقائق الدين. ( )

٢- تابع أبو منصور الماتريدي ابن كلاب في كثير من المسائل حتى أطلق عليه "إمام الهدى". ( )

٣- التقى منهج أبي منصور بمنهج أبي الحسن الأشعري في كثير من النتائج، مع أنه اتخذ لنفسه منهاجًا غير منهاج الأشعري. ( )

٤- ألف أبو منصور في باب الأسماء والصفات على طريقة الجهمية، فعطل كثيرًا من الصفات بحجة التنزيه.. ( )

٥- يعد أبو القاسم الحكيم، وأبو محمد البزدوي من أشهر أصحاب المذهب الماتريدي في مرحلة التكوين. ( )

٦- تعرف الحقبة التاريخية من عمر الماتريدية (٣٣٣هـ- ٥١٠هـ) بمرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة. ( )

٧- بلغت الماتريدية أوج توسعها وانتشارها في الفترة: (٧٠٠- ١٣٠٠هـ). ( )

٨- برز كتاب الكمال بن الهمام "بحر الكلام" في العقائد، حتى إنه ما زال يدرس في بعض الجامعات الإسلامية. ( )

٩- يرى الماتريدية أن أحاديث الآحاد تفيد الظن، ولا تفيد العلم اليقيني. ( )

١٠- قالت الماتريدية بجواز التكليف بما لا يطاق عقلاً، مشابهة لقول المعتزلة في ذلك. ( )

ثانياً: الأسئلة التحليلية

١- عرف الماتريدية، واذكر متى نشأت؟ ومن هم أبرز الشخصيات؟

٢- ما هي معتقدات وأفكار الماتريدية؟

٣- اشرح بالتفصيل أوجه الخلاف بين الماتريدية وأهل السنة والجماعة؟

٤- اكتب بحثًا عن الجذور الفكرية والعقائدية، ومكان الانتشار للمذهب الماتريدي؟

الوحدة العاشرة

الصفاتية

الوحدة العاشرة: الصفاتية

الأهداف الخاصة

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تبين فرقة الحشوية.

٢- تبين فرقة الكرامية.

٣- توضح المذهب السلفي، كمنهج وعقيدة.

الوحدة العاشرة
الصفاتية

- الحشوية
- الكرامية
- المذهب السلفي
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة العاشرة: الصفاتية

مدخل: كان السلف الصالح- رضوان الله عليهم- يثبتون لله تعالى الصفات الأزلية التي توجب له الكمال من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، والجود والإنعام، والعزة والعظمة، والرضا والغضب، ولم يكونوا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، وإنما كانوا يسوقون الكلام في ذلك كله سوقًا واحدًا، بل أكثر من ذلك يثبتون الصفات الخبرية، التي ورد ذكرها في الأخبار، مثل: اليدين والوجه، والساق، والقدم، والإصبع، والمجيء، والنزول... لورود الشرع بذلك ولكنهم كانوا يؤمنون بذلك ويثبتونه من غير تأويل لها ولا تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه ولا تعطيل.

يقولون: إنها صفات ورد الخبر بها، فنحن نؤمن بها، ونكل علم حقيقتها أو كيفيتها إلى الله تعالى.

ولما كان السلف يثبتون الصفات التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة سموا صفاتية، ولما كان المعتزلة ينفونها سموا معطلة، لأنهم ينفون زيادة الصفات على الذات الإلهية، فقط عطلوا مدلول الصفة عن معناه.

ثم بالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثين، واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها وما ورد به الخبر، فافترقوا فرقتين: فمنهم من أوله على وجه يحتمله اللفظ، ومنهم من توقف في التأويل، وقال: عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها، وقطعنا بذلك، إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه، مثل قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ومثل قوله تعالى ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾

[ص: ٧٥] ومثل قوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] إلى غير ذلك، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له، وليس كمثله شيء، وذلك قد أثبتناه يقينًا.

ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا لابد من إجرائها على ظاهرها، فوقعوا في التشبيه الصرف، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف.

ولقد كان التشبيه صرفًا خالصًا في اليهود، لا في كلهم بل في القرائين منهم، إذ وجدوا في التوراة ألفاظًا كثيرة تدل على ذلك ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير، أما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالإله تعالى وتقدس وأما التقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق.

ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير، ووقعت في الاعتزال وتخطت جماعة من السلف إلى التفسير الظاهر فوقعت في التشبيه.

وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل، ولا راموا إلى التشبيه، فمنهم: مالك ابن أنس ﷺ إذ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب؛ والسؤال عنه بدعة، ومثله: أحمد بن حنبل- رحمه الله- وسفيان الثوري، وداود بن علي الأصفهاني، ومن تابعهم.

حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي، وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصولية[1].

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص (٩٢، ٩٣) بتصرف "ومحاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية" ص (١٩- ٢١) بتصرف.

ويقول الإمام الشهرستاني عن أهل السنة والسلف وموقفهم من النصوص الموهمة للتشبيه الواردة في الكتاب والسنة: "... فقالوا نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعًا أن الله عز وجل لا يشبه شيئًا من المخلوقات، وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره، وكانوا يحترزون من التشبيه إلى غاية أن قالوا من حرك يده عند قوله تعالى: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]. أو أشار بإصبعيه عند روايته "**قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن**"[١] وجب قطع يده وقلع إصبعيه.

وقالوا إنما توقفنا في تفسير الآيات وتأويلها لأمرين.

أحدهما: المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: ٧] فنحن نحترز من الزيغ.

والثاني: أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري بالظن غير جائز، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى، فوقعنا في الزيغ، بل نقول كما قال الراسخون في العلم: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾، آمنا بظاهره، وصدقنا بباطنه، ووكلنا علمه إلى الله تعالى، ولسنا مكلفين بمعرفة كنه ذلك، إذا ليس ذلك من شرائط الإيمان وأركانه.

واحتاط بعضهم فرفض ترجمة هذه الكلمات بما تعنيه من معاني في اللغات

---

(١) رواه مسلم.

الأخرى"[1] فعقيدة السلف قامت في الأسماء والصفات على أساس أنهم يثبتون لله تعالى ما أثبت لنفسه سبحانه، دون تمثيل أو تأويل، وينفون عن الله سبحانه ما نفي عن ذاته دون تعطيل "هذه هي قاعدتهم في ذلك".

فالله تعالى أثبت لذاته اليد والوجه والأصابع، والنزول والاستواء، وما هو مذكور في القرآن والسنة من جنس ذلك، فهم يثبتون ذلك، ثم إن الله تعالى نفي عن ذاته مماثلة المخلوقات وشبهها، فقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] فهم ينفون المماثلة والمشابهة كما نفاها ربنا سبحانه عن ذاته.

وعباراتهم الجامعة في هذا المجال قولهم: نؤمن بأن لله يدًا، لكنها ليست كالأيدي، وله تعالى وجه، لكنه ليس كالأوجه، وله تعالى نزول ليس كما هو عند المخلوقات، وهكذا عباراتهم، تثبت ما أثبت الله تعالى، وتنفي ما نفاه.

وأما المؤولة: وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة، ومن جرى مجراهم، وسار على خطاهم.

فهؤلاء وأولئك لم يقبلوا الإيمان بالآيات والأحاديث الموهمة للتشبه على ما وردت عليه، وتفويض العلم بها إلى الله سبحانه، وإنما صرفوا هذه الآيات عن ظاهرها، وأولوها إلى معان تحتملها لغة العرب، وقالوا إن الإيمان بها على ظاهرها فيه تشبيه وتجسيم وتمثيل، وهو مناف لما يجب لله سبحانه من التنزيه والسمو عن صفات الحوادث.

ومن ثم فقد أولوا "اليد" بالقوة" والوجه بالذات، و"العين" بالعناية والرعاية، و"الاستواء" بالتسلط والتملك و"النزول" بنزول ملائكة الله تعالى، إلى آخر هذه المعاني التي أولوا بها الآيات والأحاديث التي توهم التشبيه.

(١) الملل والنحل جـ١ ص (١٠٤، ١٠٥) بتصرف.

وكما ضل هؤلاء المؤولة في مفهوم الأسماء والصفات إلا أنهم يعتبرون من المسلمين، فإن قومًا وفرقًا أخرى قد ضلت في مفهوم الأسماء والصفات، وخرجت بذلك من دائرة الإسلام، ومثالهم: الحشوية والكرامية وغلاة الشيعة، وقد سبق الكلام عن غلاة الشيعة، فنشير هنا إلى الحشوية والكرامية.

الفرقة الأولى: "الحشوية":

الحشوية تنطق بتسكين الشين وتحريكها فتحًا، وهم جماعة من أهل الحديث أسرفوا في التمسك بظاهر الآيات والأحاديث حتى وقعوا في التشبيه والتجسيم.

"وهم منسوبون إلى "الحشو" وهم الغوغاء، أو أراذل الناس"[١].

والحشوية لقب تحقير أطلق على أولئك الفريق من أصحاب الحديث الذين اعتقدوا صحة الأحاديث المسرفة في التجسيم من غير تفويض، بل فضلوها على غيرها، وأخذوها بظاهر لفظها"[٢].

مبادؤهم: تقوم مبادؤهم على التجسيم المطلق بلا حدود. فيرون أن إلههم جسم له طول وعرض، وعمق، وتجوز عليه الملامسة والمصافحة والمكافحة، وقد يمرض ويصح، وقد يكون جسمه أجوف في بعضه مصمتًا في بعضه الآخر.

يقول "الشهرستاني" في وصف مذاهب القوم: "وأما مشبهة الحشوية، فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن: مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المؤمنين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة.

وحكى "الكعبي" عن بعضهم أنه تجوز رؤيته في الدنيا والآخرة، ويجوز أن

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج٣ ص (٤٤٧).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج٧ ص (٤٣٩) بتصرف.

يزوروه ويزروهم.

وحكى عن "داود الجواربي" أنه قال: أعفوني عن الفرج واللحية، وأسألوني عما وراء ذلك.

وقال: إن معبوده جسم، ولحم، ودم، وله جوارح وأعضاء من يد، ورجل، ورأس، ولسان، وأذنين، وعينين، ... وحكي عنه أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت فيما عدا ذلك، وأن له وفرة سوداء، وله شعر قطط، "تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا".

وأما ما ورد في التتريل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والإتيان والفوقية، وغير ذلك، فقد أجروها على ما هو متعارف في الأجسام...

وزادوا في ذلك أخبارًا وأكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ، وأكثرها مأخوذ عن اليهود، فإن التجسيم فيهم طباع.

حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وإن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الحديد، وإنه ليفضل عن العرش من كل جانب أربع أصابع"(١).

* ومن مبادئهم- سوى ذلك- أن القرآن قديم، وأن حروفه وأصواته، والأرقام المكتوبة، كل ذلك قديم، يقولون ذلك رغم أنهم يرون أن الإنسان يكتب بيده حروف القرآن ولم تكن موجودة على الصحيفة قبل الكتابة، وقد يمحوها بعدما كتبها، فتصبح معدومة، ولكنهم رغم ذلك يستمسكون بما لهم من آراء.

وآراؤهم في التجسيد والتشبيه تخرجهم عن ملة الإسلام جملة وتفصيلاً، لا

(١) الملل والنحل ج١ ص (١٠٥، ١٠٦).

يخالف في ذلك إلا من هو على شاكلتهم.

* ومن مبادئهم- سوى التجسيد- أنهم لا يستدلون على وجود الله سبحانه وصفاته، وعلى العقائد بصفة عامة إلا بالنص القرآني، ويرفضون الاستدلال بالعقل على شيء من أمور الدين، رغم أن القرآن يحتوي على كثير من الأدلة العقلية التي ألزم بها المعاندين، ولذلك فشلوا في مجادلة غير المسلمين، لأن الاحتجاج بالنص لا يصلح إلا لدى المؤمن به، أما الكافر بالنص فلا يصلح معه.

وكيف نستدل بالنص على كافر به؟ لذلك عدهم "أبو الوليد ابن رشد" في كتابه "مناهج الأدلة" من أصحاب المناهج الفاسدة والدلائل الباطلة[١].

الفرقة الثانية "الكرامية":

فرقة تنسب إلى "أبي عبد الله محمد بن كرام" المتوفى ٢٥٥هـ، كان من "سجستان".

ثم مال إلى التجسيم الذي أخذه عن اليهود، وعن الثنوية المجوسية، ثم خرج إلى "نيسابور" في أيام "محمد بن طاهر بن عبد الله" فتصنع أمامه الزهد والتقوى، فاغتر به جماعة كبيرة من الغوغاء والعوام وسواد الناس، فلما تمكن من قلوبهم بزهده المصطنع- دعاهم إلى بدعته وضلالته في التجسيم.

يقول عنه الشهرستاني: "ونبغ رجل متنمس[٢] بالزهد من سجستان، يقال له: أبو عبد الله محمد بن كرام، قليل العلم، قد قمش[٣] من كل مذهب ضغثا[٤]، وأثبته

---

(١) دليل الفرق الإسلامية ص (١٧٩- ١٨١) بتصرف.

(٢) متستر متصنع.

(٣) أخذ وانتزع.

(٤) الضغث: الحزمة، والمراد هنا ما جمعه الرجل من الآراء الفاسدة.

في كتابه، وروجه على أغتام[1] غرجة، وغور، وسواد بلاد خراسان، فانتظم قاموسه، وصار ذلك مذهبًا، وقد نصره "محمود بن سبكتكين" السلطان، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم... وهم مجسمة"[2] وقد تفرع عن ضلالات ابن كرام طوائف كثيرة، أوصلها بعضهم إلى اثنتي عشرة طائفة.

ويهمنا هنا أن نتكلم بإيجاز- عما يجمع هذه الطوائف من مبادئ.

*** مبادؤهم:**

ذهب "أبو عبد الله محمد بن كرام" إلى أن إلهه مستقر على العرش بجسمه، وأنه في الجهة الفوقانية، وأنه جوهر واحد، وأنه مماس للعرش من الجهة العليا.

وجوز ابن كرام على معبوده الانتقال والصعود والنزول والتحول.

وذهب بعض أتابعه إلى أن العرش امتلأ بالإله- جل الله عما يقولون- ثم إن من الكرامية من أثبت له النهاية من ست جهات، ومنهم من أثبت له النهاية من جهة واحدة هي الجهة التحتانية، ومنهم من أنكر النهاية له، وقال إنه عظيم.

* من مبادئهم- سوى التجسيم- القول بالحسن والقبح الذاتيين العقليين كمذهب المعتزلة.

* ومن مبادئهم كذلك قيام الحوادث بذاته، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا[3].

المذهب السلفي:

السلف هم أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون وكل من سار على نهجهم

---

(١) العوام والدهماء والجهال.

(٢) الملل والنحل ج١ ص (٣٢) نقلا عن/ تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٨٠، ١٨١).

(٣)

وسلك طريقهم إلى يوم الدين.

وقد ظهر هذا المصطلح بعد ظهور الفرق والمناهج والعقائد المخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ويعد الإمام "أحمد بن حنبل" أول من أحيا عقيدة السلف، كما يعد "ابن تيمية" مجدد المذهب في القرن السابع الهجري، كما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدده في القرن الثاني عشر الهجري.

وأما باعثوا السلفية في العصر الحاضر فهم جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة أنصار السنة، والجمعية الشرعية، ومن قبلهم الشيخ أحمد شاكر، وكذلك الشيخ رشيد رضا- وإن كان ينتمي إلى المدرسة العقلانية الحديثة- وغيرهم ممن حاولوا رد الناس إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، بعيدًا عن البدع والانحرافات، مع بعض الفوارق والخلافات في المنهج بين هذه الجماعات، ويطلق على السلف مصطلح أهل السنة والجماعة؛ لأنهم على كتاب الله وسنة رسوله يجتمعون ولا يتفرقون.

وإن كان الأشاعرة يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة أيضًا، وينازعهم السلفيون في ذلك من حيث إن آراء الأشاعرة في كثير من القضايا لا تتفق مع السلفيين.

إذاً فالسلفية كمصطلح تطلق على طريقة السلف في فهم الإسلام وتطبيقه، وهي كمنهج تطلق على طريقة الكتاب والسنة بالوقوف عند النص والعلم به والالتزام بمقتضاه دون تأويل أو تعطيل.

* المنهج السلفي:

لاحظنا فيما مضى أن منهج معالجة العقيدة في عصر رسول الله ﷺ كان هو منهج الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان، ولكن بعد حدوث الفتن والتفرق ونقل الفلسفات اليونانية والهندية، ظهرت مناهج أخرى تزعم أن العقل هو مصدر العقيدة،

ولم تضع أي اعتبار للنص الذي نظرت إليه نظرة متدنية فهو للعامة لا للخاصة، كما ظهرت مناهج المعتزلة التي اعترفت بالنقل ولكنها قدمت عليه العقل وحكمته فيه.

كذلك لاحظنا منهج الأشاعرة الذي جمع بين العقل والنقل وجعل التقدم للنقل، إلا أنهم أضافوا بعض المقدمات العقلية بجوار الأدلة القرآنية، وخلطوا الفلسفة بعلم الكلام، واعتبروا أن المقدمات العقلية، والفلسفية ضرورية لفهم الأدلة القرآنية، والعقائد الإيمانية.

ومن هنا تضخمت كتب علم الكلام حتى أصبح التمييز بين ما هو عقيدة وما هو فلسفة أمرًا يحتاج إلى جهد جهيد، وقد تجسدت هذه المناهج في كتب متأخري الأشاعرة مثل الرازي والآمدي وعضد الدين الإيجي وسعد الدين التفتازاني.

ومن هنا كان ظهور "ابن تيمية" الذي حاول أن يعيد العقيدة ومنهجها إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ونستطيع أن نحدد معالم المنهج السلفي من خلال فكره في النقاط التالية:

١- تجريد المسائل العقدية من المسائل الفلسفية وعرض قضايا العقيدة بطريقة مبسطة بعيدة عن تعقيدات كتب علم الكلام.

٢- الاعتماد على الكتاب والسنة واحترام النص، ثم يأتي دور العقل بعد ذلك في التصديق والإذعان، ومحاولة تقريب المنقول إلى المعقول، ولا يفهم من ذلك أن السلف قد أهملوا العقل، ذلك أن منهج القرآن هو منهج العقل الصحيح، فما وافق القرآن فهو المعقول وما خالفه فهو غير المعقول، لأن القرآن قد خاطب العقل وحثه على العمل والتفكير والنظر، ومن غير المعقول أن يأمره بالعمل ثم يخاطبه بما يناقضه، ومع ذلك فالعصمة في النقل، لأنه وحي الله الصادق، وأما العقل فهو معرض للخطأ، ولذلك يضل العقل حين يبتعد عن نصوص القرآن

والسنة، ومن هنا لاحظنا اختلاف العقول، وتضارب الأفكار حين تبتعد عن الوحي الصحيح.

فمن صفات العقل: الخطأ، والشك، والوهم، والمحدودية والتناهي. والوحي على نقيض ذلك، فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حقًا، إن هناك قضايا لابد من تقديم العقل فيها مثل قضية وجود الله وإثبات النبوة، ولكن العقل في النهاية بعد أن يثبت ذلك عليه أن يخضع نفسه لمقتضيات النبوة والتصديق بكل ما يأتي به النبي ﷺ.

٣- عدم تأويل النقل وتمرير الآيات كما جاءت مع عدم التشبيه.

٤- الاعتماد على منهج القرآن في تقرير العقائد، لأن طريقته ملائمة للعقل والفطرة والوجدان، بعيدًا عن طرق المتكلمين الجافة التي تحتاج إلى جهد جهيد في فهمها وتفهيمها للناس، بينما طرق القرآن وأدلته تتميز بالبساطة والوضوح ومخاطبة الخاصة والعامة معًا بما يرضي العقول ويمتع الوجدان ويحرك المشاعر.

وقارن على سبيل المثال بين قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦] وبين أدلة المتكلمين على وجود الله وبراهين الحدوث والإمكان، وغير ذلك من أدلتهم العقلية.

٥- معالجة العقيدة لمتطلبات الواقع، لذلك نجد أن السلفيين في معالجتهم لقضايا التوحيد يفصلون تفاصيل لم يتناولها من سبقهم، وذلك لمعالجة مشاكل وبدع طرأت على المجتمع الإسلامي أخلت بقضية التوحيد، ومن هنا كان حديثهم عن توحيد الألوهية والربوبية بطريقة لم تتناولها كتب الأشاعرة والمعتزلة، وربطهم بين قضية التوحيد وما طرأ على المجتمع الإسلامي من بدع المقامات والموالد،

وتنحية الشريعة الإسلامية من مجال الحكم، وغير ذلك من المشكلات التي لم يكن لها وجود في العصور الأولى.

*** عقيدة السلف :**

لقد كان موقف السلف من قضية الصفات الإلهية موقفًا مميزًا عن مواقف سائر الفرق الكلامية، وقد بينا فيما سبق أن المعتزلة والجهمية قد نفوا الصفات جملة وردوها إلى الذات، كما بينا أن الأشاعرة قد أثبتوا لله صفات المعاني، والصفات النفسية فضلاً عن الصفات السلبية والخبرية، إلا أنهم ردوا صفات الأفعال إلى صفات القدرة، كما فوضوا العلم إلى الله في الصفات الخبرية.

أما السلف فقد أثبتوا كل ما أثبته الله لنفسه من الصفات، وقالوا بتغاير المفهوم بين الذات والصفة.

وبذلك خالفوا المعتزلة والجهمية من النفاة والمعطلة، ووافقوا الأشاعرة من جهة وخالفوهم من جهة أخرى في أنهم أثبتوا من صفات الكمال ما هو أكثر من صفات المعاني السبع، فقد أثبتوا الرأفة والرحمة والحكمة والإحسان واللطف والخلق والرزق وغير ذلك من صفات الأفعال التي وردت في القرآن الكريم والسنة على التفصيل[1].

كذلك خالف السلف المتكلمين السابقين في قضية التوحيد فبينما تحدث السابقون عن وحدانية الذات والصفات والأفعال، تحدث السلف عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

١- أما عن توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والتأثير والتقدير، وقالوا بأن هذا النوع من التوحيد لا يترتب عليه النجاة في الآخرة، ولا يثبت الإيمان

---

(١) راجع/ الرسالة الالترمدية لابن تيمية.

والإسلام في الدنيا، فقد أقر به عباد الأصنام، واعترف به إبليس وفرعون، ولم ينفعهم ذلك لأنهم عبدوا غير الله، وخالفوا أمره وألحدوا في أسمائه وصفاته، كما قال القرآن الكريم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

٢- توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بعبادته، وهذا يقتضي أمرين:

أحدهما: ألا يتجه بالعبادة إلا إلى الله، ومن أشرك في العبادة مع الله شخصًا آخر أو شيئًا فقد أشرك، ومن تقدم إلى المخلوق بشيء من أنواع العبادة مثل الحكم بقانون البشر أو الدعاء أو السجود أو النذر أو أي ضرب من ضروب العبادة فقد أشرك بالله شرك ألوهية يجعله مسلمًا عاصيًا أو فاسقًا، ولكنه لا يخرجه من الملة حتى يستتاب وتقام عليه الحجة.

يقول ابن تيمية: "والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم كان مبتدعًا في الدين، مشركًا برب العالمين، متبعًا غير سبيل المؤمنين، ومن سأل الله بالمخلوقين أو أقسم عليه بالمخلوقين، كان مبتدعًا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان"(١).

وثانيهما: أن نعبد الله سبحانه بما شرعه على ألسنة رسله، ولا نعبده إلا بواجب أو مستحب أو مباح قصد به الطاعة والشكر"(٢).

ومن هنا نلاحظ أن موقف السلف من التوحيد مختلف عن موقف المتكلمين الذين ركزوا على توحيد الربوبية وتوحيد الصفات أكثر من تركيزهم على توحيد الألوهية.

ويعترض البعض على منهج السلف في تقسيم التوحيد على هذا النحو السابق إذ لم يقل به النبي ﷺ، فمن أين أتى به ابن تيمية وابن القيم؟

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٧٢).

والجواب أن كثيرًا من مباحث علم الكلام لم يقل بها الرسول ﷺ، وسائر التقسيمات في العلوم المختلف على النحو المذكور في الكتب، ولكن هذا الأمر كان اجتهادًا من العلماء اقتضته ظروف البحث في هذا العلم، ومع ذلك فكل هذه الاجتهادات لها أدلة من القرآن الكريم، فتوحيد الذات والصفات والأفعال عند المتكلمين له أدلته، كما أن توحيد الربوبية والألوهية عند السلف له شواهده من الكتاب الكريم.

غاية ما في الأمر أن هناك بدعًا وانحرافات ظهرت في عصر ابن تيمية، ولم تكن موجودة من قبل مما دفعه إلى معالجة هذه البدع من خلال حديثه عن التوحيد على هذا النحو المذكور.

* الصفات الخبرية:

قلنا إن السلف لم يتوقفوا في الإثبات عند الصفات السبع المعروفة بصفات المعاني، بل أثبتوا كل ما أثبته القرآن الكريم وأثبتته السنة لله رب العالمين بالتفصيل، وكان من هذه الصفات ما يوهم ظاهره المشابهة بين الله وخلقه مثل صفات اليد والاستواء، والضحك والفرح وغيرها مما عرف بالصفات الخبرية، وقد سبق أن تعرفنا على موقف المعتزلة والأشاعرة من هذه الصفات، حيث أولها المعتزلة تأويلاً تفصيليًا بصرف اللفظ عن ظاهره، وتعيين معنى آخر من عند أنفسهم. بينما اعتبرها الأشاعرة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. فصرفوها عن الظاهر وفوضوا العلم في المعنى والكيفية إلى الله.

وأما ابن تيمية وابن القيم الذين يعبرون عن المذهب السلفي، فقد كان لهم موقف خاص من الصفات الخبرية حيث لم يعتبروا آيات الصفات الخبرية من المتشابه

الذي لا يعلم معناه، وإنما اعتبروها من المحكم المعلوم المعنى.

وقالوا: بأن التشابه به في هذه الآيات أمر نسبي، بمعنى أن ما يشتبه على هذا قد لا يشتبه على ذلك، فهناك آيات اشتبهت على الجهمية كقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فذهبوا إلى نفي الصفات جملة، ولكن العلماء فسروها بما أبان اشتباهها بحيث أصبحت من المحكم المعلوم المعنى.

إذًا فهذه الصفات لها معاني ثابتة ومعلومة، ولابد من إجرائها على ظاهرها، ولكن كيفيتها الله أعلم بها، ونحن لم نطالب إلا بمعرفة معنى الآية وتدبر معناها ولم نكلف العلم بكيفيتها، لأن معرفة الكيفية والحقيقة هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

وهكذا فرق ابن تيمية علم المعنى وعلم التأويل. فالمعنى يتعلق بمفهوم اللفظ، وأما التأويل فيتعلق بالكيفية. والذي كف السلف أنفسهم عن الخوض فيه هو البحث عن الكيفية.

كما قالوا: لو كانت آيات الصفات غير معلومة لنا لخرج معظم القرآن عن أن يكون مفهومًا لنا، وهذا معارض لمنهج القرآن الذي أمر بتدبير آياته، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ [النساء: ٨٢] والحث على تدبر القرآن وفق معناه يناقض القول بأن هناك آيات لا معنى لها أو لا يفهم معناها، أو يجب الكف عن بيان معناها أو التفويض فيها[1].

وقد أقام ابن القيم هذا المذهب على أساس نفيه للمجاز في القرآن حيث قال: إن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا شرعيًا ولا عقليًا ولا لغويًا، وليس صحيحًا ما ادعاه البعض من أن الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز هو

(١) ابن تيمية د/ محمد السيد الجليند ص (٥٨).

اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، فالقرآن كله حقيقة لا مجاز فيه[1] وهكذا فكل الصفات الخبرية من قبيل الحقيقة المعلومة المعنى، وأما عبارة الإمام مالك التي استدل بها الأشاعرة على مذهبهم في التفويض، فقد فسرها أساتذة المذهب السلفي بما يتفق ورأيهم السابق.

حيث قالوا مفاد النص: أن هناك معنى معلومًا لنا يجب علينا الإيمان به، وأن هناك كيفًا مجهولاً عنا، والسؤال عنه بدعة، فهناك فرق بين معنى الاستواء وبين كيفيته، فما دام الاستواءِ معلومًا فالآية ليست من المتشابه، وإنما من المحكم المعروف المعنى والتفسير، وإنما الذي استأثر الله بعلمه هو الكيفية، ولم يكلفنا الله إلا بمعرفة الآية وتدبر معناها، ومن هنا فلله يد وقدم واستواء، وعلو ونزول وغير ذلك، ولابد من إجراء اللفظ على ظاهر معناه مع عدم البحث عن كيفيته.

وقال أساتذة المذهب السلفي بأن هذا هو ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، فقد كانوا يعرفون معاني هذه الآيات، ولم يثر موضوع المعنى أمامهم أي مشكلة، وهذا هو ابن مسعود يقول: "لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه أباط الإبل لأتيته".

وكان صحابة رسول الله ﷺ يحفظون العشر آيات من كتاب الله ولا يجاوزونها حتى يفهموا معناها، ويعملوا بما فيها، فلو كانت الصفات الخبرية غير معلومة لهم لسألوا عنها. وهكذا يبرز أمامنا الخلاف بين الأشاعرة وبين ممثلي المذهب السلفي حول نقطة محددة وهي: التفويض وهل هو في المعنى أو في الكيفية.

فالأشاعرة يقولون إنه في المعنى والكيفية، وبناء عليه يصرفون اللفظ عن ظاهره دون تحديد معنى أو كيفية.

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم ص (٢٨٤).

وابن تيمية وابن القيم يقولون: إن التفويض هو في الكيفية دون المعنى، فهو معلوم عندهم، ومن هنا قالوا بإجراء اللفظ على ظاهره.

ولكن نضيف في نقطة الخلاف هذه حين نعلم أنهما معًا، قد اتفقا على عدم المشابهة بين الله وخلقه بأي وجه من وجوه التشابه، فلله يد، ولكن ليست كأيدي العباد، وله وجه، ولكن ليس كأوجه العباد، وهكذا فالخالق ليس كمثله شيء ولا يشبه شيئًا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه.

وأما معتقد السلف في قضية أفعال العباد، فقد قال ابن تيمية: بأن الله خالق لكل شيء، والعبد فاعل ومريد ومختار، وأن فعله حقيقة لا مجازًا، وبذلك جمع بين أدلة القائلين بالجبر وبين أدلة القائلين بالاختيار، إلا أنه لم يوفق في حل هذا الإشكال[1].

ولكن ما أخذ على ابن تيمية في جملة معتقداته التي نسبها إلى السلف هو اعتقاده بفناء النار، وقوله بقيام الحوادث بذاته سبحانه وتعالى: وإن كانت نسبة هذه الأقوال إلى ابن تيمية وابن القيم موضع أخذ ورد من المؤيدين لابن تيمية والمعارضين له[2].

السلفية اليوم:

كلمة السلفية- كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي- من الكلمات التي ظلمت اليوم من أنصارها وخصومها معًا.

أما أنصارها فقد حصروها في شكليات وجدليات حول مسائل الصفات المتشابهة واليد والاستواء والعين والقدم، أو مسائل شكلية مثل الخلاف في الأذان الأول والثاني يوم الجمعة، والأذكار عقب الصلوات، وتطويل الثوب وتقصيره وحلق

(١) أفعال الله وأفعال العباد د/ سعد الدين السيد صالح ص (٦٣).

(٢) الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة د/ سعد الدين السيد صالح ص (١٥٧، ١٦٦) بتصرف.

اللحية وإطلاقها، وغير ذلك من المسائل التي تتحمل الخلاف، ولكن يصرون على رأي واحد ويخطئون المخالفين ويكفرونهم ويفسقونهم ويبدعونهم، حتى خيل لبعض الناس أن منهج السلف هو منهج المراء والمجادلة لا منهج البناء والعمل.

وأما خصوم السلفية فهم يصفونها بالرجعية والجمود والانغلاق والتعصب، فهي لا تسمع إلى الرأي الآخر، ولا تلقي له بالاً، كما أنها ضد التجديد والإبداع والاجتهاد، وأنها لا تعرف الوسط والاعتدال.

والحقيقة أن هذا ظلم للسلفية الحقيقية ولدعاتها الأصلاء، ولعل أبرزهم ابن تيمية وابن القيم، وهما أول من يمثل حركة التجديد الإسلامي في أزمنتهم، ولقد كان تجديدهم شاملاً لكل علوم الإسلام، وقد وقفوا في وجه التقليد والعصبية المذهبية الفقهية والكلامية التي سادت وسيطرت على العقل الإسلامي قرونًا، ومع أنهم وقفوا ضد المذهبية المقلدة، وأنصفوا المذاهب وأعطوها حظًا من التوقير والتقدير، كما يبدوا ذلك في رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية.

فالسلفية كما نراها هي:

- سلفية المنهج الذي يمكن أن يعالج من خلاله أي مضمون وأي محتوى.
- وهي سلفية ثورية بمعنى أن دورها ليس دورًا تبريريًا للواقع القائم إذا كان هذا الواقع لا يعبر عن الإسلام الصحيح.
- وهي حركة معاصرة بمعنى أنها تعبر عن أوضاع العصر وتعالجها من منطلق العودة إلى الأصول، فإن هذه الأمة لن تصلح إلا بما صلح به أولها.
- وهي ليست حركة منغلقة على نفسها، بل منفتحة على العصر، تتعامل مع سائر الحضارات، وتأخذ منها ما لا يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
- والسلفية منهج وطريقة- كل من يسير عليها فهو سلفي- وليست سلفية

مضمون ومحتوى فقط، لأن السلف قديمًا واجهوا مشكلات غير التي يواجهها المسلمون في العصر الحديث، ومن هنا كان لابد للسلفية في المنهج من عصرية المواجهة واتساع الأفق وتجاوز الخلافات ومعايشة العصر بمنطق العصر ما دام ذلك لا يخل بجوهر المنهج ولا يخرج على أصل من الأصول المتفق عليها في الكتاب والسنة.

وهذا يستلزم البعد عن المسائل الخلافية ومحاولات نفي الآخر وتجنب سوء الظن بالناس، والاجتماع على نقاط الاتفاق، والعذر بالجهل والخلاف، وعدم التوسع في مفهوم البدعة بهذه الصورة التي تفرق ولا تجمع"[1].

ولما كانت السلفية كلمة مرادفة لمفهوم أهل السنة والجماعة، فإننا نختم بحثنا هذا بالكلام عن أهل السنة والجماعة، كمنهج وسط، ومنهج متكامل.

---

(١) أولويات الحركة الإسلامية د/ يوسف القرضاوي، الفرقة والجماعات الإسلامية المعاصرة د/ سعد الدين السيد صالح.

خلاصة الوحدة العاشرة

أهم المتكلمين في الصفات: الحشوية- الكرامية- السلفية.

الحشوية: قوم تمسكوا بظاهر الآيات والأحاديث حتى وقوعوا في التشبيه والتجسيم.

الكرامية: قالوا بالجسمية، قالوا بالجهة، وقيام الحوادث بذات الله تعالى.

والقول بالحسن والقبح الذاتيين العقليين كمذهب المعتزلة.

السلفية: أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

اختبار الوحدة العاشرة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- من مبادئ عقيدة السلف: إثبات صفات الذات ونفي صفات الفعل. ( )

٢- المؤولة هم الذين يقبلون الإيمان بالآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه. ( )

٣- تقوم مبادئ الحشوية على التجسيم المطلق بلا حدود. ( )

٤- من مبادئ الكرامية: عدم قيام الحوادث بذات الله تعالى. ( )

٥- ظهر مصطلح "المذهب السلفي" بعد ظهور الفرق والمناهج المخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. ( )

٦- من معالم المنهج السلفي: معالجة العقيدة لمتطلبات الواقع. ( )

٧- توحيد الألوهية هو توحيد الله بالعبادة. ( )

٨- يمثل كلٌّ من ابن تيمية وابن القيم حركة التجديد الإسلامي في زمانهما. ( )

٩- يعتبر مصطلح السلفية مصطلحًا مرادفًا لمصطلح: "أهلَ السنة والجماعة". ( )

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- من مبادئ السلف الصالح:

- إثبات صفات الذات.
- إثبات صفات الذات.
- كل من أ، ب.

٢- سمي المعتزلة "معطّلة" لأنهم:

- نفوا صفات الذات.
- قالوا بالتأويل.
- نفوا الصفات التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة.

٣- من مبادئ الحشوية:

- التجسيم المطلق بلا حدود.

- قيام الحوادث بذاته تعالى.

- كلٌّ من أ، ب.

٤- قال الشهرستاني: "وبنغ رجلٌ متنمس بالزهد من سجستان يقال له قصد الشهرستاني بالرجل:

- واصل بن عطاء.

- أبو عبد الله محمد بن كرام

- ابن القيم.

٥- تتمثل معالم منهج السلف في:

- الاعتماد على الكتاب والسنة واحترام النص.

- عدم تأويل النقل وتمرير الآيات كما جاءت.

- قيام الحوادث بذات الله تعالى.

- كل من أ، ب.

ثالثًا: الأسئلة التحليلية

١- من هم الصفاتية؟ ومن الذي أطلق عليهم هذا اللقب؟

٢- ما معنى الحشوية والكرامية؟

٣- فصل القول في المذهب السلفي.

الوحدة الحادية عشرة

أهل السنة والجماعة

الوحدة الحادية عشرة: أهل السنة والجماعة

الأهداف الخاصة

يتوقع منك- عزيزي الدارس- بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادرًا على أن:

١- تحدد تعريفًا لأهل السنة والجماعة.

٢- تبين النشأة وظروف التأسيس.

٣- تظهر أصول أهل السنة والجماعة.

٤- توضح عقيدة أهل السنة والجماعة.

* تذكر أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.

الوحدة الحادية عشرة
أهل السنة والجماعة

- التعريف
- التأسيس
- أصول أهل السنة والجماعة
- عقيدة أهل السنة والجماعة
- أهم خصائص وسمات أهل السنة والجماعة
- الخلاصة
- اختبار الوحدة

الوحدة الحادية عشرة: أهل السنة والجماعة

أولاً: التعريف:

تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة أهل الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له من التوحيد والطاعة، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر، وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أم عملية.

ثانيًا: التأسيس:

ويعد الرسول ﷺ هو المؤسس لهذه الجماعة، وأصحابه هم أهلها الأولون، وقد سميت هذه الجماعة بأهل السنة لاستمساك أصحابها بسنة النبي ﷺ، وسميت بالجماعة لأنها جماعة المسلمين الذي اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج أئمة الحق ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور الدين، وهم أهل الأثر أو أهل الحديث، أو الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية، فتلك أهم أسمائها.

ثالثًا: أصول أهل السنة والجماعة: هي أصول الإسلام الذي هو العقيدة بلا فِرَق ولا طُرُق، ولذلك فإن قواعد وأصول أهل السنة في مجال التلقي والاستدلال تتمثل في الآتي:

- مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع السلف الصالح.
- كل ما ورد في القرآن الكريم هو شرع للمسلمين، وكل ما صح من سنة رسول الله ﷺ وجب قبوله وإن كان آحادًا.
- المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص التي تبينها، وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم.
- أصول الدين كلها قد بينها النبي ﷺ، فليس لأحد تحت ستار أو شعار أن

يحدث شيئًا في الدين؛ زاعمًا أنه منه.

- التسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا؛ فلا يعارض شخص الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشف مزعوم، ولا قول شيخ موهوم أو إمام معصوم ولا غير ذلك.

- العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ولا تعارض قطعيًا بينهما، وعند توهم التعارض يقدم النقل على العقل.

- يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية.

- العصمة ثابتة لرسول الله ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على الضلالة، أما آحادها فلا عصمة لأحد منهم، والمرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة.

- الرؤيا الصالحة حق وهي جزء من النبوة والفراسة الصادقة حق وهي كرامات ومبشرات- بشرط موافقتها للشرع- غير أنها ليست مصدرًا للعقيدة ولا للتشريع.

- المراء في الدين مذموم، والمجادلة بالحسنى مشروعة، ولا يجوز الخوض فيما صح النهي عن الخوض فيه.

- يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد، ولا ترد البدعة ببدعة، ولا يقابل الغلو بالتفريط ولا العكس.

- كل محدثة في الدين بدعة- وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

رابعًا: عقيدة أهل السنة والجماعة: (التوحيد العملي الاعتقادي)- الاعتقاد بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

- الأصل في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له

رسوله ﷺ من غير تمثيل ولا تكييف، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] مع الإيمان بمعاني ألفاظ النصوص، وما دلت عليه.

- الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً، وأما تفصيلاً، فيما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم بحسب علم المكلف.

- الإيمان بالكتب المنزلة جميعها، وأن القرآن الكريم أفضلها، وناسخها، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه.

- الإيمان بأنبياء الله ورسله- صلوات الله وسلامه عليهم- وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر، ومن زعم غير ذلك فقد كفر.

- الإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن اعتقد خلاف ذلك كفر.

- الإيمان باليوم الآخر، وكل ما صح فيه من الأخبار، وبما يتقدمه من العلامات والأشراط.

- الإيمان القدر، خيره وشره من الله تعالى، وذلك: الإيمان بأن الله تعالى علم ما يكون قبل أن يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان، ما لم يشأ لم يكن، فلا يكون إلا ما شاء، والله تعالى على كل شيء قدير، وهو خالق كل شيء، فعال لما يريد.

- الإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبيات، كالعرش والكرسي، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، والصراط والميزان، وغيرها دون تأويل شيء من ذلك.

- الإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين، وغيرهم يوم القيامة، كما جاء تفصيله في الأدلة الصحيحة.

- رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة، وفي المحشر حق، ومن أنكرها أو أولها فهو زائغ ضال، وهي لن تقع لأحد في الدنيا.

- كرامات الأولياء والصالحين حق، وليس كل أمر خارق للعادة كرامة، بل قد يكون استدراجًا، وقد يكون من تأثير الشياطين والمبطلين، والمعيار في ذلك موافقة الكتاب والسنة أو عدمها.

- المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه.

"التوحيد الإرادي الطلبي (توحيد الألوهية)"

- الإيمان بأن الله تعالى واحد أحد، لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وهو رب العالمين، المستحق وحده لجميع أنواع العبادة.

ولا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح أو غيرهم.

- من أصول العبادة أن الله تعالى يعبد بالحب والخوف والرجاء جميعًا، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال.

- التسليم والرضا والطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ، والإيمان بالله تعالى حكما من الإيمان به ربا وإلها، فلا شريك له في حكمه وأمره، وتشريع ما لم يأذن به الله، والتحاكم إلى الطاغوت، واتباع غير شريعة محمد ﷺ، وتبديل شيء منها كفر، ومن زعم أن أحدًا يسعه الخروج عنها فقد كفر.

- الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر، وقد يكون كفرًا دون كفر فالأول التزام غير شرع الله- أو تجويز الحكم به، والثاني العدول عن شرع الله، في واقعة معينة لهوى مع الالتزام بشرع الله.

- تقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة، وشريعة تلزم العامة دون الخاصة، وفصل السياسة أو غيرها عن الدين باطل، بل كل ما خالف الشريعة من حقيقة أو سياسة أو غيرها، فهو إما كفر، وإما ضلال، بحسب درجته.

- لا يعلم الغيب إلا الله وحده، واعتقاد أن أحدًا غير الله يعلم الغيب كفر، مع الإيمان بأن الله يطلع بعض رسله على شيء من الغيب.

- اعتقاد صدق المنجمين والكهان كفر، وإتيانهم والذهاب إليهم كبيرة.

- الوسيلة المأمور بها في القرآن هي ما تقرب إلى الله تعالى من الطاعات المشروعة.

- والتوسل ثلاثة أنواع:

١- مشروع: هو التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته أو بعمل صالح من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح.

٢- بدعي: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يرد في الشرع، كالتوسل بذوات الأنبياء والصالحين، أو جاههم أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

٣- شركي: وهو اتخاذ الأموات وسائط في العبادة، ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك.

- البركة من الله تعالى، يختص بعض خلقه بما شاء منها، فلا تثبت في شيء إلا بدليل، وهي تعني كثرة الخير وزيادته، أو ثبوته ولزومه. والتبرك من الأمور التوقيفية، فلا يجوز التبرك إلا بما ورد به الدليل.

- أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاثة أنواع:

١- مشروع: هو زيارة القبور لتذكر الآخرة، وللسلام على أهلها، والدعاء لهم.

٢- بدعي ينافي كمال التوحيد، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة الله

تعالى والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها، أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتجصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع.

٣- شركي ينافي التوحيد، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر، كدعائه من دون الله، والاستعانة والاستغاثة به والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك.

- الوسائل لها حكم المقاصد،وكل ذريعة تؤدي إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

الإيمان :

- الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فهو: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب: اعتقاده وتصديقه وقول اللسان: إقراره، وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة، وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

- مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة، وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

- لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

- الكفر من الألفاظ الشرعية، وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة، ويسمى أحيانًا بالكفر العملي.

- التكفير من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز

تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفيت الموانع، والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم.

القرآن والكلام:

- القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه) منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به ﷺ، ومحفوظ إلى يوم القيامة.

القدر:

- من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ويشمل:
- الإيمان بكل نصوص القدر (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق) وأنه تعالى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.
- هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلاً، ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلاً.
- العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.
- إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى.

الجماعة والإمامة: الجماعة هم أصحاب النبي ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية.

- وكل من التزم بمنهجهم فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات.
- لا يجوز التفرق في الدين، ولا الفتنة بين المسلمين، ويجب رد ما اختلف فيه المسلمون إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح.

- من خرج عن الجماعة وجب نصحه، ودعوته، ومجادلته بالتي هي أحسن، وإقامة الحجة عليه، فإن تاب وإلا عوقب بما يستحق شرعًا.

- إنما يجب حمل الناس على الجمل الثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، ولا يجوز امتحان عامة المسلمين بالأمور الدقيقة والمعاني العميقة.

- الأصل في جميع المسلمين سلامة القصد والمعتقد، حتى يظهر خلاف ذلك، والأصل حمل كلامهم على المحمل الحسن، ومن ظهر عناده وسوء قصده فلا يجوز تكلف التأويلات له.

- الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة ذوي الحل والعقد منهم، ومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة وجبت طاعته بالمعروف ومناصحته، وحرم الخروج عليه إلا إذا ظهر كفر منه بواح فيه من الله برهان.

- الصلاة والحج والجهاد واجبة مع أئمة المسلمين وإن جاروا.

- يحرم القتال بين المسلمين على الدنيا، أو الحمية الجاهلية، وهو أكبر الكبائر، وإنما يجوز قتال أهل البدعة والبغي وأشباههم، إذا لم يمكن دفعهم بأقل من ذلك، وقد يجب بحسب المصلحة والحال.

- الصحابة الكرام عدول، وهم أفضل هذه الأمة، والشهادة لهم بالإيمان والفضل أصل قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومحبتهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق، مع الكف عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح في قدرهم.

- وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون، وتثبت خلافة كل منهم حسب ترتيبهم.

- ومن الدين محبة آل بيت رسول الله ﷺ، وتوليهم، وتعظيم قدر أزواجه أمهات المؤمنين، ومعرفة فضلهن، ومحبة أئمة السلف، وعلماء السنة والتابعين لهم

بإحسان، ومجانبة أهل البدع والأهواء.

- الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو ماض إلى قيام الساعة.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام، وأسباب حفظ جماعته، وهما يجبان بحسب الطاقة، والمصلحة معتبرة في ذلك.

خامسًا: أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وكما أن لهم منهجًا اعتقاديًا فأن لهم أيضًا منهجهم وطريقهم الشامل الذي ينتظم فيه كل أمر يحتاجه كل مسلم، لأن منهجهم هو الإسلام الشامل الذي شرعه النبي ﷺ، وهم على تفاوت فيما بينهم، لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم، منها:

- الاهتمام بكتاب الله: حفظًا، وتلاوة، وتفسيرًا، والاهتمام بالحديث: معرفة وفهمًا وتميزًا لصحيحه من سقيمه، (لأنهما مصدرا التلقي) مع اتباع العلم بالعمل.

- الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وبنصوص الإثبات ونصوص التتريه، ويجمعون بين الإيمان بقدر الله، وإثبات إرادة العبد ومشيئته، وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القوة والرحمة، وبين العمل مع الأخذ بالأسباب، وبين الزهد.

- الاتباع، وترك الابتداع والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.

- الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل أو الدعوة من الصحابة ومن سار على نهجهم ومجانبة من خالف سبيلهم.

- التوسط: فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المُفرطين والمفَّرطين.

- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد صفوفهم على التوحيد

والاتباع، وإبعاد كل أسباب التراع والخلاف بينهم.

- ومن هنا لا يتميزون عن الأئمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة، ولا يوالون ولا يعادون على رابطة سوى الإسلام والسنة.

- يقومون بالدعوة إلى الله الشاملة لكل شيء في العقيدة والعبادات وفي السلوك والأخلاق وفي كل أمور الحياة وبيان ما يحتاجه كل مسلم، كما أنهم يحذرون من النظرة التجزيئية للدين فينصرون الواجبات والسنن كما ينصرون أمور العقائد والأمور الفرعية. ويعلمون أن وسائل الدعوة متجددة فيستفيدون من كل ما جد وظهر ما دام مشروعًا. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يوجبه الشرع. والجهاد، وإحياء السنة، والعمل لتجديد الدين، وإقامة شرع الله وحكمه في كل صغيرة وكبيرة، ويحذرون من التحاكم إلى الطاغوت أو إلى غير ما أنزل الله.

- الإنصاف والعدل: فهم يراعون حق الله تعالى- لا حق النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغلون في موال، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيا كان، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال على أنهم معصومون، وقاعدتهم في ذلك: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ، وأنه لا عصمة إلا للوحي وإجماع السلف.

- يقبلون فيما بينهم تعدد الاجتهادات في بعض المسائل التي نقل عن السلف الصالح التراع فيها دون أن يضلل المخالف في هذه المسائل فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم جل وعلا ونبيهم ﷺ.

- يعتنون بالمصالح والمفاسد ويراعونها، ويعلمون أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد وتقليلها، حيث درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

- أن لهم موقفًا من الفتن عامة: ففي الابتلاء يقومون بما أوجب الله تعالى تجاه هذا الابتلاء.

- وفي فتنة الكفر يحاربون الكفر ووسائله الموصلة إليه بالحجة والبيان والسيف

والسنان، بحسب الحاجة والاستطاعة.

- وفي الفتنة يرون أن السلامة لا يعدلها شيء، والقعود أسلم إلا إذا تبين لهم الحق وظهر بالأدلة الشرعية فإنهم ينصرونه ويعينونه بما استطاعوا.

- يرون أن أصحاب البدع متفاوتون قربًا وبعدًا عن السنة فيعامل كل بما يستحق، ومن هنا انقسمت البدع إلى: بدع لا خلاف في عدم تكفير أصحابها مثل المرجئة، والشيعة المفضلة، وبدع هناك خلاف في تكفير أو عدم تكفير أصحابها مثل الخوارج والروافض، وبدع لا خلاف في تكفير أصحابها بإطلاق مثل الجهمية المحضة.

- يفرقون بين الحكم المطلق على أصحاب البدع عامة بالمعصية أو الفسق أو الكفر، وبين الحكم على المعين حتى يبين له مجانبة قوله للسنة، وذلك بإقامة الحجة وإزالة الشبهة.

- ولا يجوزون تكفير أو تفسيق أو حتى تأثيم علماء المسلمين لاجتهاد خاطئ أو تأويل بعيد خاصة في المسائل المختلف فيها.

- يفرقون في المعاملة بين المستتر ببدعته والمظهر لها والداعي إليها.

- يفرقون بين المبتدعة من أهل القبلة مهما كان حجم بدعتهم وبين من علم كفره بالاضطرار من دين الإسلام كالمشركين وأهل الكتاب، وهذا في الحكم الظاهر على العموم مع علمهم أن كثيرًا من أهل البدع منافقون وزنادقة في الباطن.

- يقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتحذير منهم، وإظهار السنة وتعريف المسلمين بها وقمع البدع بما يوجبه الشرع من ضوابط.

- يصلون الجمع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال ما لم يظهر منه بدعة أو فجور، فلا يردون بدعة ببدعة.

- لا يجوزون الصلاة خلف من يظهر البدعة أو الفجور مع إمكانها خلف

غيره، وإن وقعت صحت، ويؤثمون فاعلها إلا إذا قصد دفع مفسدة أعظم، فإن لم يوجد إلا مثله، أو شر منه جازت خلفه ولا يجوز تركها، ومن حكم بكفره فلا تصح الصلاة خلفه.

- فرق أهل القبلة الخارجين عن السنة متوعدون بالهلاك والنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد إلا من كان منهم كافرًا في الباطن.

- والفرق الخارجة عن الإسلام كفار في الجملة، وحكمهم حكم المرتدين.

- لا يمنعهم ذلك كله من الدعاء لأهل البدع بالهداية وطلب الرحمة والاستغفار ما لم يعلم نفاقهم وكفرهم باطنًا.

- ولأهل السنة والجماعة أيضًا منهج شامل في تزكية النفوس وتهذيبها، وإصلاح القلوب وتطهيرها، لأن القلب عليه مدار إصلاح الجسد كله وذلك بأمور منها:

- إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن الشرك والبدعة مما ينقص الإيمان أو ينقضه من أصله.

- التعرف على الله جل وعلا بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلى ومدارستها وتفهم معانيها والعمل بمقتضياتها، لأنها تورث النفس الحب والخضوع والتعظيم والخشية والإنابة والإجلال لله تعالى.

- طاعة الله ورسوله بأداء الفرائض والنوافل كاملة مع العناية بالذكر وتلاوة القرآن الكريم والصلاة على النبي ﷺ والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج والعمرة وغير ذلك مما شرع الله تعالى.

- اجتناب المحرمات والشبهات مع البعد عن المكروهات.

- البعد عن رهبانية النصرانية، والبعد عن تحريم الطيبات، والبعد عن سماع المعازف والغناء وغير ذلك.

- يسيرون إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويعبدونه تعالى بالحب والخوف والرجاء.

ومن أهم سماتهم: التوافق في الأفهام، والتشابه في المواقف، رغم تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي.

- الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة، فهم يأتمون بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم.

- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

- الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكف الأذى عنهم.

- موالاة المؤمن لإيمانه بقدر ما عنده من إيمان ومعاداة الكافر لكفره، ولو كان أقرب قريب.

- لا يعد من اجتهد في بيان نوع من أصول أهل السنة مبتدعًا ولا مفرطًا ما دام لا يخالف شيئًا من أصول أهل السنة والجماعة.

- كل من يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة ويعمل على هديها فهو من أهل السنة ولو وقع في بعض الأخطاء التي يبدع من خالف فيها(1).

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د/ مانع بن حماد الجهني ج1 ص (40) الناشر/ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

خلاصة الوحدة الحادية عشرة

- أهل السنة والجماعة هم الجماعة الوسط بين الفرق، كما أن الإسلام وسط بين الأديان.

- المؤسس لهذه الجماعة هو رسول الله ﷺ وأصحابه.

- وأصول أهل السنة والجماعة هي أصول الإسلام الذي هو العقيدة بلا فِرَق ولا طُرُق.

- عقيدة أهل السنة والجماعة: التوحيد الخالص والقول بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات والقول بكل ركائز الإيمان: الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ويعتقدون بكل ما صح الدليل عليه من الغيبيات كالعرش والكرسي والجنة والنار، والشفاعة.. الخ.

اختبار الوحدة الحادية عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ

ضع علامة(✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

١- تبلور مفهوم أهل السنة والجماعة كفرقة في عهد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.( )

٢- يرى أهل السنة أنه لا تعارض بين العقل والنقل، وعند التعارض يقدم العقل حيث هو مناط التكليف. ( )

٣- يعد أهل السنة الالتزام في الحكم بغير شرع الله كفرًا. ( )

٤- التوسل المشروع عند أهل السنة هو التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته أو بعمل صالح من المتوسل، أو بدعاء الحي الصالح. ( )

٥- مرتكب الكبيرة متردد بين نقص الإيمان في الدنيا، ومشيئة الله بالعقاب أو العفو في الآخرة. ( )

٦- لا يجوز أهل السنة الصلاة خلف من يظهر البدعة، مع إمكانها خلف غيره، وإن وقعت لم تصح. ( )

٧- من يقع في بعض الأخطاء التي يبدع من خالف فيها، يعد من أهل السنة إن كان يعتقد بأصول أهل السنة ويعمل على هديها. ( )

ثانياً الأسئلة التحليلية

السؤال الأول: من هم أهل السنة والجماعة؟ ومتى نشأت الجماعة؟

السؤال الثاني: ما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وما أصولها؟

السؤال الثالث: اكتب بحثًا يشتمل على أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فهذا الكتاب تناول قضية بالغة الأهمية، وإن كنت أعلم أنني لست أول من كتب فيها، وربما لست الأخير أيضًا، وهذه القضية قد تناولها علماء كُثر من القدامى والمحدثين، فأردت أن أختصر ما كتبوه، وأجمع ما قالوه، وأحقق ما سطروه، ليعطي فكرة مستوفاة عن الفرق الإسلامية، ونشأتها وأصولها وأفكارها، ومن وراءها، وإن كان الحديث عن الفرقة والفرق من الأشياء التي يضيق بها صدر الإنسان، ويصاب بالحزن وتغمره الكآبة لما يدرك من أمر معناها ومظاهرها وثمراتها وما رأينا دينًا يحرص على وحدة الكلمة واجتماع الصف مثل الإسلام، ومع ذلك وقعت الفرقة وضربت بإطنابها في كل اتجاه، ولكن تشخيص الداء طريق لمعرفة الدواء، وهذا الذي حاولت أن أفعله من خلال كتاب هذا، كما أردت أن أوقف طالب العلم على هذه الفرق، بطريقة منهجية سهلة ومبسطة، وبدلاً من رجوعه إلى مزيد من المراجع، يجد ذلك في متناول يديه من خلال ما سطرناه، ونحن نريد بذلك الخير ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تحريرًا في ٢٠٠٢/١/١م

كتبه

أبو حفص

عمر بن عبد العزيز قريش

فهرس الموضوعات

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
رسالة إلى الدارس	٥-٦
الوحدة الأولى: نشأة الفرق في التاريخ الإسلامي	٧-٣٠
الأهداف التعليمية	٩
الرسم الخطي	١١
أولاً: تعريف الفرقة.	١٣
ثانيًا: بين الفرقة والاختلاف.	١٤
ثالثًا: نشأة الفرقة بين المسلمين.	١٦
رابعًا: نشأة الفرق وأساسها.	١٧
خامسًا: أهم أسباب الفرقة والتي أدت إلى ظهور الفرق	٢٤
الإسلامية.	٢٧
خلاصة الوحدة الأولى	٢٨
اختبار الوحدة الأولى	
الوحدة الثانية: الخوارج	٣١-٥٦
الأهداف التعليمية	٣٣
الرسم الخطي	٣٥

أولاً: تعريفهم.	٣٧
ثانيًا: نشأتهم.	٣٧
ثالثًا: أشهر فرقهم.	٤٣
رابعًا: أبرز رجال الخوارج.	٥١
خامسًا: أشهر مصنفات أهل السنة في الرد عليهم.	٥٢
خلاصة الوحدة الثانية	٥٣
اختبار الوحدة الثانية	٥٤
الوحدة الثالثة: الشيعة	٥٧-١٥٨
الأهداف التعليمية	٥٩
الرسم الخطي	٦١
أولاً: التعريف بفرقة الشيعة.	٦٣
ثانيًا: نشأة الشيعة.	٦٤
ثالثًا: أهم معتقدات الشيعة.	٧٣
رابعًا: أشهر فرق الشيعة.	١١٠
خامسًا: أبرز كتبهم ورجالهم قديمًا وحديثًا.	١٣٦
سادسًا: أشهر مصنفات أهل السنة في الرد على الشيعة.	١٣٨
سابعًا: ما حكم التقريب من السنة والشيعة.	١٣٩

خلاصة الوحدة الثالثة	١٥٦
اختبار الوحدة الثالثة	١٥٧
الوحدة الرابعة: المعتزلة	٢٢٨-١٥٩
الأهداف التعليمية	١٦١
الرسم الخطي	١٦٣
أولاً: التسمية والنشأة.	١٦٥
ثانيًا: الأصول الخمسة عند المعتزلة.	١٦٨
ثالثًا: فرق المعتزلة.	٢٠١
رابعًا: أهم أعلام المعتزلة وكتبهم.	٢١٠
خامسًا: المنهج الاعتزالي.	٢١٤
سادسًا: الجذور الفكرية للفكر المعتزلي.	٢١٨
سابعًا: الفكر الاعتزالي الحديث.	٢٢٠
خلاصة الوحدة الرابعة	٢٢٣
اختبار الوحدة الرابعة	٢٢٦

الوحدة الخامسة: الجبرية	٢٥٧-٢٢٩
الأهداف التعليمية	٢٣١
الرسم الخطي	٢٣٣
أولاً: معنى الجبرية.	٢٣٥
ثانيًا: أصولها العقدية.	٢٣٥
ثالثًا: مبادئ الجبرية.	٢٣٧
رابعًا: الرد على ما ذهب إليه الجبرية.	٢٤٢
خامسًا: أصناف الجبرية.	٢٤٦
سادسًا: فرق الجبرية.	٢٤٦
سابعًا: أعلام المذهب الجبري.	٢٥١
خلاصة الوحدة الخامسة	٢٥٥
اختبار الوحدة الخامسة	٢٥٦
الوحدة السادسة: القدرية	٢٨٠-٢٥٩
الأهداف التعليمية	٢٦١
الرسم الخطي	٢٦٣
أولاً: مدخل يشتمل على تعريف القدر واختلاف الناس حوله.	٢٦٥
ثانيًا: وجه التسمية.	٢٦٨

ثالثًا: نشأة الفرقة.	٢٦٩
رابعًا: أدلة القدرية.	٢٧١
خامسًا: الرد على القدرية.	٢٧٢
سادسًا: بين القدرية والمعتزلة.	٢٧٧
خلاصة الوحدة السادسة	٢٧٩
اختبار الوحدة السادسة	٢٨٠
الوحدة السابعة: المرجئة	٢٨١-٢٩٦
الأهداف التعليمية	٢٨٣
الرسم الخطي	٢٨٥
أولاً: التعريف والتسمية.	٢٨٧
ثانيًا: الجذور التاريخية للإرجاء.	٢٨٧
ثالثًا: مبادئ المرجئة.	٢٩٠
رابعًا: فرق المرجئة.	٢٩١
خلاصة الوحدة السابعة	٢٩٥
اختبار الوحدة السابعة	٢٩٦

الوحدة الثامنة: الأشاعرة	٢٩٧-٣٣٩
الأهداف التعليمية	٢٩٩
الرسم الخطي	٣٠١
أولاً: التعريف والتسمية.	٣٠٣
ثانيًا: مبادئ الأشاعرة.	٣٢١
ثالثًا: الأشاعرة بين الجرح والتعديل.	٣٢٦
رابعًا: الانتشار ومواقع النفوذ.	٣٣٤
خلاصة الوحدة الثامنة	٣٣٦
اختبار الوحدة الثامنة	٣٣٧
الوحدة التاسعة: الماتريدية	٣٤١-٣٦٤
الأهداف التعليمية	٣٤٣
الرسم الخطي	٣٤٥
أولاً: التعريف.	٣٤٧
ثانيًا: التأسيس وأبرز الشخصيات.	٣٤٧
ثالثًا: أهم الأفكار والمعتقدات.	٣٥٢
رابعًا: الجذور الفكرية والعقائدية.	٣٥٨
خامسًا: الانتشار ومواقع النفوذ.	٣٥٩

خلاصة الوحدة التاسعة	٣٦٢
اختبار الوحدة التاسعة	٣٦٣
الوحدة العاشرة: الصفاتية	٣٦٥-٣٩٢
الأهداف التعليمية	٣٦٧
الرسم الخطي	٣٦٩
الفرقة الأولى : الحشوية.	٣٧٥
الفرقة الثانية : الكرامية.	٣٧٧
المذهب السلفي.	٣٧٨
خلاصة الوحدة العاشرة	٣٩٠
اختبار الوحدة العاشرة	٣٩١
الوحدة الحادية عشرة: أهل السنة والجماعة	٣٩٣-٤١٣
الأهداف التعليمية	٣٩٥
الرسم الخطي	٣٩٧
أولاً: التعريف.	٣٩٩
ثانيًا: التأسيس.	٣٩٩
ثالثًا: أصول أهل السنة والجماعة.	٣٩٩
رابعًا: عقيدة أهل السنة والجماعة.	٤٠٠

خامسًا: أهم خصائص وسمات منهج أهل السنة والجماعة خلاصة الوحدة الحادية عشرة اختبار الوحدة الحادية عشرة	٤٠٧ ٤١٢ ٤١٣
الخاتمة	٤١٥-٤١٧
فهرس الموضوعات	٤٢٥-٤٣٤